

سلسلة نور المجيبين (12)

نور الأبصار مختصر

في مناقب آل بيت النبي المختار ﷺ

للشيخ

مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي

رحمه الله تعالى



الهيئة للنشر والتوزيع

طبعة يناير 2025



(مختصر) نور الأبصار

للشيخ مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي

(مختصر) نُور الأبصار

- للشيخ مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي -
رقم الإيداع: 2024 / 31834
الترقيم الدولي: 978-977-9655-13-0

تدقيق لغوي: فريق نور المحبين
تصميم الغلاف: فريق نور المحبين
إخراج داخلي: لخضر بن الزهرة

دار الهالة للنشر والتوزيع
- جمهورية مصر العربية -



رئيس مجلس الإدارة / المدير العام: هالة البشبيشي

@Alhalapublishing

alhalapublishing@gmail.com

(+20) 1066444204

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونياً: نسخاً أو تسجيلاً أو تخزيناً: دون إذن خطي من الدار.

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تُعبر عن رأي كاتبها، ولا تُعبر بالضرورة عن رأي دار النشر.

الشيخ مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي

(مختصر)
نور الأبصار

الهيئة للنشر والتوزيع

AL HALA PUBLISHING & DISTRIBUTION

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فهذا كتاب جليل عظيم يتناول سيرة أهل بيت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشيء من التفصيل. وهو اختصار لكتاب «نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار» للشيخ مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي، رحمه الله تعالى.

وقد حذفنا من الكتاب بعض الفصول والمسائل التي ليس لها ارتباط كبير بأصل الموضوع؛ وذلك ليصغر حجم الكتاب وتسهيل قراءته. ومع ذلك، لم نقتطع قصة من سياقها، ولم نضف إلى كلام المؤلف رحمه الله تعالى شيئاً سوى بعض التعديلات في عناوين الفصول والأبواب لتناسب مع الاختصار.

هذا الكتاب عظيم في بابهِ، يُعرِّف القارئ بأهل بيت النبوة الذين أمرنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمحبتهم والافتداء بهم. فجزى الله مؤلفه خير الجزاء، ونفع به جميع القراء.

فريق نور المحبين

ترجمة المؤلف

اسمه: هو الشيخ الجليل مؤمن بن حسن بن مؤمن الشَّبلنجي الشافعي.

مولده: ولد بعد سنة 1250 هـ في قرية (شبلنجة) بالقرب من مدينة (بنها) بمصر المحروسة.

تعليمه: حفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنين، وهذا من توفيق الله سبحانه وتعالى له، ثم التحق بعدها بالجامع الأزهر الشريف وأكمل تعليمه، وتلقى العلم على يد جماعة من كبار العلماء بالأزهر الشريف، ومنهم الشيخ محمد الخُضري الدمياطي المتوفى سنة 1298 هـ.

أشهر مؤلفاته:

1. كتاب (نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي الأطهار) وهو الكتاب الذي قمنا باختصاره.

2. كتاب (فتح المنان بتفسير غريب القرآن) وهو جزء صغير تعرّض فيه لأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، ورواية حفص عن عاصم، ورسم بعض الكلمات القرآنية، وبعض مباحث علوم القرآن. وفاته: توفي رحمه الله تعالى سنة 1291 هـ، وقيل 1308 هـ، وكان شاعراً أديباً.

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أسبغ علينا جلايب النعم، واصطفى سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم على سائر العرب والعجم، وفَضَّل آل بيته على المخلوقات، ورفعهم بفضله وكرمه أعلى الدرجات، فأحرزوا قصبات سبق سيادة الدنيا والآخرة، واتصفوا بالكمالات الظاهرة والباطنة والمحاسن الفاخرة.

فهم نور حدقة كل زمان، ونور حديقة كل عصر وأوان، المميزون بالفضل عَمَّن سواهم، الخاذلون لمن أبغضهم وعاداهم، معادن العلوم والمعارف، أولو الفصاحة والبلاغة واللطائف. أحمده سبحانه وتعالى على تزايد آلائه الوافرة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أدخرها لهول الآخرة، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صاحب العلامات، المبعوث بالآيات الواضحة والبراهين القاطعة، المؤيد بالمعجزات.

صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه الطاهرين، الذين من تمسك بهم كان من الفائزين، المتمسكين بالسبب المتين. وبعد:

فيقول فقير رحمة ربه المهيمن، السيد الشبلنجي الشافعي، المدعو بمؤمن: أصاب عيني رمد، فوفقني الله الفرد الصمد لزيارة

السيدة نفيسة بنت سيدي حسن الأنور، فزرتها وتوسلت بها إلى الله وبجدها الأكبر في كشف ما أنا فيه، وإزالة ما أكابده وأقاسيه. ونذرت، إن شفاني الله، لأجمعنَّ كليماتٍ من كتب السادة الأعلام تشتمل على ذكر بعض مناقب أهل بيته صلى الله عليه وسلم الكرام. فمضى زمن يسير وحصل الشفاء، فأخذت في الأسباب، وعزمت على الوفاء. فما كان من نفسي إلا أن حدثني بالإحجام، وثبطني ومنعتني أن أحوم حول هذا المرام، قائلة: أنت قليل البضاعة، ولست أهلاً لتلك الصناعة.

ولعلمي بأن هذا الأمر ميدان الفرسان، ومورد الصناديد من الرجال الشجعان، ضربت عنه صفحاً مدةً من الزمان، وصار عندي نسيّاً منسياً متروكاً في زوايا النسيان. حتى ذكرت ذلك لبعض الإخوان، أصلح الله لي ولهم الحال والشأن، فحرضني على الإقدام، فرجع عزمي، وزال ترددي وكسلي، وانتصبت لجمع كتابٍ تقرُّ به أعين الناظرين، وتستشرف له أولو الرغبة، وتُشدُّ إليه رحال الطالبين.

وسميته:

نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار

والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وسبباً للفوز لديه بجنات النعيم. إنه على ما يشاء قدير، وبعباده لطيف خبير. وهذا أوان الشروع في المقصود، بعون ربنا الملك الوهاب المعبود.

الباب الأول في ذكر سيرته ﷺ

فصل في ذكر نسبه ﷺ ومولده ومرضعاته وما يتصل بذلك

من المعلوم أن الحديث عن سيرة النبي ﷺ قد أُفرد بالتأليف، حتى صارت هذه المؤلفات لا تكاد تدخل تحت الحصر. والغرض هاهنا هو ذكر طرفٍ مما يتعلق به ﷺ في هذه العجالة، على سبيل الإيجاز، تبرّكاً به ﷺ.

إذا علمت هذا، فنقول:

هو ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب المذكور في نسبه ﷺ، وهو الجد الخامس له ﷺ.

وُلد ﷺ بمكة عند طلوع الفجر يوم الاثنين، لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول عام الفيل. وفي «المواهب اللدنية»، قيل: وُلد ليلاً. فعن عائشة رضي الله عنها أنه كان بمكة يهودي يتجر فيها. فلما كانت الليلة التي وُلد فيها رسول الله ﷺ، قال: يا معشر قريش، هل وُلد فيكم الليلة مولود؟ قالوا: لا نعلمه. قال: انظروا يا معشر قريش، وأحصوا ما أقول لكم. وُلد الليلة نبي هذه الأمة الأخيرة، بين كتفيه علامة، فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس. انتهى.

والقول الأول مروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص. واختلف في مكان ولادته ﷺ، فقيل: وُلد بمكة في الدار التي كانت لمحمد بن يوسف الثقفي، أخي الحجاج، وقيل: بالشَّعب، وقيل: بالرَّدم، وقيل: بعُسفان، كذا في (المواهب اللدنية).

ونزل على يد الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف، رافعاً بصره إلى السماء، واضعاً يديه على الأرض، وفي ذلك من الإشارة ما لا يخفى، مكحلاً نظيفاً مسروراً (أي مقطوع السرة، وهو ما تقطعه القابلة من السرة)، ومختوناً (أي على صورة المختون).

وقيل: ختنه جده عبد المطلب في اليوم السابع من ولادته. وقال العلماء: يمكن الجمع بين القولين، بأن يكون قد وُلد مختوناً ختناً غير تام، فتممه جده عبد المطلب. وقيل: ختنه جبريل يوم شق صدره عند حليلة السعدية، مرضعته.

ومات أبوه عبد الله وأمه حامل به، ولهذا كان الذي سمَّاه وعقَّ عنه ﷺ في اليوم السابع من ولادته هو جده عبد المطلب. وقد أُفرد الحديث عما يتعلق بمولده ﷺ بالتأليف، وهذه العجالة مبنية على التخفيف.

مُرُضَعَاتُهُ (صلى الله عليه وسلم)

أَرْضَعَتْهُ ﷺ من النساء ثمانية، منهن أمه آمنة ثلاثة أيام، وقيل سبعة. وأرضعته ثوية الأسلمية، جارية أبي لهب التي أعتقها حين بشرته بولادته ﷺ، أياماً قبل قدوم حليلة. وأرضعته خولة بنت المنذر وأم أيمن، كما ذكرهما اليعمرى، وامرأة سعدية غير حليلة،

كما ذكرها ابن القيم. وكذلك ثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن عاتكة، نقله السهيلي عن بعضهم في الكلام على قوله ﷺ: «أنا ابن العواتك». وفي «حياة الحيوان»، ذكر أن أكثرهن إرضاعاً له ﷺ كانت حليلة السعدية. وصرح بعضهم بإسلام زوجها، بل وبنيتها أيضاً. ولما خافت عليه، ردت إلى أمه.

فخرجت به أمه إلى المدينة لزيارة أخواله من بني النجار (أي أخوال جده عبد المطلب)، فمرضت وهي راجعة به، وماتت ودفنت بالأبواء. وكان عمره ﷺ ست سنين، كما قال ابن إسحاق. فحضنته أم أيمن بركة الحبشية، التي ورثها من أبيه، وحملته إلى جده عبد المطلب بمكة، فكفله إلى أن بلغ تمام ثمان سنوات.

وأصابه ﷺ في السنة السابعة رمد شديد، ولما مرض جده عبد المطلب مرض الموت، أوصى به إلى عمه أبي طالب لفخامته وكونه شقيق أبيه عبد الله، فاقتخر بشرف كفالته وتربيته ﷺ وكان يرى منه الخير والبركة كشبع عياله إذا أكل معهم وعدم شبعهم إذا لم يأكل معهم ونزول المطر الغزير حين استسقى به لقحط أصاب أهل مكة وسافر به ﷺ إلى الشام في تجارة، فلما نزل الركب بصرى، رآه راهب بها يُقال له بحيرا، وهو في صومعته. وكان قد انتهى إليه علم النصرانية. فصنع للقوم طعاماً كثيراً لأجله ﷺ، مع أن القوم كثيراً ما كانوا يمرون به، فلا يكلمهم ولا يعرض عليهم. ثم قال لعمه: «ارجع بابن أخيك، واحذر عليه من اليهود». فلما فرغ أبو طالب من تجارته، رجع مسرعاً إلى مكة. وسافر أيضاً ﷺ مع عميه الزبير والعباس ابني عبد المطلب إلى اليمن للتجارة.

وثبت أنه ﷺ أجر نفسه قبل النبوة لرعي الغنم، وكذا ثبت في حق غيره من الأنبياء، كموسى عليه السلام. وقيل: من حكم ذلك أن من رعى الغنم، التي هي أضعف البهائم، يسكن في قلبه الرأفة واللطف، فإذا انتقل من ذلك إلى رعاية الخلق، كان قد هذب نفسه أولاً. ولما بلغ ﷺ خمساً وعشرين سنة، وكان يُدعى في مكة بالأمين، سافر إلى الشام في تجارة لخديجة، وأنفذت معه عبداً ميسرة. وتزوجها في هذه السنة أيضاً، وكانت هذه السفرة ثالث سفرة أجر نفسه فيها لخديجة.

ولما بلغ خمساً وثلاثين سنة، جدّدت قريش بناء الكعبة بسبب تصدع جدرانها بسيل دخلها بعد حريق أصابها أثناء تبخيرها. فكان النبي ﷺ ينقل معهم الحجارة. فلما وصلوا إلى موضع الحجر، اختلفوا فيمن يضعه، ثم رضوا بأن يضعه ﷺ بيده، فرفعه ووضعته في مكانه. ولما قربت أيام الوحي، حُبب إليه الخلوة، فكان يختلي في غار حراء ويتعبد فيه. وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، فكانت تلك المنامات الصادقة مقدمات للوحي. قيل إن مدتها كانت ستة أشهر.

وثبت أنه لما دنا زمن الوحي كثر رجم الشياطين بالنجوم، مع إصابتها لهم، وانقطع تماماً استراق السمع من حينه. وما رُوي من رجمهم بهاليلة مولده ﷺ أو قبلها في أزمنة الرسل، فإن ثبت، كان قليلاً، وتارة يصيب وتارة لا يصيب. أما في زمن قرب الوحي إليه ﷺ، فكان الرجم يصيبهم بكثرة وبدون انقطاع. كذا ورد في «السيرة الحلبية».

بدء نزول الوحي

ولما بلغ النبي ﷺ أربعين سنة، وقيل: أربعين يوماً وعشرة أيام، وقيل: شهرين، وذلك يوم الاثنين، لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، وقيل: لسبع، وقيل: لأربع وعشرين ليلة (كذا ورد في المواهب اللدنية)، جاءه جبريل بالنبوة وهو في غار حراء.

فقال له: «اقرأ». فقال: «ما أنا بقارئ». فضمه جبريل حتى بلغ منه الجهد، ثم أطلقه وقال له: «اقرأ». فقال: «ما أنا بقارئ». فكرر ذلك ثلاث مرات، وفي الثالثة قال له: «اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم».

ثم نزل به جبريل من الجبل إلى الأرض، فضرب الأرض برجله فنبعت منها عين ماء. فتوضأ جبريل وأمر النبي ﷺ أن يفعل كفعله، ثم صلى به ركعتين، وقال: «الصلاة هكذا». ثم غاب عنه.

انطلق النبي ﷺ إلى خديجة، يرجف فؤاده، وأخبرها بما حدث وقال: «خشيتُ عليّ». فقالت له: «كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتُقري الضيف، وتعين على نوائب الحق». ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل، وهو ابن عم خديجة.

وكان ورقة قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، وفي رواية: يكتب العبراني، فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب. وكان شيخاً كبيراً قد عمي. فقالت له خديجة: «يا ابن العم، اسمع من ابن أخيك».

فقال له ورقة: «يا ابن أخي، ماذا ترى؟» فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى. فقال له ورقة: «هذا الناموس الذي نزل على موسى. يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًا إذ يُخرجك قومك».

فقال رسول الله ﷺ: «أَوُخرجي هم؟»
قال ورقة: «نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي.
وإن يدركني يومك، أنصرك نصرًا مؤزرًا».
ثم لم يلبث ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة، حتى حزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً.

وكانت مدة الفترة ثلاث سنين، كما جزم به ابن إسحاق. ثم نزل عليه جبريل بسورة: «يا أيها المدثر».

وتتابع الوحي وابتداء الرسالة ﷺ متأخر عن نبوته بثلاث سنوات، وقيل: مقارنة لنبوته. فصار يدعو الناس إلى الله تعالى خفية لعدم الأمر بالإظهار. وكان من أسلم إذا أراد الصلاة يذهب إلى بعض الشعاب ليستخفي بصلاته من المشركين. حتى اطلع نفر من المشركين على سعد بن أبي وقاص وهو في نفر من المسلمين يصلون في بعض الشعاب، فأنكروا عليهم وعابوا ما يصنعون وقتلواهم. فغضب سعد رجلاً منهم فشجه، فكان هذا أول دم أُهريق في الإسلام.

عند ذلك دخل النبي ﷺ هو وأصحابه دار الأرقم، مستخفين بصلاتهم وعبادتهم، إلى أن أمر الله تعالى بإظهار الدين. وهدى الله عمر بن الخطاب إلى الإسلام بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب بثلاثة أيام، وكان ذلك في السنة السادسة من النبوة على الراجح. وكانت مدة الإخفاء ثلاث سنوات.

وفي هذه المدة كانت قريش تؤذي النبي ﷺ وتؤذي من آمن به. حتى عذبوا جماعة من المستضعفين، مثل بلال، وخباب بن الأرت، وعمار بن ياسر، وأبيه ياسر، وأمه سمية، وأخيه عبد الله. ثم مات ياسر تحت العذاب، وطعن أبو جهل -لعنه الله- سمية بحربة في فرجها فماتت، فكانت أول شهيدة في الإسلام.

وبسبب كثرة إيذاء قريش، هاجر جمع من المسلمين إلى الحبشة بإشارة النبي ﷺ. فأكرمهم النجاشي، وكان من بينهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ. وعندما بلغ قريش خبر خروجهم، خرجوا في أثرهم لكنهم لم يظفروا بأحد.

كانت هذه الهجرة الأولى إلى الحبشة، وحدثت في شهر رجب من السنة الخامسة للنبوّة. وبعد مكثهم في الحبشة أقل من ستة أشهر، رجع كثير منهم عندما بلغهم أن المشركين سجدوا مع رسول الله ﷺ عند قراءته سورة (النجم)، فظنوا أنهم قد أسلموا.

فصل تعاهد قريش على قتله ﷺ وموت عمه أبي طالب، وذهابه إلى بني ثقيف والطائف وابتداء إسلام الأنصار وما يتصل بذلك

قال في المواهب اللدنية: ولما رأت قريش عز النبي ﷺ بمن معه، وعز أصحابه بالحبشة، وإسلام عمر بن الخطاب، وفشو الإسلام في القبائل، أجمعوا على أن يقتلوا النبي ﷺ. فبلغ ذلك أبا طالب، فجمع بني هاشم وبني عبد المطلب وأدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم، ومنعوه ممن أراد قتله. فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية.

فلما رأت قريش ذلك، اجتمعوا واشتوروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب: أن لا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يخالطوهم، ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً، حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل. وكتبوا ذلك في صحيفة بخط منصور بن عكرمة بن هشام، فسلَّت يده، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة، وكان ذلك في هلال المحرم من السنة السابعة للنبوّة.

وانحاز بنو هاشم وبنو عبد المطلب إلى أبي طالب، ودخلوا معه شعبه، إلا أبا لهب، فكان مع قريش. وأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا، وكانت قريش قد قطعت عنهم المؤن، فلم يكن يصل إليهم شيء إلا سرّاً. وكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم.

ثم قام رجال في نقض الصحيفة، وكان قد أطلع الله نبيه ﷺ على أمرها: أن الأرضة قد أكلت جميع ما فيها من القطيعة والظلم، ولم تدع إلا

اسم الله فقط. فأخبر النبي ﷺ عمه بذلك، فأخبرهم أبو طالب. انتهى.
وكان الذين سعوا في إنزالها خمسة: هشام بن الحارث (وهو
رئيسهم، وأول من مشى في نقضها)، وزهير بن أبي أمية (أمه عاتكة
بنت عبد المطلب)، وأبو البحتري بن هشام، وزمعة بن الأسود.
اجتمعوا بالحجون وأجمعوا على نقض الصحيفة، فقال لهم زهير:
«أنا أول من يتكلم.»

فلما أصبحوا، غدوا إلى أنديتهم، وغدا زهير في حلة جميلة،
فطاف بالكعبة سبعا، ثم أقبل على الناس وقال: «يا أهل مكة، إنا نأكل
الطعام ونلبس الثياب، وبنو هاشم كما ترون! والله، لا أقعد حتى
تُشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة.»

فقال أبو جهل: «كذبت والله، لا تُشق.»
فقال زمعة: «أنت والله أكذب! أي: من كل كاذب، لا من زهير.
ما رضىنا كتابتها حين كتبت.»

وقال أبو البحتري: «صدق زمعة، ما نرضى ما كتب فيها ولا نقرّه.»
وقال المطعم بن عدي: «صدقتما، وكذب من قال غير ذلك. نبرأ
إلى الله منها ومما كتب فيها.»

فقال أبو جهل: «هذا أمر قد قُضي بليل، اشتورتم فيه بغير هذا
المكان!» وكان أبو طالب جالسا.

فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقّها، فوجد الأرضة قد أكلتها إلا ما
كان من اسم الله، كما قال النبي ﷺ. فأخرجوهم من الشعب، وكان
ذلك في السنة العاشرة من النبوة.

عام الحزن

في السنة العاشرة من النبوة، في أول ذي القعدة، مات عمه ﷺ أبو طالب، بعد خروجه من الحصار في الشعب بثمانية أشهر وأحد وعشرين يوماً. وفي المواهب اللدنية، ذكر أن سنّه كان سبعا وثمانين سنة.

قال ابن عباس: عارض رسول الله ﷺ جنازة أبي طالب، وقال: «وصلتَ رحمك، وجزاك الله خيراً، يا عم.»

(وفي هذه السنة) العاشرة من النبوة، كانت وفاة خديجة الكبرى. رُوي أن خديجة لما مرضت مرض الموت، دخل عليها رسول الله ﷺ فقال لها: «يا خديجة، أما علمتِ أن الله قد زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران، وكلثوم أخت موسى، وآسية امرأة فرعون؟» فقالت: «فعل ذلك يا رسول الله؟» قال: «نعم.» فقالت: «بالرفاء والبنين.»

فتوالت على رسول الله ﷺ في هذه السنة مصيبتان: موت عمه أبي طالب، وخديجة رضي الله عنها.

(وفي هذه السنة العاشرة أيضاً) خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف وإلى ثقيف. قيل إنه خرج وحده، وقيل معه زيد بن حارثة، وذلك بعد ثلاثة أشهر من موت خديجة، لثلاث ليالٍ بقين من شوال، يستنصرهم وهو مكروب لموت عمه أبي طالب.

قال محمد بن كعب القرظي: لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف، عمد إلى نفر من ثقيف، وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل، ومسعود، وحبيب بن عمرو بن عمير.

وفي شرح المواهب، ذكر أنه عند أحدهم امرأة من قریش من بني جمح. فجلس إليهم ودعاهم إلى الله عز وجل، وكلمهم بما جاءهم به من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه. فقال أحدهم: «هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك». وقال الآخر: «أما وجد الله أحدًا يرسله غيرك؟» وقال الثالث: «والله لا أكلمك كلمة أبدًا، لئن كنت رسولًا من الله كما تقول، لأنت أعظم خطرًا من أن أرد عليك الكلام، وإن كنت تكذب، ما ينبغي لي أن أكلمك.»

فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يؤس من خير ثقيف. وقال لهم: «إذ فعلتم ما فعلتم، فاكنتموا عليّ.» وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه ذلك، فلم يفعلوا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم، يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع الناس عليه، فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى أدموا رجليه.

وفي المواهب، قال موسى بن عقبة: «رموا عراقيه بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدماء.» زاد غيره: «وكان إذا أذلقته الحجارة، قعد إلى الأرض، فيأخذون بعصديه فيقيمونه، فإذا مشى رجموه وهم يضحكون.» وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه، حتى لقد شجَّ في وجهه شجاجًا.

وألجأوا النبي ﷺ إلى حائط لعبة وشيبة ابني ربيعة، ورجع عنه من كان يتبعه من سفهاء ثقيف. عمد النبي ﷺ إلى ظل شجرة، فجلس فيه محزونًا. وكان ابنا ربيعة ينظران إليه، فلما رأيا ما لقيه من سفهاء ثقيف، تحركت له رحمتها.

فدعوا غلامًا لهما نصرانيًا يُقال له عدّاس، وقالوا له: «خذ قطعًا من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل وقل له يأكل منه.»

ففعل عداس، ثم أقبل حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ. فلما وضع رسول الله ﷺ يده قال: «بسم الله الرحمن الرحيم.» ثم أكل. فنظر عداس إلى وجهه وقال: «إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذا البلد.» فقال رسول الله ﷺ: «ومن أي البلاد أنت؟ وما دينك؟» قال: «أنا نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى.» فقال رسول الله ﷺ: «أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟» قال: «وما يدريك ما يونس بن متى؟» قال: «ذاك أخي، كان نبياً وأنا نبي.»

فأكب عداس على رسول الله ﷺ يُقبّل رأسه ويديه وقدميه، وأسلم.

وكان ابنا ربيعة ينظران إليه، فقال أحدهما للآخر: «أما غلامك فقد أفسده عليك.» فلما جاءهما عداس، قالوا له: «ويلك يا عداس، ما لك تُقبّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟» فقال: «يا سيدي، ما في الأرض خير من هذا الرجل، لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي.» ثم انصرف رسول الله ﷺ من الطائف حين يئس من خير ثقيف محزونًا؛ روي أن الله أرسل إليه جبريل ومعه ملك الجبال، فقال له: «إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين، وهما جبلا مكة.» قال العلماء: «أي بعد نقلهما إلى الطائف.» وقيل: «الضمير لأهل مكة لأنهم سبب ذهابه إلى ثقيف.» فقال ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله تعالى من أصلا بهم من يعبده لا يشرك به شيئًا.» فقال له ملك الجبال: «أنت

كما سماك ربك رؤوف رحيم.» ثم سار إلى حراء. وفي أسد الغابة، ولما عاد من الطائف، أرسل إلى مطعم بن عدي يطلب منه أن يجيره، فأجاره ودخل المسجد معه. وكان رسول الله ﷺ يشكر له ذلك. وكان رجوعه من الطائف لثلاث وعشرين ليلة خلت من ذي القعدة. وفي رجوعه ﷺ من الطائف، نزل في نخلة، وهو موضع على مسافة ليلة من مكة. فصرف إليه سبعة من جن نصيبين، وهي مدينة بالشام. فلما سمعوا القرآن، استمعوا له وهو يقرأ سورة الجن، كما قاله مغلطي. فلما رجعوا إلى قومهم قالوا: ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾. وأنزل الله على نبيه: ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾. ما في الصحيحين، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ الآية.

وفي السنة الحادية عشرة من النبوة، كان ابتداء إسلام الأنصار. رُوي أن رسول الله ﷺ كان يخرج ويتتبع آثار الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة وذي المجاز في الموسم، ويقول: «من يؤويني، من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي فله الجنة؟» فلا يجد أحداً ينصره ولا يجيبه، حتى إنه ليسأل عن القبائل ومنازلها، قبيلة قبيلة، فيردونه أقبح ردّ، ويؤذونه، ويقولون: «قومك أعلم بك.» إلى أن أراد الله إظهار دينه فساقه ﷺ إلى هذا الحي من الأنصار، وهو لقب إسلامي لنصرتهم النبي ﷺ، وكانوا يسمون أولاد قبيلة، والأوس، والخزرج. فلقي في منى بعض الخزرج عند العقبة التي بجانب منى، فقال: «من أنتم؟»

قالوا: من الخزرج. قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ فجلسوا، فدعاهم إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن. وكان عندهم علم منه، فعرّفوا نعتة؛ لأن يهود المدينة كانوا يقولون لهم: «إن نبياً يبعث الآن نتبعه ونقتلكم معه.» فأجابوه لئلا تسبقهم اليهود إليه. فأسلم منهم ستة، فقال لهم: «تمنعون ظهري حتى أبلغ رسالة ربي؟» فقالوا: «ندعو قومنا إلى ما دعوتنا إليه، فإن أجابوا فلا أحد أعز منك. وموعدك الموسم في العام القابل.» وأمرهم بالكتمان عن أهل مكة.

فلما وصلوا المدينة، لم يبق فيها دار إلا وفيها ذكره. ثم في العام الثاني، لقيه اثنا عشر، خمسة من الستة الأول والبقية من الخزرج أيضاً، إلا رجلين فمن الأوس. وهذه هي العقبة الثانية. فأسلموا وقبلوا ما اشترط عليه. ثم رجعوا وأظهر الله الإسلام فيهم. وكان أسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن أسلم.

ثم أرسلوا يطلبون من يعلمهم القرآن، فأرسل إليهم مصعب بن عمير. فأسلم على يده جمع كثير منهم، سيد الأوس سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وأسلم بنو عبد الأشهل كلهم في يوم واحد، رجالاً ونساء.

ثم قدم في العام الثالث في الموسم نحو سبعين رجلاً، وهي العقبة الثالثة. فبايعهم على أنهم يمنعون مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم، وعلى حرب الأحمر والأسود. وحضر العباس هذه الثالثة وأكد عليهم صدق الحديث.

(تنبيه) بعضهم يسمي العقبة الثالثة ثانية (وفي السنة) الثانية عشرة من النبوة قبل الهجرة بسنة كما قاله ابن شهاب عن ابن المسيب،

أسري بالنبي ﷺ وعرج به يقظة ليلة السبت لسبع وعشرين خلت من ربيع الأول، قاله ابن الأثير والنووي في شرح مسلم وقيل في ربيع الآخر قاله النووي في فتاويه وقيل في رجب وعليه العمل الآن وقيل غير ذلك. وأما مناما فوقع له ذلك ثلاثا وثلاثين مرة على ما ذكره الشعراني وفرضت عليه في تلك الليلة الصلوات الخمس.

(فائدة) قال صاحب الكنز المدفون: سألني سائل عن ركوبه ﷺ البراق ليلة الإسراء، هل انتهى به إلى بيت المقدس خاصة أم صعد به إلى السموات؟ قال: فتأملت الأحاديث الواردة في ذلك، فوجدت منها ما هو ساكت عن ذلك، ومنها ما هو مصرح بالثاني. ومنه حديث أنس الذي أخرجه الإمام أحمد عن عفان، أنبأنا همام قال: سمعت قتادة يحدث عن أنس فذكره، ولفظه: «ثم أتيت بدابة، قال: فحملت عليه، فانطلق بي جبريل حتى أتى بي إلى السماء الدنيا ولم يذكر بيت المقدس». وفي رواية حذيفة: «والله سارا بالبراق حتى فتحت لهما أبواب السماء، فرأيا الجنة والنار»، رواه الترمذي. قال الحلبي: كانت صلاته ﷺ قبل فرض الصلوات الخمس إلى الكعبة، وبعدها إلى بيت المقدس، جاعلاً الكعبة بينه وبين بيت المقدس ليكون مستقبلاً لها أيضاً. فلما قدم المدينة، لم يمكنه هذا الجعل، فشق عليه استدبار الكعبة، فهذا سبب تحويل القبلة. وفي هذه الليلة شق صدره ﷺ. وقد وقع شق صدره الشريف ﷺ خمس مرات: مرة في طفولته عند حليمة، وهي متفق عليها، ومرة وهو ابن عشر سنين وأشهر، رواها مسلم، ومرة ليلة الإسراء، ومرة حين جاءه الملك بالوحي، ذكرها بعضهم، ومرة في النوم. وفي ليلة الإسراء، رأى ربه بعيني رأسه على

الصحيح وكلمه. ورؤيته له في الدنيا من خصوصياته ﷺ، وهي
مستحيلة شرعاً على غيره في الدنيا. ولما أصبح، أخبر الناس، فكذبه
الكفار، وسألوه عن صفة بيت المقدس، ولم يكن رآه قبل، فرفعه له
جبريل حتى وصفه لهم.

فصل في ذكر الهجرة وما يتصل بها

قال أهل السير: لما أبرم عقد المبايعة بين النبي ﷺ وأهل المدينة، ولم يقدر أصحابه أن يقيموا بمكة من إيذاء المشركين ولم يصبروا على جفوتهم، رخص لهم في الهجرة إلى المدينة. روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما اشتد البلاء على المسلمين من المشركين، شكوا إلى رسول الله ﷺ، ثم استأذنوه في الهجرة، فقال: قد رأيت دار هجرتكم، وهي أرض سبخة ذات نخل بين لابتين. ثم مكث بعد ذلك أياماً، وخرج إلى أصحابه وهو مسرور فقال: قد أخبرت بدار هجرتكم، ألا وهي يثرب. فمن أراد منكم الخروج فليخرج. فخرجوا أرسالاً، أي قطائع سرّاً، إلا عمر بن الخطاب فإنه أعلن بالهجرة، ولم يمنعه أحد من كفر مكة هو وأخوه زيد بن الخطاب. ولم يبق معه ﷺ إلا أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب، كذا قال ابن إسحاق وغيره. ثم لما رأت قريش أن رسول الله ﷺ أصاب منعة وأصحاباً بغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، تحذروا خروجه ﷺ، واجتمعوا بدار الندوة للمشاورة، وهي دار قصي بن كلاب. وكانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها، وفيها يتشاورون. وحجبوا الناس عن الدخول إليهم لئلا يدخل أحد من بني هاشم فيطلع على حالهم. قال ابن دريد: كانوا خمسة عشر رجلاً، وقال ابن دحية: كانوا مائة رجل. ولما جلسوا للتشاور، تبدى لهم إبليس في صورة شيخ نجدي جليل. وفي رواية: ويده عكازة يتوكأ عليها، وعليه جبة صوف

وبرنس أخضر متطيلس، فوقف على باب الدار. فلما رأوه قالوا: من الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد سمع بالذي تواعدتم له فحضر معكم ليعرف ما تقولون، وعسى ألا يعدمكم منه رأيًا ونصحًا. وإن كنتم تكرهون جلوسي معكم فلا أقعد معكم. فقالت قريش بعضهم لبعض: هذا رجل من نجد لا من مكة ولا يضركم حضوره. فشرعوا في الكلام، وقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل يعني محمدًا ﷺ قد كان من أمره ما كان، وأنا والله لا نأمن منه الوثوب علينا بمن اتبعه. فأجمعوا فيه رأيًا، فقال أبو البحتري بن هشام، وفي رواية قال هشام بن عمرو: رأيي أن تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة، تلقون إليه طعامه وشرابه منها، وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من الشعراء من كان قبله، كزهير والنابعة. فصرخ عدو الله الشيخ النجدي وقال: بس الرأي رأيتم، والله لو حبستموه لخرج أمره من وراء الباب إلى أصحابه، فوثبوا وانزعوه من أيديكم. قالوا: صدق الشيخ. وقال هشام، وفي رواية أبو البحتري: رأيي أن تحملوه على جمل وتخرجه من بين أظهركم، فلا يضركم ما صنعوا واسترحتم. فقال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به؟ فو الله لو فعلتم ذلك، ما أمتم أن يحمل على حيٍّ من العرب فيغلب عليهم من قوله وحديثه فيبايعوه، ثم يسير بهم فيطأكم به. فقالوا: صدق والله الشيخ. فقال أبو جهل: والله إن لي فيه لرأيًا ما أراكم وقعتم عليه بعد. قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ فقال: رأيي أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابًا جلدًا نسيبًا وسيطًا فينا، ثم نعطي كل فتى

سيفاً صارماً، ثم يعمدون إليه فيضربونه ضربة رجل واحد، فيقتلونه فنستريح منه. فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل كلها، فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، فيرضون منا بالعقل.

قال الشيخ النجدي -لعنه الله-: القول ما قال هذا الفتى، وهو أجودكم رأياً، ولا أرى لكم غيره، فتفرقوا على رأي أبي جهل مجمعين على قتله. فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بذلك، وقال له: لا تبت على فراشك الذي تبیت عليه الليلة. وأذن الله تعالى له عند ذلك بالخروج إلى المدينة. فأمر رسول الله ﷺ علياً أن ينام على فراشه، فنام في مضجعه، وقال: اتشح ببردي، فإنه لن يخلص إليك أمر تكرهه. ثم خرج رسول الله ﷺ، فأخذ قبضة من تراب، وأخذ الله تعالى أبصارهم عنه، وجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهو يقرأ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا -إِلَى قَوْلِهِ- فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾⁽¹⁾

قال ابن إسحاق: إن رسول الله ﷺ فيما بلغني أخبر علياً بخروجه، وأمره أن يتخلف بعده بمكة ليؤدي عنه الودائع التي كانت عنده. وكانت الودائع تودع عنده ﷺ لصدقه وأمانته. وبات المشركون يحرسون علياً على فراش رسول الله ﷺ يحسبون أنه النبي ﷺ. فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون هاهنا؟ فقالوا: محمداً. فقال: قد خيكم الله، والله قد خرج عليكم ما ترك منكم أحداً إلا وضع على رأسه التراب. وفي رواية أبي حاتم، وصححها الحاكم من حديث ابن عباس: ما أصاب رجلاً منهم حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً. وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا

(1) سورة يس: آية 8.

لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ
الْمَاكِرِينَ ﴿٢﴾

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «كان لا يخطئ أن يأتي رسول الله ﷺ بيت أبي بكر أحد طرفي النهار، إما بكرة وإما عشية، حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله تعالى فيه لرسوله في الهجرة، أتانا رسول الله ﷺ بالهجرة في ساعة كان لا يأتي فيها. قالت: فلما رآه أبو بكر قال: ما جاء رسول الله ﷺ في هذه الساعة إلا لأمر حدث. قالت: فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله ﷺ، وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر. فقال رسول الله ﷺ: اخرج عني من عندك. فقال: يا نبي الله، إنما هما ابتائي. وفي رواية البخاري: إنما هم أهلك. وما ذاك فذاك أبي وأمي؟ قال: إن الله تعالى قد أذن لي في الخروج والهجرة. قالت: فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله؟ قال: نعم. وفي الجمل على الهمزية، قال أبو بكر: فخذ إحدى راحتي. وكان قد اشترى راحتيين، أي ناقتين، قبل ذلك بستة أشهر فعلفهما منتظرًا للخروج عليهما. فقال النبي ﷺ: آخذها بالثمن. فأخذها منه بأربعمائة درهم كما اشتراها أبو بكر، وقيل إنه أبرأه منها فيما بعد. وبقيت هذه الناقة عند النبي ﷺ حتى ماتت في خلافة أبي بكر. وتزوجا، أي أخذوا الزاد من بيت أبي بكر، وخرجوا منه ليلة الجمعة. فوصلا إلى غار ثور ليلاً، فأقاما فيه بقية ليلتهما، وليلة السبت، وليلة الأحد، وخرجوا منه ليلة الاثنين، ودخلا المدينة يوم الاثنين. فكانت مدة سفرهما ثمانية أيام. ولما فقدته قريش طلبوه

(٢) سورة الأنفال: آية ٣٠.

بمكة أعلاها وأسفلها، وبعثوا القافّة أثره في كل وجه. فوجد الذي ذهب قبل ثور أثره هنالك، فلم يزل يتبعه حتى انقطع ذلك الأثر عند ثور. وشق عليهم خروجه، وجزعوا منه، وجعلوا لمن رده مائة ناقة. ولما دخل الغار أنبت الله على بابه شجرة أم غيلان فحجبت عن الغار أعين الناس، وأرسل الله حمامتين وحشيتين فوقفتا على فم الغار. وروي أنهما باضتا، وأمر الله العنكبوت فنسج في أعلاه. وجاء فتيان قريش بسلاحهم، وجعل بعضهم ينظر في الغار فلم ير إلا حمامتين. فعرفوا أنه ليس فيه أحد. وقال بعضهم: ادخلوا الغار. فقال أمية بن خلف لعنه الله: وما حاجتكم في الغار؟ إن فيه عنكبوتًا أقدم من ميلاد محمد ﷺ. اهـ.

روى الشيخان عن أنس قال: قال أبو بكر: «نظرت إلى أقدام المشركين من الغار على رؤوسنا فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا». فقال: يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ وروي أن النبي ﷺ قال: اللهم أعم أبصارهم، فعميت عن دخولهم الغار.

وكان عبد الرحمن بن أبي بكر، مع صغر سنه، يأتيهما ليلاً بخبر قريش ثم يدلج من عندهما بسحر فيصبح كبائت بمكة. وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يأتيهما كل ليلة بما يغذيهما من لبن. واستأجرا عبد الله بن الأرقط ليدلّهما على الطريق ولم يعرف له إسلام. ودفعا راحلتيهما له ووعداه بغار ثور بعد ثلاث ليال، فأتاهما وخرجا وسارا، وسار معهم عامر بن فهيرة. أخذوا طريق البحر، وبينما هم في الطريق إذ عرض لهم سراقة بن مالك فساخت قدما فرسه إلى

ركبتها والأرض صلبة. فناداهم بالأمان، فخلصت فأتاهم وعرض عليهم الزاد والمتاع فأبوا وقالوا: أخف عنا. فرجع وصار لا يلقي أحدا إلا رده ويقول: سبرت الطريق فلم أجد أحداً.

وقع في طريق الهجرة عجائب، منها أنهم مروا بقديد على أم معبد الخزاعية، وكانت تطعم وتسقي من يمر بها، وكانت السنة مجدبة. فطلبوا منها لبناً أو لحماً يشترونه فلم يجدوا. فنظر ﷺ إلى شاة خلفها الجهد والضعف عن أن تسرح مع صواحباتها. فسألها: هل بها لبن؟ فقالت: هي أجهد من ذاك. فقال: أتأذنين لي أن أحلبها؟ قالت: نعم. فدعا بها وبإناء فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله تعالى، فدرت. فحلب وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم، ثم حلب ثانياً وتركوه وذهبوا. فجاء زوجها فأخبرته الخبر فقال: هذا والله صاحب قريش، ولو رأيته لتبعته. وفي سيرة الحلبي: إن أم معبد هاجرت وأسلمت وكذا زوجها وأخوها. وكان أهلها يؤرخون بيوم نزول الرجل المبارك. وبقيت تلك الشاة يحلبونها ليلاً ونهاراً إلى أن ماتت في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ومنها ما رواه الزمخشري في «ربيع الأبرار» عن هند بنت الجون، نزل رسول الله ﷺ خيمة خالتها أم معبد. فقام من رقدته فدعا بماء فغسل يديه، ثم تمضمض ومج في عوسجة إلى جانب الخيمة. فأصبحنا وهي كأعظم دوحه، وجاءت بثمرة كأعظم ما يكون في لون الورد ورائحة العنبر وطعم الشهد. ما أكل منها جائع إلا شبع، ولا ظمآن إلا روي، ولا سقيم إلا برأ، ولا أكل من ورقها بعير ولا شاة إلا در لبنها. فكنا نسميها المباركة ويأتينا من البوادي من يستشفى بها

ويتزود منها. حتى أصبحنا ذات يوم وقد تساقط ثمرها وصغر ورقها. ففزعنا فما راعنا إلا نعي رسول الله ﷺ. ثم إنها بعد ثلاثين سنة أصبحت ذات شوك من أسفلها إلى أعلاها. وتساقط ثمرها وذهبت نضرتها. فما شعرنا إلا بقتل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. فما أثمرت بعد ذلك وكنا ننتفع بورقها. ثم أصبحنا وإذا بها قد نبع من ساقها دم عبيط، وقد ذبل ورقها. فبينما نحن فرعون مهمومون، إذ أتانا خبر قتل الحسين بن علي رضي الله عنه. ويبست على أثر ذلك وذهبت. انتهى.

ولما سمع المسلمون بالمدينة بمقدمه ﷺ صاروا يخرجون كل يوم إلى الحرة ينتظرونه إلى الظهر. فانتظروه يوما وعادوا إلى بيوتهم، وإذا يهودي ارتقى مكانا عاليا فرآه مقبلاً فصاح وقال: هذا جدكم، أي حظكم يا بني قيلة، أي الأوس والخزرج. فخرجوا إليه سراعا بسلاحهم. فنزل بقاء وكان يوم الاثنين، قيل أول ربيع الأول، وقيل ثاني عشرة. وأدركه علي رضي الله عنه ومن معه من ضعفاء المسلمين بقاء. ولم يقم بعد خروج النبي ﷺ بمكة إلا ثلاثة أيام. ثم أمر رسول الله ﷺ بالتاريخ فكتب من حين الهجرة. وكانوا قبل ذلك يؤرخون بعام الفيل. وأقام ﷺ بقاء في بني عمرو بن عوف اثنين وعشرين يوماً، وقيل أربع عشرة ليلة، وقيل ثلاثاً، وقيل أربعة أيام، يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس. وأسس مسجده على التقوى من أول يوم. ثم خرج رسول الله ﷺ من بقاء يوم الجمعة حين ارتفع النهار. فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها بمن كان معه من المسلمين وكانوا مائة في بطن وادي رانوءاء، براء مهملة ونونين ممدودا. ثم ركب ﷺ وسار. فكان كلما مر بدار من دور الأنصار

سألوا النزول عندهم فيقول: خلوا سبيلها، أي ناقته، فإنها مأمورة. وأرخى زمامها، فاستمرت إلى أن بركت بموضع باب المسجد. ثم ثارت وهو عليها حتى بركت بباب أبي أيوب رئيس بني النجار أحوال عبد المطلب. ثم ثارت وبركت في مبركها الأول. ثم صوّت فنزل عنها وقال: هذا المنزل إن شاء الله تعالى. وفرح أهل المدينة بقدومه ﷺ فرحاً شديداً. قال أنس بن مالك رضي الله عنه: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة، أضاء منها كل شيء وصعدت الخدور على الأجاجين عند قدومه ويقلن:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

روى البيهقي عن أنس قال: لما بركت الناقة على باب أبي أيوب خرج جوار من بني النجار يقلن:

نحن جوار من بني النجار
يا حبذا محمد من جار

فقال ﷺ: «أتحببني؟» قلن: نعم يا رسول الله، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن قلبي يحبكن.» وكان مبرك ناقتة ﷺ مربداً للتمر (بكسر الميم وفتح الموحدة)، أي محلاً لجمعه وتجفيفه ليتيمين في حجر أسعد بن زرارة. فدعا بهما وكان جالساً بدار أبي أيوب. وساوهمما على المربد فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى أن يقبله هبة وابتاعه منهما بعشرة دنائير أداهما من مال أبي بكر. ثم بنى فيه مسجده وسقفه بالجريد وجعل عمدته جذوعاً وجعل ارتفاعه قامة، وجعل قبلته إلى

بيت المقدس إلى أن حولت القبلة إلى الكعبة فحولها. ثم زاد فيه النبي ﷺ بعد فتح خيبر لكثرة الناس. فلما استخلف أبو بكر لم يحدث فيه شيئاً. فلما استخلف عمر رضي الله عنه وسعه بدار العباس بن عبد المطلب، وكان عمر سأل أن يبيعها فوهبها العباس لله وللمسلمين. ثم لما استخلف عثمان بن عفان رضي الله عنه بناه بالحجارة وجعل أعمدته حجارة وسقفه بالساج وزاد فيه، ونقل إليه الحصى من العقيق. وبني ﷺ في ذلك المربد حبرتي زوجتيه سودة وعائشة، وأما بقية حجر زوجاته فبناها بعد عند الحاجة إليها. مكث ﷺ في بيت أبي أيوب سبعة أشهر إلى أن تم المسجد والحجرتان.

وفي «شرح المقاصد» قال: وفي الصحيح في ذكر بناء المسجد: «كنا نحمل لبنة لبنة، وعمار لبنتين لبنتين». فرآه النبي ﷺ فجعل ينفذ التراب عنه ويقول: «ويح عمار! تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار». ويقول عمار: «أعوذ بالله من الفتن». اهـ. وكان النبي ﷺ ينقل معهم الصخر ويقول: اللهم لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار والمهاجرة

دعاؤه (صلى الله عليه وسلم) للمدينة وأهلها:

وحصل لأبي بكر وبلال وبعض المهاجرين كعامر بن فهيرة وعك بالمدينة. روي أن هواء المدينة كان عفناً وخماً، وكانت مشهورة بالوباء في الجاهلية، فإذا دخلها غريب يُقال له: «إن أردت أن تسلم من الوباء والعك فالهتق مثل الحمار»، فإذا فعل سلم. فاستوخم المهاجرون هواء المدينة ولم يوافق مزاجهم، فمرض كثير

منهم وضعفوا حتى لم يقدرُوا على الصلاة قيامًا. فكان المشركون والمنافقون يقولون: «أضناهم حمى يثرب»، نقله بعضهم.

وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك»، قال القسطلاني بضم الواو وكسر العين، أي: حم أبو بكر وبلال. قالت: «فدخلت عليهما فقلت: يا أبت، كيف تجدك؟ ويا بلال، كيف تجدك؟» قالت: «فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول: كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شرك نعله وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول: ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحوالي إذخر وجليل وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل قالت عائشة فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال: اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصححها وبارك لنا في صاعها ومدّها وانقل حماها فاجعلها بالجحفة.

فصل في غزواته ﷺ وما يذكر معها

واعلم أن النبي ﷺ أقام بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين وشهرين ثم توفي ﷺ. ففي السنة الأولى فرض عليه الجهاد، وبعث حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين من المهاجرين يعترض عيراً القريش في رمضان، وبعث عبيدة بن الحرث في ستين رجلاً من المهاجرين إلى بطن رابغ. كما بعث سعد بن أبي وقاص إلى الخرار (بخاء معجمة وراء عين) قرب الجحفة في ذي القعدة في عشرين من المهاجرين يعترض عيراً القريش. وأول غزواته ﷺ كانت غزوة الأبواء، كما قاله ابن إسحاق وجماعة، والأبواء قرية بين مكة والمدينة وتسمى غزوة ودان، وكانت على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة.

وفي هذه السنة كان بدء الأذان، عندما استشار النبي ﷺ أصحابه فيما يجمعهم به للصلاة، ورأى عبد الله بن زيد بن عبد ربه في منامه الأذان. وفي هذه السنة أيضاً أعرس النبي ﷺ بعائشة رضي الله عنها، وجعلت صلاة الحضر أربع ركعات بعد مقدمه بشهر. وفيها صلى صلاة الجمعة، وكانت أول خطبة خطبها في الإسلام. وفيها آخى بين المهاجرين والأنصار بعد مقدمه بثمانية أشهر. وفيها صلى النبي ﷺ صلاة الجنازة على البراء بن معرور بعد وفاته بشهر، وعلى تبع اليماني الذي آمن بالنبي ﷺ قبل مبعثه بسبعمئة سنة، وكان أول من كسا البيت، كما نقله ابن عبد البر. وكانت وفاته يوم قدومه المدينة، كما قاله ابن العماد.

وفي السنة الثانية من الهجرة، في نصف شعبان، حولت القبلة إلى الكعبة، وفيها فرضت زكاة المال قبل فرض رمضان كما أشار إليه النووي في باب السير من «الروضة». وفرض الصوم في أواخر شعبان. وفيها كانت غزوة بدر الكبرى، التي كانت يوم الجمعة السابع والعشرين من رمضان. وفي الثامن والعشرين منه فرضت زكاة الفطر. وفيها صلى النبي ﷺ صلاة عيد الفطر وصلاة عيد الأضحى، وضحي بكبشين أملحين أقرنين. وفيها أعرس عليّ بفاطمة ؑ.

وفي هذه السنة كانت غزوات بواط، وذى العشيرة، وبني قينقاع، والسويق. وفي «المواهب»، بواط بفتح الباء الموحدة وقد تضم، وتخفيف الواو آخره طاء مهملة، موضع من ناحية رضوى. والعشيرة بضم العين ثم شين معجمة مفتوحة، وهي أرض لبني مدليج بناحية الينبع، كما في القاموس. وكانت بعد بواط بأيام قلائل. أما غزوة قينقاع، فكانت بفتح القاف وضم النون. وكانت غزوة السويق في خامس ذي الحجة من السنة الثانية، وذلك أن أبا سفيان نذر أن يغزو محمداً ﷺ وأصحابه بعد أن أصابهم ما أصابهم في بدر. فخرج من مكة في مائتي راكب، حتى نزل قريباً من المدينة بمحل بينه وبينها نحو ميل، فقطع جانباً من النخل، وقتل رجلين من الأنصار. فبلغ النبي ﷺ فخرج في طلبه، ولكن هرب هو وأصحابه وصاروا يرمون السويق (وهو دقيق الشعير المحمص) ليخف عليهم السير فيأخذه الصحابة.

وفي السنة الثالثة من الهجرة، حرمت الخمرة في شوال منها (وقيل في الرابعة)، وولد الحسن بن علي ؑ. وفيها كانت غزوة أحد، وحمراء الأسد، وغزوة غطفان، وسرية كعب بن الأشرف. وأحد

جبل على ثلاثة أميال من المدينة، وسُمي بذلك لتوحده وانقطاعه عن الجبال، وهو الذي قال فيه ﷺ: «أحد جبل يحبنا ونحبه». قيل فيه قبر هارون أخي موسى عليهما السلام. وكانت وقعته يوم السبت في شوال سنة ثلاث، كما في المواهب.

أما حمراء الأسد، فكانت مكانًا بين المدينة وأحد على مسافة ثمانية أميال. وفي السنة الرابعة كانت غزوة بني النضير وذات الرقاع وصلاة الخوف، وقيل في السنة التي بعدها. وفيها وُلد الحسين بن علي رضي الله عنه، ونزلت آية التيمم كما قاله في «الروضة». وفيها كان رجم اليهوديين اللذين زنيا، وفيها قصرت الصلاة في السفر.

وفي السنة الخامسة كانت غزوة دومة الجندل وغزوة المريسيع، وتسمى غزوة المصطلق، وفيها كان حديث الإفك على ما رجه الحاكم وغيره، وقيل إنها كانت في سنة ست على ما قاله ابن إسحاق وجزم به الطبري وغيره، وقيل إنها كانت في سنة أربع كما قاله موسى بن عقبة. وفيها نزلت آية الحجاب، وقيل في السنة التي قبلها. وفيها سابق الخيل، وفيها غزوة الخندق (الأحزاب) على ما قاله ابن إسحاق، وقال موسى بن عقبة إنها كانت في سنة أربع، وكذلك غزوة بني قريظة.

وفي السنة السادسة من الهجرة كانت غزوة الحديبية وهي قرب مكة، وكانت في مستهل القعدة منها. وكان عدد المسلمين ألفاً، فصالحوا النبي ﷺ وبايعوه بيعة الرضوان تحت الشجرة. وفيها قحط الناس فاستسقى لهم النبي ﷺ، فسقوا في رمضان. وفيها كانت غزوة بني لحيان وغزوة الغابة.

وفي السنة السابعة من الهجرة كانت عمرة القضاء في مستهل القعدة منها، وكان ﷺ في ألفين، وساق من المدينة ستين بدنة فنحرها وأقام بمكة ثلاثاً ثم رجعوا. وفي هذه السنة كانت غزوة خيبر، وإسلام أبي هريرة، وبعثه ﷺ الرسل إلى الملوك، واتخاذ الخاتم لختم الكتب، وتحريم الحمر الأهلية والنهي عن متعة النساء. وفيها جاءت مارية القبطية وبغلته دلدل، وغير ذلك.

وفي السنة الثامنة كانت غزوة الفتح (فتح مكة) وكانت في رمضان منها، وذلك بسبب نقض قريش العهد. وطاف النبي ﷺ بالبيت يوم الجمعة لعشرين من رمضان، وحوله ثلاثمائة وستون صنماً، وكلما مر بصنم أشار إليه بقضيب في يده قائلاً: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً»، فيسقط الصنم لوجهه. وفي هذه السنة كان قدوم خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة وعمر بن العاص وإسلامهم. وفيها غزوة حنين وغزوة الطائف، وفيها اتخاذ المنبر والخطبة عليه، وقيل إن اتخاذه كان في سنة تسع كما قاله ابن الجوزي في مولده. وفي هذه السنة وُلد إبراهيم ابن النبي ﷺ، و وفاة زينب ابنته ﷺ، وغير ذلك.

وفي السنة التاسعة كانت غزوة تبوك وهدم مسجد الضرار، وقدوم الوفود وتتابعها. وحج فيها أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالناس، ومعه ثلاثمائة رجل وعشرون بدنة بسورة براءة، لينبذ إلى كل ذي عهد عهده، وألا يحج بعد العام مشرك، وأن لا يطوف بالبيت عريان. وفي هذه السنة مات النجاشي وأم كلثوم بنت النبي ﷺ، وغير ذلك.

وفي السنة العاشرة كانت حجة الوداع، وتسمى حجة الإسلام. فخرج النبي ﷺ من المدينة يوم الخميس من ذي القعدة، ومعه

أربعون ألفاً، وقيل سبعون ألفاً، وقيل مائة ألف، وقيل غير ذلك. فكانت وقفته بالجمعة، ونزل عليه ﷺ فيها قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (3).

ولم يحج النبي ﷺ بعد الهجرة سواها وقد حج قبل النبوة وبعدها حجات لا يعرف عددها. واعتمر بعد أن هاجر أربع عُمر؛ عمرة الحديبية وعمرة القضاء وتسمى عمرة القضية وعمرة من الجعرانة في أثر وقعة حنين وعمرة مع حجته، ففي الصحيحين من حديث أنس أنه ﷺ اعتمر أربع عمر. وقد اختلف في السنة التي فرض الله عليه فيها الحج ف قيل في سنة خمس وقيل ست وقيل سبع وقيل ثمان وقيل تسع وفي السنة العاشرة أيضاً أسلم جرير بن عبد الله البجلي ونزلت إذا جاء نصرُ الله والفتحُ (4) بمنى يوم النحر في حجة الوداع وقيل قبل وفاته بثلاثة أيام ومات فيها إبراهيم ابنه ﷺ. انتهى من حاشية الشنواني على المولد بتصرف وزيادات من غيرها.

وهذه أسماء الغزوات التي قاتل فيها ﷺ بنفسه: بدر، أحد، الخندق، المصطلق، خيبر، الفتح، حنين، الطائف، كذا قال ابن إسحاق. ولم يقتل ﷺ بيده الشريفة إلا رجلاً واحداً، وهو أبي بن خلف يوم أحد. والسر في قتله أنه كان له فرس يطعمه القديد من اللحم والبر، وكان إذا لقي النبي ﷺ بمكة يقول له: «أنا أقتلك على فرسي هذا»، فيقول له ﷺ: «بل أنا أقتلك وأنت عليه». فلما كان يوم أحد، جاء ذلك اللعين وهو على فرسه، وهو يقول: «أين محمد؟

(3) سورة المائدة: آية 3.

(4) سورة النصر: آية 1.

لا نجوت إن نجا». فأراد الصحابة أن يحولوا بينه وبينه، فنهاهم صلى الله عليه وسلم وقال: «افرجوا له». ثم تناول حربته من بعض أصحابه، ثم نظر إلى درعه صلى الله عليه وسلم فوجد ترقوته من حلقه، فضربه فخر صريعاً. فكبرت الصحابة إذ ذاك. فلما رجع إلى قريش، قال: «قتلني والله محمد». قالوا: «ذهب والله فؤادك، والله ما بك بأس». قال: «إنه قد كان قال لي بمكة: أنا أقتلك». وفي رواية قال له أبو سفيان: «ويلك! ما بك إلا خدشة». فقال: «مه، أبا سفيان، والله لو بصق علي محمد لقتلني». وقد قال صلى الله عليه وسلم: «اشتد غضب الله على من قتل نبياً أو قتله نبي». أما من قتل، فظاهر، وأما من قتله نبي، فلأن اعتناء النبي بقتله أدل دليل على عظم عتوه وفساده، كهذا اللعين، ذكره البابلي في سيرته.

وهذه سراياه وبعوثه صلى الله عليه وسلم: سرية عبدة بن الحرث إلى أحياء من أسفل ثنية المرة، وهي ماء بالحجاز وتقدمت أول الفصل. وسرية حمزة إلى ساحل البحر من ناحية العيص وتقدمت كذلك. وسرية سعد بن أبي وقاص، وبعث محمد بن مسلمة فيما بين أحد وبدر إلى كعب بن الأشرف. وسرية عبد الله بن جحش إلى نخلة. وسرية زيد بن حارثة. وسرية مرثد بن أبي مرثد. وسرية منذر بن عمرو.

وسرية أبي عبدة بن الجراح رضي الله عنه. وسرية عمر بن الخطاب. وسرية علي بن أبي طالب. وسرية أبي العوجاء السلمي. وسرية عكاشة بن محصن. وسرية أبي سلمة بن عبد الأسد. وسرية محمد بن مسلمة. وسرية بشر بن سعد. وسرية زيد بن حارثة. وسرية زيد بن حارثة أيضاً. وسرية عبد الله بن رواحة. وسريته أيضاً لبشير بن رزام اليهودي. وسرية عبد الله بن عتيك. وسرية زيد بن حارثة، وجعفر بن

أبي طالب وعبد الله بن رواحة لمؤتة، وفيها استشهد سيدنا جعفر. وسرية كعب بن عمر الغفاري. وسرية عيينة بن حصن بن حذيفة بن زيد بن العنبر. وسرية غالب بن عبد الله الكلبي. وسرية عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بني عذرة. وسرية أبي حدرد وأصحابه إلى بطن آضم قبل الفتح. وسرية أبي عبيدة بن الجراح، ذكره ابن إسحاق، وزاد ابن هشام بعث عمرو بن أمية الضمري بعثه ﷺ لقتل أبي سفيان بمكة. وسرية زيد بن حارثة إلى مدين. وسرية سالم بن عمير أبي جعد، قال الشيخ محيي الدين حدثني به عمرو بن عوف. وسرية عمير بن عدي. وبعث ﷺ علقمة بن محدر في طلب القوم الذين قتلوا وقاص بن محرز بوادي قرد. وبعث كرز بن جابر في طلب الرعاء الذين قتلوا راعي رسول الله ﷺ. وسرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى اليمن مرة أخرى. وسرية أسامة بن زيد إلى الروم، فمات رسول الله ﷺ قبل خروجه، وولي أبو بكر رضي الله عنه فأمضاها. وكل سراياه ﷺ كانت بعد الهجرة كالغزوات.

وفي سنة سبع من الهجرة، جاءت رؤساء يهود المدينة إلى لبيد بن الأعصم وكان ساحراً، فقالوا له: «يا أبا الأعصم، أنت أسحرنا، وقد سحرنا محمداً فلم يصنع شيئاً، ونحن نجعل لك جعلاً على أن تسحره سحرًا ينكوه». فجعلوا له ثلاثة دنائير فسحره في مشط له ﷺ ومشاطة من شعر رأسه أعطاهما له غلام يهودي كان يخدمه ﷺ أحياناً، وعقد في وتر إحدى عشرة عقدة فيها إبر مغروزة، ودفن ذلك في بئر ذروان. فمكث ﷺ متغير المزاج من ذلك سنة، وقيل ستة أشهر، وقيل أربعين يوماً. فلما اشتد به الحال ونزل جبريل فأخبره،

بعث عليًا فاستخرج ذلك، وصار كلما حل عقدة وجد خفة حتى قام عند انحلال العقدة الأخيرة كأنما نشط من عقال. وقد مسخ الله ماء تلك البثر حتى صار كنفاعة الحناء. ثم أحضر رسول الله ﷺ ليبيدًا فاعترف واعتذر بأن الحامل له على ذلك دناير جعلها له اليهود في مقابلة سحره. فعفا عنه ولم يؤثر السحر في عقله، بل في بعض جوارحه.

وقد نافق جماعة من أهل المدينة، كان رئيسهم عبد الله بن أبي بن سلول، وفيهم أنزل الله سورة المنافقين. وفي السنة السابعة أيضًا من الهجرة، بعد فتح خيبر، سمّته امرأة يهودية. ففي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لما فتحت خيبر، أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم»، قال القسطلاني بثليث السين: «أهدتها له زينب بنت الحرث اليهودية، امرأة سلام بن مشكم، وكانت قد سألت أي عضو من الشاة أحب إليه، فقبل الذراع، فأكثر فيها من السم». فلما تناول الذراع، لأك منها مضغة ولم يسغها، وأكل منها معه بشر بن البراء فأساغ لقمته ومات منها. وعند البيهقي أنه ﷺ أكل وقال لأصحابه: «أمسكوا، فإنها مسمومة». وقال لها: «ما حملك على ذلك؟» قالت: «أردت إن كنت نبيًا فيطلعك الله، وإن كنت كاذبًا فأريح الناس منك». قال فما عرض لها، وزاد عبد الرزاق: «واحتجم على الكاهل». قال الزهري: «وأسلمت، فتركها». وعند ابن سعد أنه دفعها إلى أولياء بشر فقتلوها. انتهى.

فصل في ذكر أعمامه ﷺ وعماته وأزواجه وخدمته وما يتصل بذلك

في ذخائر العقبى⁽⁵⁾: وكان له ﷺ اثنا عشر عمًّا، بنو عبد المطلب، أبوه ثالث عشرهم: الحارث، وأبو طالب واسمه عبد مناف، والزبير ويُكنَّى أبا الحارث، وأبو لهب واسمه عبد العزى، والغيداق، والمقوم، وضرار، وقثم، وعبد الكعبة، وحجل ويسمى المغيرة، وحمزة، والعباس، انتهى. ولم يعقب منهم إلا خمسة: الحارث، والعباس، وأبو طالب، وأبو لهب، وعبد الله. وكان أكبرهم الحارث وبه كان يُكنَّى عبد المطلب، وشهد معه حفر زمزم. ولم يدرك الإسلام منهم إلا أربعة: أبو طالب، وأبو لهب، وحمزة، والعباس. ولم يسلم إلا حمزة والعباس، قال ﷺ: «سيد الشهداء يوم القيامة حمزة». وقال ﷺ: «عمي وصنو أبي: العباس»، روى العباس خمسة وثلاثين حديثًا.

وأما (عماته) فست: صفيّة وإسلامها معروف محقق وهي أم الزبير بن العوام، وأروى وعاتكة وفي إسلامهما خلاف، وأم حكيم وبرّة وأميمة ولا خلاف في عدم إسلامهن، وكلهن شقيقات عبد الله والد النبي ﷺ إلا صفيّة.

وأما (زوجاته) اللاتي دخل بهن ولم يفارقهن فثنتا عشرة امرأة، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: ما تزوجت شيئًا من نسائي،

⁽⁵⁾ كتاب ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى لمحب الدين الطبري.

وَلَا زَوَّجْتُ شَيْئًا مِنْ بَنَاتِي إِلَّا بِوَحْيٍ جَاءَنِي بِهِ جَبْرِيلُ عَنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ .
 (الأولى منهن) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن
 قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشيَّة الأسديَّة، وأمها
 فاطمة بنت زائدة بن الأعصم، وكان صداقُها اثنتي عشرة أوقية ونصفًا
 من الذهب، ولم يتزوج عليها حتى ماتت، وروَّت حديثًا واحدًا.

(الثانية) سودة بنت زمعة، تزوجها في السنة العاشرة من النبوة،
 وكانت قبله تحت ابن عمها، ولما كبرت أراد طلاقها ﷺ فسألته أن لا
 يفعل، وجعلت يومها لعائشة وعاشت إلى أن ماتت في خلافة عمر .
 (الثالثة) عائشة بنت أبي بكر الصديق بن أبي قحافة القرشية،
 تزوجها ﷺ بمكة وهي بنت ست سنين وقيل سبع، ودخل بها في
 المدينة وهي بنت تسع سنين وقيل عشر، وكان مولدها سنة أربع
 من النبوة، كذا في المواهب، وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر،
 وكان صداقها أربعمئة درهم، وكانت أحب نسائه إليه، وكُنيتها أم
 عبد الله، ابن أختها أسماء بنت أبي بكر، وروَّت عائشة ألفي حديث
 ومائتي حديث وعشرة أحاديث، وتوفيت سنة ست أو سبع أو ثمانٍ
 وخمسين، وصلى أبو هريرة عليها ودُفنت بالبقيع ليلاً.

(الرابعة) حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل القرشية، أمها
 زينب بنت مَطْعُون بن حبيب، تزوجها ﷺ في شعبان على رأس
 ثلاثين شهرًا من الهجرة على الأشهر، وكان مولدها قبل النبوة
 بخمس سنين، وكان صداقها أربعمئة درهم، رَوَّت ستين حديثًا،
 وتوفيت في شعبان سنة خمس وأربعين، وصلى عليها مروان بن
 الحكم أمير المدينة يومئذ.

(الخامسة) زينب بنت خزيمة بن الحارث العربية الهلالية، تزوجها ﷺ سنة ثلاث من الهجرة، وأصدقها أربعمئة درهم، ولم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة ثم ماتت، وصلى عليها رسول الله ﷺ ودفنها بالبقيع وكان عمرها إذ ذاك ثلاثين سنة، ولم يمض من أزواجه في حياته إلا هي وخديجة وريحانة على القول بأنها زوجة.

(السادسة) أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة، تزوجها ﷺ في آخر شوال سنة أربع وقيل سنة اثنتين، قالت لولدها: «رؤجني من رسول الله ﷺ»، فزوجها واستدل به على أن الابن يلي عقد أمه وهو خلاف مذهبنا معاصر الشافعية، روت ثلاثمئة حديث وثمانية وعشرين حديثاً، توفيت في خلافة يزيد بن معاوية سنة ستين على الصحيح، وعاشت أربعاً وثمانين سنة، وصلى عليها أبو هريرة ودُفنت بالبقيع.

(السابعة) زينب بنت جحش بن رباب العربية، أمه أميمة بنت عبد المطلب، كان رسول الله ﷺ تزوجها من زيد بن حارثة، فلما فارقها زيد تزوجها رسول الله ﷺ سنة خمس من الهجرة، وقيل سنة ثلاث وقيل أربع، وأصدقها أربعمئة درهم، وهي إذ ذاك بنت خمس وثلاثين سنة، روت عشرة أحاديث، وتوفيت سنة عشرين وقيل إحدى وعشرين، وقد بلغت ثلاثاً وخمسين سنة، وصلى عليها عمر بن الخطاب ودُفنت بالبقيع.

(الثامنة) جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية المصطليقية، قال ابن هشام اشتراها ﷺ من ثابت بن قيس وأعتقها ثم تزوجها وأصدقها أربعمئة درهم، ويُقال أسلم أبوها وزوجه إياها، روت

سبعة أحاديث، وتُوفيت بالمدينة في ربيع الأول سنة ست وخمسين، وكان عمرها سبعين سنة، وصلى عليها مروان بن الحكم.

(التاسعة) رِيحَانَةُ بِنْتُ يَزِيدَ من بني النضير، كانت من سبي بني قُرَيْظَةَ فاصطفاهَا ﷺ لنفسه، وكانت جميلةً وَسِيمَةً، وخيرَهَا بين الإسلام ودينها فاختارت الإسلام، فأعتقَهَا وتَزَوَّجَهَا وأَعْرَسَ بها في المحرم سنة ست، وطلَّقَهَا ﷺ لشدة غيبتها عليه، فأكثرت البكاء فَرَاجَعَهَا ولم تزل عنده حتى ماتت في مرجعه من حَجَّةِ الوداع، ودُفِنَتْ بالبقيع، وقيل كانت مَوْطُوءَةً له بملك اليمين ولذا لم يعدَّهَا أكثر أهل السَّيَر من زوجاته.

(العاشر) أُمُّ حَبِيبَةَ رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرُ بن حَرْبِ بن أُمَيَّةَ بن عَبْدِ شَمْسٍ الْقُرَشِيَّةُ الْأُمَوِيَّةُ، أمُّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ أَبِي الْعَاصِ عَمَّةُ عثمان بن مظعون، زَوَّجَهَا إِيَّاهُ خَالِدُ بن سعيد بن العاص بالحبشة، وكانت قد هاجرت إلى الحبشة مع زوجها عُبَيْدُ اللَّهِ بن جَحْشٍ، فتَنَصَّرَ وتثبتت هي على الإسلام، فبعث النبي ﷺ عمرو بن أمية إلى النَّجَاشِيِّ، فَأَمَّهَرَهَا النَّجَاشِيُّ عنه أربعمئة دينار وتولَّى عقدَ نكاحها خَالِدُ؛ لكونه ابن عم أبيها، وأرسلها النَّجَاشِيُّ للنبي ﷺ سنة سبع على خلاف في جميع ذلك، ماتت سنة أربع وأربعين.

(الحادية عشرة) صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيِّ بنِ أَخْطَبَ، غير العربية من بني النضير من بني إسرائيل من سبطِ هَارُونَ بن عمران، أمُّهَا بَرَّةُ بِنْتُ شَمُولٍ، كان أبوها سيد بني النضير، قتل مع بني قريظة، اصطفاهَا ﷺ لنفسه من سبي خيبر فأعتقَهَا وتَزَوَّجَهَا وجعل عتقها صداقها، وكانت جميلة لم تبلغ سبعة عشرة سنة، رَوَتْ عشرة أحاديث، تُوفيت

في رمضان سنة خمسين أو اثنتين وخمسين ودفنت بالبقيع. (الثانية عشرة) مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْعَرَبِيَّةِ الْهَلَالِيَّةِ، أُمُّهَا هِنْدُ بِنْتُ عَوْفِ بْنِ زُهَيْرٍ، وَكَانَ اسْمُهَا بَرَّةً فَسَمَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَيْمُونَةَ، وَهِيَ خَالَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ. رَوَتْ سِتَّةً وَسَبْعِينَ حَدِيثًا وَمَاتَ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ، وَعَاشَتْ ثَمَانِينَ سَنَةً، وَهِيَ آخِرُ زَوْجَةٍ تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَآخِرُ مَنْ تُوْفِيَ مِنْ أَزْوَاجِهِ، وَتُوْفِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ تِسْعٍ مِنْهُنَّ جُمِعَتْ أَسْمَاؤُهُنَّ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ:

تُوْفِيَ رَسُولُ اللَّهِ عَنْ تِسْعِ نِسْوَةٍ إِلَيْهِنَّ تُعْزَى الْمَكْرَمَاتُ وَتُنْسَبُ
فَعَائِشَةُ مَيْمُونَةُ وَصَفِيَّةُ وَحَفْصَةُ تَتْلُوهُنَّ هِنْدٌ وَزَيْنَبُ
جُوَيْرِيَّةٌ مَعَ رَمْلَةٍ ثُمَّ سَوْدَةُ ثَلَاثٌ وَسِتُّ ذِكْرُهُنَّ مُهْدَبُ

(تنبيه) قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في بهجة الحاوي: وأفضلهن خديجة وعائشة، وفي أفضليتهما خلاف. صحح ابن العماد تفضيل خديجة لِمَا ثَبَتَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ لِعَائِشَةَ حِينَ قَالَتْ لَهُ «قَدْ رَزَقَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا»، قَالَ: «لَا وَاللَّهِ مَا رَزَقَنِي اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا، أَمَنْتُ بِي حِينَ كَذَّبَنِي النَّاسُ وَأَعْطَنِي مَالَهَا حِينَ حَرَمَنِي النَّاسُ»، وفي شرح عبد السلام على الجوهرة ما نصه: وأما الزوجات الشريفات فأفضلهن خديجة وعائشة وفي أفضليتهما خلاف، صحح ابن العماد تفضيل خديجة وفاطمة، فتكون أفضل من عائشة. ولما سُئِلَ السُّبْكِيُّ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: الَّذِي نَخْتَارُهُ وَنُدِينُ اللَّهُ بِهِ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ أَفْضَلُ ثُمَّ أُمُّهَا خَدِيجَةُ ثُمَّ عَائِشَةُ. واختار السبكي أن مريم أفضل من خديجة لقوله ﷺ: «خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ثُمَّ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ثُمَّ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ﷺ ثُمَّ آسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ

فرعون». وللاختلاف في نبوتهما، وقال شيخ الإسلام في شرح البخاري: الذي أختاره الآن أن الأفضلية محمولة على أحوال، فعائشة أفضلهن من حيث العلم، وخديجة من حيث تقدمها وإعانتها له ﷺ في المهمات، وفاطمة من حيث القرابة، ومريم من حيث الاختلاف في نبوتها وذكرها في القرآن مع الأنبياء، وآسية امرأة فرعون من هذه الحيشة لكن لم تذكر مع الأنبياء، وعلى ذلك تنزل الأخبار الواردة في أفضليتهن، وهذا جيد إن قلنا إن التفضيل بالأحوال وكثرة الخصال الجميلة. وأما إن قلنا إنه باعتبار كثرة الثواب فالأقرب الوقف كما هو قول الأشعري. وفي كلام البرهان الحلبي أن زينب بنت جحش تلي عائشة رضي الله عنها، ولم يقف أستاذنا على نص في باقيهن، ولا في مفاضلة بعض أبنائه الذكور على بعض، ولا في المفاضلة بينهم وبين البنات الشريفات سوى ما شرف الله به الذكور على الإناث مطلقاً، ولا بينهن سوى فاطمة فإنها أفضل بناته الكريمات، ولا باقي البنات سوى فاطمة مع الزوجات الطاهرات، وإن جرت علة فاطمة بالبضعة في الجميع فالوقف أسلم والله أعلم، انتهى.

(أما سراريه⁽⁶⁾ ﷺ فأربع: مَارِيَةُ الْقِبْطِيَّةُ، أهداها له المقوقس مع أختها سيرين، بكسر السين المهملة وسكون المثناة التحتية، وألف مثقال ذهباً، وعشرين ثوباً من قباطي مصر، وَخَصِيَّ يقال له مأثور،

⁽⁶⁾ الجارية المتخذة للملك والجماع، والسراري جمع سُرِّيَّة بضم السين وكسر الراء المشددة، ثم تحتية مشددة مشتقة من التسرر، وأصله من السر، وهو من أسماء الجماع، سميت بذلك لأنها يكتنم أمرها عن الزوجة غالباً، وضمت سينها جرئاً على المعتاد من تغيير النسب للفرق بينها وبين الحرة إذا نكحت سرا، وقال الأصمعي: مشتقة من السرور؛ لأن مالكةا يسر بها فضمها قياسي.

وَبَعْلَةَ شَهْبَاءَ وَهِيَ ذُلْدُلٌ، وَحِمَارًا أَشْهَبَ وَهُوَ عُمَيْرٌ وَيُقَالُ لَهُ يَعْفُورٌ،
وَعَسَلًا مِنْ عَسَلَ بَنَاهَا، فَأَعْجَبَ الْعَسَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَدَعَا لِعَسَلِ بَنَاهَا
بِالْبُرْكَ، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: بَنَاهَا بِكَسْرِ الْبَاءِ وَسُكُونِ النُّونِ قَرْيَةٌ مِنْ قَرْيِ
مِصْرَ، بَارَكَ النَّبِيُّ فِي عَسَلِهَا، وَالنَّاسُ الْيَوْمَ يَفْتَحُونَ الْبَاءَ، أَنْتَهَى.

قَالَ ﷺ: (سَتُنْفَخَ عَلَيْكُمْ مِصْرٌ فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا؛ فَإِنْ لَهُمْ
رَحِمًا وَصِهْرًا). والمراد بِالرَّحِمِ: أُمُّ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ،
جَدُّهُ ﷺ وَعَلَيْهِمَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، فَإِنَّهَا كَانَتْ قُبْطِيَّةً، وَالْمُرَادُ
بِالصَّهْرِ: أُمُّ وَلَدِهِ إِبْرَاهِيمَ، وَهِيَ مَارِيَّةٌ فَإِنَّهَا كَانَتْ أَيْضًا قُبْطِيَّةً، وَلَمَّا
وُلِدَتْ مَارِيَّةُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْتَقَهَا وَلَدُهَا، تُوفِيَتْ فِي خِلَافَةِ سَيِّدِنَا
عَمْرٍ سِتَّةَ عَشْرَةَ، وَصَلَّى عَلَيْهَا وَدَفَنْتَ بِالْبَقِيعِ. وَرِيحَانَةٌ عَلَى خِلَافٍ.
وَجَارِيَةٌ وَهَبَهَا لَهُ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ. وَجَارِيَةٌ أُخْرَى قُرْظِيَّةٌ.

وَأَمَّا (أَوْلَادُهُ) ﷺ فَسَبْعَةٌ عَلَى الْأَصَحِّ: ثَلَاثَةٌ ذُكُورٌ وَأَرْبَعُ بَنَاتٍ،
وَأَوَّلُ مَوْلُودٍ لَهُ الْقَاسِمُ وَبِهِ كَانَ يُكْنَى، ثُمَّ زَيْنَبُ، ثُمَّ رُقِيَّةٌ، ثُمَّ فَاطِمَةُ،
ثُمَّ أُمُّ كُلْثُومٍ وَلَمْ يُعْرَفْ لَهَا اسْمٌ، ثُمَّ عَبْدُ اللَّهِ وَكَانَ يُسَمَّى الطَّيِّبَ
وَالطَّاهِرَ، وَقِيلَ الطَّيِّبُ وَالطَّاهِرُ غَيْرُ عَبْدِ اللَّهِ، وَكُلُّهُمْ وُلِدُوا بِمَكَّةَ مِنْ
خَدِيجَةَ إِلَّا إِبْرَاهِيمَ فَوُلِدَ بِالْمَدِينَةِ وَأُمُّهُ مَارِيَّةٌ.

(فَأَمَّا الْقَاسِمُ) فَمَاتَ بِمَكَّةَ وَعَمْرُهُ سِتَّتَانِ وَقِيلَ أَقْلٌ وَقِيلَ أَكْثَرُ، وَهُوَ
أَوَّلُ مَيِّتٍ مَاتَ مِنْ وَلَدِهِ. وَأَمَّا (عَبْدُ اللَّهِ) فَمَاتَ أَيْضًا بِمَكَّةَ صَغِيرًا.
وَأَمَّا (إِبْرَاهِيمُ) فَوُلِدَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سِتَّةَ ثَمَانٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَعَقَّ عَنْهُ
ﷺ يَوْمَ سَابِعِهِ بِكَبْشَيْنِ، وَسَمَّاهُ وَحَلَقَ رَأْسَهُ وَتَصَدَّقَ بِزَنَةِ شَعْرِهِ فِضَّةً
وَمَاتَ سِتَّةَ عَشْرَ وَعَمْرُهُ إِذَا ذَاكَ سِتَّةَ عَشْرَةَ أَشْهُرَ، وَقِيلَ سِتَّةَ وَسِتَّةَ
أَشْهُرَ، وَدَفِنَ بِالْبَقِيعِ. وَأَمَّا (زَيْنَبُ) فَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ

بن محمد بن سليمان يقول: وُلدت زينب بنت رسول الله ﷺ في سنة ثلاثين من مولده ﷺ وأدركت الإسلام وأسلمت وهاجرت وكان أبوها يحبها. انتهى. وتزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى، قال الحلبي: الربيع بكسر الموحدة وتشديد الياء المفتوحة اهـ. قال بعضهم: والذي عليه غيره أنه كأمر، ثم لما أسلم زوجها جمع ﷺ بينهما، قال بعضهم: ولم يفرق بينهما من أول البعثة؛ لأن تحريم نكاح المشرك للمسلمة إنما كان بعد الهجرة، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان الإسلام فرّق بين زينب وبين أبي العاص إلا أن رسول الله ﷺ لا يَقْدِرُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا وكان مغلوباً بمكة»، وولدت زينب لأبي العاص: علياً وأمّامة، فأما عليٌّ فمات مراهقاً، وأمّا أمّامة فتزوجها علي بن أبي طالب بعد خالتها فاطمة بوصية من فاطمة، وتزوجها بعد موت عليّ المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بوصية من علي، وكان رسول الله ﷺ يحب أمّامة وهي التي كان يحملها في الصلاة على عاتقه فإذا ركع وضعها وإذا رفع رأسه من السجود أعادها، وتوفيت زينب سنة ثمانٍ من الهجرة.

وأما (رقية) بنته ﷺ فولدت ولرسول الله ﷺ ثلاث وثلاثون سنة، وكان تزوجها عتبة بن أبي لهب، وتزوج أختها أم كلثوم عتيبة أخوه، فلما نزلت نبت يدا أبي لهب وتب قال أبو لهب لهما: رأسي من رأسكما حرام إن لم تفارقا ابنتي محمد، ففارقاهما ولم يكونا دخلاً بهما.

عن قتادة أن عتيبة لما فارق أم كلثوم جاء إلى النبي ﷺ فقال له: كَفَرْتُ بِدِينِكَ وَفَارَقْتُ ابْنَتَكَ لَا تُحِبُّنِي وَلَا أُحِبُّكَ، ثم سَطَا عليه وشَقَّ

قميصه وهو خارج نحو الشام تاجراً، فقال له ﷺ: «أَمَا إِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُسَلِّطَ عَلَيْكَ كَلْبَهُ»، فَخَرَجَ فِي تَجَرٍّ مِنْ قُرَيْشٍ حَتَّى نَزَلُوا مَكَانًا مِنَ الشَّامِ يُقَالُ لَهُ الزَّرْقَاءُ لَيْلًا فَأُطَافَ بِهِمُ الْأَسَدُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَجَعَلَ عُمَيْيَةُ يَقُولُ: يَا وَيْلَ أُمِّي هُوَ وَاللَّهِ أَكَلِي كَمَا دَعَا مُحَمَّدٌ عَلَيَّ أَقَاتِلِي ابْنَ أَبِي كَبْشَةَ وَهُوَ بِمَكَّةَ وَأَنَا بِالشَّامِ فَعَدَا عَلَيْهِ الْأَسَدُ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ فَأَخَذَ بِرَأْسِهِ فَفَدَعَهُ، وَقِيلَ إِنَّ عَتَبَةَ هُوَ الَّذِي أَكَلَهُ السَّبْعُ لَا عَتَبِيَّةَ بِالتَّصْغِيرِ وَأَنَّ الَّذِي أَسْلَمَ عَتَبِيَّةَ وَهُوَ مَا فِي الشِّفَاءِ.

(تنبيه) أبو كبشة جد من أجداده ﷺ من جهة أمه كذا في تفسير الخطيب، وإنما نسب إليه النبي ﷺ لأن أبا كبشة خالف قُرَيْشًا وَعَبَدَ الشُّعْرَى⁽⁷⁾، فلما خالف رسول الله ﷺ دين قريش قال مشركو قريش نزع أبو كبشة، وقيل إن أباه من الرضاع زوج حليلة السعدية كان يُدعى بأبي كبشة كذا في ذخائر العقبى. ثم تزوج عثمان بن عفان رقية بمكة وكان بوحي من الله تعالى فعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ أَزُوجَ كَرِيمَتِي عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ). أخرجه الطبراني في معجمه وزاد غيره بعد قوله كَرِيمَتِي يعني رقية وأم كلثوم. وهاجر بها الهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة وكانت ذات جمال. وفي حياة الحيوان⁽⁸⁾: لما هَاجَرَتْ إِلَى الْحَبَشَةِ كَانَ فُتَيَانُ أَهْلِ الْحَبَشَةِ يَتَعَرَّضُونَ لَهَا وَيَتَعْجِبُونَ مِنْ جَمَالِهَا فَذَاهَا ذَلِكَ فَدَعَتْ عَلَيْهِمْ فَهَلَكُوا جَمِيعًا. وَوَلَدَتْ لِعُثْمَانَ بِالْحَبَشَةِ وَلَدًا سَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ،

(7) كَوَكَبٌ نَبْرٌ يُقَالُ لَهُ: الْمَرْزَمُ.

(8) كتاب حياة الحيوان الكبرى لمحمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميمري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي (ت 808هـ).

وكان يُكنَّى به، قال مصعب: وبلغ الغلام ست سنين فنقر عينه ديك فتورَّم وجهه ومرض ومات، وقال غيره: وصلى عليه رسول الله ﷺ، ونزل في حفرته أبوه عثمان . توفيت رقية بالمدينة وكان عثمان قد تخلَّف عن بدر لأجلها فجاء زيد بن حارثة بشيراً بفتح بدر وعثمان قائم على قبرها، ولما عزی بها رسول الله ﷺ قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ دَفَنُ الْبَنَاتِ مِنَ الْمَكْرَمَاتِ» خرجه الدولا بي، وكانت وفاتها لسنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً من مقدمه ﷺ المدينة، ذكره ابن قتيبة.

(وأما أم كلثوم) ابنته ﷺ فقد تقدم أن عتية بن أبي لهب كان تزوجها ثم فارقتها قبل الدخول، فلما ماتت رقية أختها تزوجها عثمان بن عفان بوحى من الله وأمر منه تعالى، فعن أبي هريرة قال: «لقي النبي ﷺ عثمان عند باب المسجد فقال: يَا عُمَانُ هَذَا جَبْرِيلُ أَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَزُوجَكَ أُمَّ كُلْثُومَ بِمِثْلِ صَدَاقِ رُقِيَّةَ وَعَلَى مِثْلِ صُحْبَتِهَا». أخرجه ابن ماجة والحافظ أبو القاسم الدمشقي والإمام أبو الخير القزويني الحاكم وعنه قال: قال عثمان: «لَمَّا مَاتَ امْرَأَتُهُ بَنَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَكَيْتُ بَكَاءً شَدِيدًا فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا يُبْكِيكَ قُلْتُ أَبْكِي عَلَى انْقِطَاعِ صَهْرِي مِنْكَ قَالَ فَهَذَا جَبْرِيلُ يَأْمُرُنِي بِأَمْرِ اللَّهِ أَنْ أَزُوجَكَ أختها وَأَنْ أَجْعَلَ صَدَاقَهَا مِثْلَ صَدَاقِ أُخْتِهَا». أخرجه الفضائلي وعن سعيد بن المسيب قال: «آم⁽⁹⁾ عثمان من رقية بنت رسول الله ﷺ، وآمت⁽¹⁰⁾ حفصة بنت عمر من زوجها، فمَرَّ عمرُ بعثمان فقال له: هل لك في حفصة، وكان

(9) تأيم، فقد زوجه.

(10) تأيمت، فقدت زوجها.

عثمان قد سمع رسول الله ﷺ يذكرها فلم يجبه، فذكر ذلك عمر للنبي ﷺ، فقال النبي ﷺ هل لك في خيرٍ من ذلك أتزوج أنا حفصةً وأزوج عثمانَ خيرًا منها أم كلثوم». خرجهُ أبو عمرو وقال حديث صحيح، وعن رُبَيعِ بْنِ حِرَاشٍ عن عثمان: «أَنَّهُ خَطَبَ إِلَى عَمْرِ ابْنَتَهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا رَاحَ إِلَيْهِ عَمْرُ قَالَ يَا عَمْرُ أَدُلْكَ عَلَى خَيْرٍ لَكَ مِنْ عُثْمَانَ وَأَدُلْ عُثْمَانَ عَلَى خَيْرٍ لَهُ مِنْكَ قَالَ نَعَمْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ زَوِّجْنِي ابْنَتَكَ وَأَزْوَجْ عُثْمَانَ ابْنَتِي». خرجهُ الْحُجَنْدِيُّ؛ وَأَمَّ كُلثُومُ عُرِفَتْ بِكُنْيَتِهَا وَلَمْ يُعْرَفْ لَهَا اسْمٌ، وَاخْتَلَفَ فِي أَيُّهُمَا أَكْبَرُ هِيَ أَمْ رُقِيَّةٌ، وَهِيَ أَكْبَرُ سَنًا مِنْ فَاطِمَةَ، مَاتَتْ أَمَّ كُلثُومُ سَنَةَ تِسْعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَصَلَّى عَلَيْهَا أَبُوهَا ﷺ، وَنَزَلَ فِي حَفْرَتِهَا عَلِيٌّ وَالْفَضْلُ وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَأَبُو طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيُّ، وَغَسَّلْتُهَا أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ وَصَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ عَمَّتُهَا، وَشَهِدَتْ أُمُّ عَطِيَّةُ غَسَلَهَا، وَلَمْ تَلِدْ ﷺ، (وَأَمَّا فَاطِمَةُ) بِنْتُهِ ﷺ فَوُلِدَتْ وَقَرِيشُ تَبْنِي الْكَعْبَةِ قَبْلَ النَّبُوَّةِ بِخَمْسِ سَنِينَ، وَهِيَ أَصْغَرُ بَنَاتِهِ، وَأَمَّا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ﷺ. عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ: «دَخَلَ الْعَبَّاسُ عَلَى عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَأَحَدَهُمَا يَقُولُ لِلْآخَرِ أَتَيْنَا أَكْبَرَ فَقَالَ الْعَبَّاسُ: وُلِدَتْ يَا عَلِيُّ قَبْلَ بِنَاءِ قَرِيشِ الْبَيْتِ بِسَنَوَاتٍ، وَوُلِدَتْ أَنْتِ وَقَرِيشُ تَبْنِي الْبَيْتَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ ابْنُ خَمْسِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً قَبْلَ النَّبُوَّةِ بِخَمْسِ سَنِينَ» خرجهُ الدُّوَلَابِيُّ.

وكان رسول الله ﷺ يحبها حبًّا شديدًا. روى البخاري ومسلم والترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّهُ كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ بِنْتُ مَرْحَمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ». وفي كتاب معالم العترة

النبوية مرفوعاً إلى قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ. (خيرُ نساءها فاطمة بنت محمد ﷺ وآسية امرأة فرعون). وعن عائشة رضي الله عنها قالت لفاطمة رضي الله عنها ألا أبشركُ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيدات نساء أهل الجنة أربع مريم بنت عمران وفاطمة بنت محمد ﷺ وخديجة بنت خويلد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون». وعن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة قيل يا أهل الجمع غُضُّوا أبصاركم حتى تمرَّ فاطمة بنت محمد ﷺ فتمر وعليها ريطان⁽¹¹⁾ خضرَ أوانٍ»، وفي بعض الروايات حمراوان. وفي المسند للإمام أحمد بن حنبل عن حذيفة بن اليمان قال: «سألتني أُمِّي متى عهدُك بالنبِيِّ ﷺ فقلت لها منذ كذا وكذا وذكُرتُ مدَّةً طويلةً فنالت مِنِّي وَسَبَّتَنِي، فقلتُ لها دَعِينِي فَإِنِّي أَتَى رسولُ اللهِ ﷺ أَصْلِي معه المغرب، ثم لا أدْعُهُ حَتَّى يَسْتَغْفِرَ لِي ذلك، قال فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَصَلَّيْتُ معه المغرب والعشاء ثم انْفَتَلَ ﷺ مِنْ صَلَاتِهِ فَتَبِعْتُهُ فَعَرَضَ لَهُ عَارِضٌ فَنَاجَاهُ، ثُمَّ ذَهَبَ فَتَبِعْتُهُ فَسَمِعَ مِشْيَتِي خَلْفَهُ فقال: مَنْ هَذَا، فقلتُ حذيفة فقال: ما لك، فَحَدَّثْتُهُ بِحَدِيثِ أُمِّي فقال: غفرَ اللهُ لك ولأُمِّكَ ثم قال: أما رأيتَ العارضَ الذي عَرَضَ لِي، فقلت: بلى يا رسولَ اللهِ، قال: هو ملكٌ من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربي في أن يُسَلِّمَ عَلَيَّ وَيُبَشِّرَنِي أَنَّ الحَسَنَ والحُسَيْنَ سَيِّدَا شبابِ أهل الجنة وأن فاطمة سيدة نساء العالمين». وفي المسند أيضاً عن عائشة قالت: «أَقْبَلَتْ فاطمةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِشْيَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: مرحباً بابنتي ثم أَجْلَسَهَا عن يمينه وأَسَرَّ لها حديثاً

(11) الرِّيطَةُ: كل ملاءة ليست بلففَين. وقيل: كل ثوب رقيق لين.

فَبَكَتْ فَقُلْتُ اسْتَخَصَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَدِيثِهِ ثُمَّ تَبَكِينَ، ثُمَّ أَسَرَّ لَهَا حَدِيثًا أَيْضًا فَصَحَّحْتُ فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ، فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قِيلَ لَهَا فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلْتُهَا فَقَالَتْ: أَسَرَّ إِلَيَّ فَقَالَ: إِنْ جَبْرِيلُ كَانَ يُعَارِضُنِي بِالْقُرْآنِ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ عَارَضَنِي بِهِ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ وَلَا أَرَاهُ إِلَّا قَدْ حَضَرَ أَجْلِي وَإِنَّكَ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لِحُوقًا بِي وَنِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لِكَ فَبَكَيْتُ فَقَالَ أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ فَصَحَّحْتُ لَذَلِكَ»، وَأَخْرَجَ تَمَامَ وَالبَزَّارِ والطبراني وأبو نعيم أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «إِنْ فَاطِمَةُ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَحَرَّمَ اللَّهُ ذُرِّيَّتَهَا عَلَى النَّارِ». وَفِي رَوَايَةٍ: «فَحَرَّمَ اللَّهُ وَذُرِّيَّتَهَا عَلَى النَّارِ»، وَأَخْرَجَ الدَّيْلَمِيُّ مَرْفُوعًا: «إِنَّمَا سَمِيتُ فَاطِمَةَ فَاطِمَةَ لِأَنَّ اللَّهَ فَطَمَهَا وَمَحَبَّيْهَا عَنِ النَّارِ». وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدٍ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ أَنَّهُ ﷺ قَالَ لَهَا: «إِنَّ اللَّهَ غَيْرُ مُعَذِّبِكَ وَلَا أَحَدٍ مِنْ وَلَدِكَ». وَرُوي عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ فَاطِمَةَ فَقَالَ مَنْ عَرَفَ هَذِهِ فَقَدْ عَرَفَهَا وَمَنْ لَمْ يَعْرِفَهَا فَهِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَهِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي وَهِيَ قَلْبِي وَهِيَ رُوحِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبِي مَنْ آذَاهَا فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ». وَرَوَى الْأَصْبَغُ بْنُ نَبَاتَةَ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ثُمَّ يَنَادِي مُنَادٍ مِنْ بَطْنَانِ الْعَرْشِ) ⁽¹²⁾ (إِنَّ الْجَلِيلَ جَلَّ جَلَالُهُ

(12) الْبَطْنُ: الْمُتَخَفِّضُ مِنَ الْأَرْضِ، وَجَمْعُهُ بَطُونٌ وَبُطْنَانٌ، وَضِدُّهُ الظَّهْرُ. وَجَمْعُهُ ظُهُورٌ وَظُهْرَانٌ، وَبُطْنَانُ الرِّيشِ وَظُهْرَانُهُ كَذَلِكَ، وَبُطْنَانُ الرَّبِيعِ: صَمِيمُهُ، فَكَانَ بَطْنَانُ الْعَرْشِ أَصْلُهُ أَيْضًا.

يقول: «نَكْسُوا رُؤُوسَكُمْ وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ فَإِنْ هَذِهِ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ﷺ تَرِيدُ أَنْ تَمُرَّ عَلَى الصَّرَاطِ». وعن أبي سعيد الخدري أنه ﷺ مرَّ في السماء السابعة قال: «فَرَأَيْتُ فِيهَا لَمْرِيْمَ وَلَامَ مُوسَى وَلَا سِيَةَ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ وَلِخَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ قُصُورًا مِنْ يَاقُوتٍ وَلِفَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَبْعِينَ قَصْرًا مِنْ مَرْجَانٍ أَحْمَرَ مُكَلَّلًا بِاللُّؤْلُؤِ أَبْوَابُهَا وَأَسْرَتُهَا مِنْ عُوْدٍ وَاحِدٍ». وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ شَخْصٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلِيُّ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ﷺ». تَزَوَّجَهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ وَبَنَى بِهَا فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ. نقل الشيخ أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن سنان مرفوعاً إلى أنس ﷺ قال: كنت عند رسول الله ﷺ فَغَشِيَهُ الْوَحْيُ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ لِي: «يَا أَنَسُ أَتَدْرِي مَا جَاءَنِي بِهِ جَبْرِيلُ مِنْ صَاحِبِ الْعَرْشِ عَزَّ وَعَلَا قُلْتُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا جَاءَكَ بِهِ جَبْرِيلُ قَالَ: قَالَ لِي إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَأْمُرُكَ أَنْ تُزَوِّجَ فَاطِمَةَ مِنْ عَلِيٍّ فَاَنْطَلَقْ وَادْعُ لِي أَبَا بَكْرَ وَعُمَرَ وَعِثْمَانَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَبَعْدَتِهِمْ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ فَاَنْطَلَقْتُ فَدَعَوْتَهُمْ فَلَمَّا أَنْ أَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَحْمُودِ بِنِعْمَتِهِ الْمَعْبُودِ بِقُدْرَتِهِ الْمُطَاعُ سُلْطَانُهُ الْمَهْرُوبُ إِلَيْهِ مِنْ عَذَابِهِ النَّافِذُ أَمْرُهُ فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ الَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ وَمَيَّزَهُمْ بِأَحْكَامِهِ وَأَعَزَّهُمْ بِدِينِهِ وَأَكْرَمَهُمْ بِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الْمُصَاهِرَةَ نَسَبًا لَاحِقًا وَأَمْرًا مُفْتَرَضًا وَحُكْمًا عَادِلًا وَخَيْرًا جَامِعًا وَشَجَّ بِهِ الْأَرْحَامَ وَالزَّمَمَهَا الْأَنَامَ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا، وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا وَأَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى يَجْرِي إِلَى قَضَائِهِ وَقَضَاؤُهُ يَجْرِي إِلَى قَدَرِهِ

وَلِكُلِّ قَضَاءٍ قَدَرٌ وَلِكُلِّ قَدَرٍ أَجَلٌ وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَنِي أَنْ أُزَوِّجَ فَاطِمَةَ مِنْ عَلِيٍّ وَأُشْهَدَكُمْ أَنِّي قَدْ زَوَّجْتُ فَاطِمَةَ مِنْ عَلِيٍّ عَلَى أَرْبَعِ مِائَةِ مِثْقَالٍ فِضَّةٍ إِنْ رَضِيَ بِذَلِكَ عَلَى السَّنَةِ الْقَائِمَةِ وَالْفَرِيضَةِ الْوَاجِبَةِ فَجَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُمَا وَبَارَكَ لهما وَأَطَابَ نَسْلَهُمَا وَجَعَلَ نَسْلَهُمَا مَفَاتِيحَ الرَّحْمَةِ وَمَعَادِنَ الْحِكْمَةِ وَأَمَّنَ الْأُمَّةَ أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ

قال وكان علي غائباً في حاجة لرسول الله ﷺ قد بعثه فيها ثم أمر لنا رسول الله ﷺ بطبق فيه تمر فوضع بين أيدينا فقال انتهبوا فينمنا نحن كذلك إذ أقبل علي فتبسم إليه رسول الله ﷺ وقال يا عليُّ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُزَوِّجَكَ فَاطِمَةَ وَإِنِّي قَدْ زَوَّجْتُكَهَا عَلَى أَرْبَعِ مِائَةِ مِثْقَالٍ فِضَّةٍ فَقَالَ علي رضيته يا رسول الله ثم إِنَّ عَلِيًّا خَرَّ ساجداً شاكراً لله فلما رفع رأسه قال له رسول الله ﷺ بَارَكَ اللَّهُ لَكِما وَعَلَيْكِما وَأَسْعَدَ جَدَّكُما وَأَخْرَجَ مِنْكُما الْكَثِيرَ الطَّيِّبَ قَالَ أنس والله لقد أخرج منهما الكثير الطيب». ولم تضحك فاطمة رضي الله عنها بعد وفاة أبيها ﷺ قط. وعن علي بن أبي طالب قال إِنْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَارَتْ إِلَى قَبْرِ أَبِيهَا بَعْدَ مَوْتِهِ ﷺ وَوَقَفَتْ عَلَيْهِ وَبَكَتْ ثُمَّ أَخَذَتْ قُبْضَةً مِنْ تَرَابِ الْقَبْرِ فَجَعَلَتْهَا عَلَى يَمِينِهَا وَوَجْهَهَا ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ:

مَاذَا عَلَى مَنْ شَمُّ تَرْبَةِ أَحْمَدَ صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبٌ لَوْ أَنَّهَا
أَنْ لَا يَشُمَّ مَدَى الزَّمَانِ غَوَالِيَا صُبَّتْ عَلَى الْإِيَّامِ عُذُنْ لِيَالِيَا
ولها ترثي أباهما ﷺ:

اغْبَرَّ آفَاقَ السَّمَاءِ وَكُوِّرَتْ وَالْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ كَثِيَّةٌ
فَلْيَبْكِهِ شَرْقُ الْبِلَادِ وَغَرْبُهَا وَلْيَبْكِهِ الطُّوْدُ الْأَشْمُ وَجَوْهُ

يَا خَاتَمَ الرُّسُلِ الْمُبَارِكُ صِنُوهُ شَمْسُ النَّهَارِ وَأَظْلَمَ الْعَصْرَانِ
أَسْفَا عَلَيْهِ كَثِيرَةُ الْأَحْزَانِ وَلْتَبْكِهِ مُضَرٌّ وَكُلُّ يَمَانٍ
وَالْبَيْتُ ذُو الْأُسْتَارِ وَالْأَرْكَانُ صَلَّى عَلَيْكَ مَنْزَلُ الْقُرْآنِ

توفيت ليلة الثلاثاء ثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة وهي بنت ثمان وعشرين سنة، ودُفنت بالبقيع ليلاً، وصلى عليها عليٌّ وقيل صلى عليها العباس ونزل في قبرها هو وعلي والفضل بن العباس. وفي كتاب الذرية الطاهرة للدولابي قال: لبثت فاطمة بعد وفاة النبي ﷺ ثلاثة أشهر، وقال عروة بن الزبير: وعائشة لبثت ستة أشهر ومثله، وعن ابن شهاب الزهري وهو الصحيح روى أن علياً لما ماتت فاطمة وفرغ من جهازها ودفنها رجع إلى البيت فاستوحش فيه وجزع عليها جزعاً شديداً ثم أنشأ يقول:

أَرَى عِلَلِ الدُّنْيَا عَلَيَّ كَثِيرَةً لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلِينَ فُرْقَةٌ
وَإِنَّ افْتِقَادِي فَاطِمًا بَعْدَ أَحْمَدٍ وَصَاحِبُهَا حَتَّى الْمَمَاتِ عَلِيلُ
وَكُلُّ الَّذِي دُونَ الْفِرَاقِ قَلِيلٌ دَلِيلٌ عَلَيَّ أَلَا يَدُومَ خَلِيلُ

وروى جعفر بن محمد قال: لما ماتت فاطمة كان علي يزور قبرها في كل يوم، قال: فأقبل ذات يوم فانكب على القبر وبكى وأنشأ يقول:
مَا لِي مَرَرْتُ عَلَى الْقُبُورِ مُسْلِمًا يَا قَبْرُ مَا لَكَ لَا تُجِيبُ مُنَادِيَا
قَبْرِ الْحَبِيبِ فَلَمْ يَرُدَّ جَوَابِي أَمَلْتُ بَعْدِي خُلَّةَ الْأَصْحَابِ
فأجابه هاتف يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول:

قَالَ الْحَبِيبُ وَكَيْفَ لِي بِجَوَابِكُمْ أَكَلِ التُّرَابُ مَحَاسِنِي فَنَسِيتُكُمْ
فَعَلَيْكُمْ مَنِّي السَّلَامُ تَقَطَّعَتْ وَأَنَا رَهِيْنُ جَنَادِلِ وَتُرَابِ
وَحُجِبْتُ عَنْ أَهْلِي وَعَنْ أَتْرَابِي مَنِّي وَمَنْكُمْ خُلَّةُ الْأَحْبَابِ

(وأما أولادها) فالحسنُ، والحسينُ، ومُحَسِّنٌ وهذا مات صغيراً، وأمُّ كلثوم، وزينبُ، وزاد الليث بن سعد رُقِيَّةً وماتت وهي صغيرة لم تبلغ. ولم يتزوج عَلِيٌّ عَلَى فاطمة حتى ماتت وكانت أول أزواجه.

(وأما خدمه ﷺ) فمنهم أنس بن مالك الأنصاري، وكان مِنْ أَخصمهم، خَدَمَهُ مِنْ حين قدومه المدينة إلى أن تُوفي. وعبد الله بن مسعود، وكان صاحب سِوَاكِهِ وَنَعْلَيْهِ إِذَا قام ﷺ أَلْبَسَهُ إِيَّاهُمَا وَإِذَا جلس جَعَلَهُمَا في ذراعَيْهِ، وكان يمشي أمامه بالعصا حتى يدخل الحُجْرَةَ. وَمُعَيِّنُ الدَّوْسِيِّ، وكان صاحب خاتمه ﷺ. وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ الْجُهَنِيُّ، وكان صاحب بَغْلَتِهِ يَقودها في الأسفار. وَأَسْلَعُ بْنُ شَرِيكٍ وكان صاحب رَاِحِلَتِهِ ﷺ كان يرحلها له وبلال وكان على نفقاته.

(وأما مَوَالِيهِ ﷺ الذين أعتقهم) فزيد بن حارثة وَهَبَتْهُ له خديجةُ قبل النبوة فَتَبَّاهُ وكان حَبَّةُ ﷺ، وابنه أسامة، وأخو أسامة لأمِّهِ أيمن بن أم أيمن بركة الحبشية، وأبو رَافِعٍ وكان قِبْطِيًّا أَعْتَقَهُ ﷺ لما بَشَّرَهُ بِإِسْلَامِ العباس، وشُقْرَان، بضم الشين كما في المواهب والسيرة الحلبية، واسمه صالح وكان حبشياً وقيل فارسياً، وَثُوبَانُ، وَأَنْجَشَةُ وكان أسود، وَرَبَاحُ وكان أسود، وَيَسَارُ وكان نوبيًّا وكان على لِقَاحِ رسولِ الله ﷺ وهو الذي قَتَلَهُ الْعُرَيْثُونَ، وَسَفِينَةُ وكان أسود وهو الذي لَقِيَهُ سَبْعٌ حين ضَلَّ في بعض الأمكنة فقال له: يا أبا الحارث أنا مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فمشى أمامه حتى أقامه على الطريق، وسلمان الفارسي؛ لأنه ﷺ هو الذي أدَّى عنه نجوم

الكتابة⁽¹³⁾ لكنه حُرَّ في الأصل واستُرِقَ ظُلْمًا، وَخَصِيَّ أهداه له المقوقس يقال له مَأْبُور لم يُسلم بل بقي نصرانيًا وآخر يقال له سَنْدَر. ومن النساء: أم أيمن، وأميمة، وسيرين وقيسر اللتان أهداهما له المقوقس مع مارية وهما أختاهما، وذكر بعضهم أنه وَهَبَ سيرين لحسان بن ثابت وَوَهَبَ قيسر لجهم بن قيس (وروي) أنه عَلَيْهِ السَّلَام أعتق في مرض موته أربعين رقبة.

(وأما نُجَبَاؤُهُ عَلَيْهِ السَّلَام فاثنا عشر نقيبًا) وفي المحاضرات ولم يكن لنبي قبله هذا القدر، بل كان لكل نبي سبعة، وهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والزبير، وجعفر بن أبي طالب، ومصعب بن عُمير، وبلال، وعمار، والمقداد، وعثمان بن مظعون، وعبد الله بن مسعود اهـ. (وأما نُجَبَاؤُهُ عَلَيْهِ السَّلَام فكلهم من الأنصار) وهم سَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ من بني عمرو بن عوف، وسَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ من بني النجار، وسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ من بني عبد الأشهل، وعبد الله بن رَوَاحَةَ، وأبو الهيثم بن التَّيْهَانِ، وَالْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ، ورافع بن مالك الأَزْرَقِيُّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ وهو أبو جابر، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، وَالْمُنْدِرُ بْنُ عَمْرِو بْنِ بَنِي سَاعِدَةَ. اهـ من المسامرات.

(وأما حَوَارِيُّوهُ عَلَيْهِ السَّلَام فكلهم من قريش) وهم اثنا عشر رجلًا: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وحمزة بن عبد المطلب، وجعفر

⁽¹³⁾ النجوم هاهنا الأوقات المختلفة، لأن العرب كانت لا تعرف الحساب، وإنما تعرف الأوقات بطلوع النجوم، فسميت الأوقات نجومًا، وقيل سميت مكاتبة، لأن السيد يكتب بينه وبين عبده كتابًا فيما اتفقا عليه.

بن أبي طالب، وأبو عبيدة بن الجراح، وعثمان بن مظعون، فالذي جمع بين النَّجَابَةِ وَالْحَوَارِيَّةِ: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وجعفر، وعثمان بن مظعون، فهؤلاء الستة جمعوا بين الشرفين ﷺ. اهـ من المحاضرات للشيخ محيي الدين.

(وأما نَوَابُهُ ﷺ الذين استعملهم على المدينة في وقت خروجه لغزو أو عمرة أو حج) فأبو لُبَابَةَ، وبَشِيرُ بن عبد المُنْذِر، وعثمان بن عفان، وعبد الله ابن أم مَكْتُوم الأعمى، وأبو ذَرَّ الغِفَارِيُّ، وعبدُ الله بن عبد الله بن أبيِّ بن سَلُول الأنصاري، وسِبَاعُ بنُ عُرْفُطَةَ، وغيلة بن عبد الله الليثي، وعُوفُ بن أَضْبَط الدَّيْلَمي، وأَبُو رُحْم كُلْثُوم، ومحمد بن مَسْلَمَةَ، وزيد بن حارثة، والسَّائِب بن عثمان بن مَظْعُون، وأَبُو سَلَمَةَ بنُ عَبْدِ الْأَسَدِ، وسَعْدُ بنُ عُبَادَةَ، وَأَبُو دُجَانَةَ السَّاعِدِيّ، وما استعملهم فيه ﷺ مذكور في المحاضرات.

(وأما أمراؤه ﷺ) فمنهم باذان بن سامان من ولد بهرام، أَمْرُهُ على اليمن، وهو أَوَّلُ أمير في الإسلام على اليمن، وأَوَّلُ من أسلم من ملوك العجم، وخالد بن سعيد أَمْرُهُ على صنعاء، وزيد بن لبيد الأنصاري البياضي أَمْرُهُ على حضرموت، وأبو موسى الأشعري وأَمْرُهُ على زبيد وعدن، ومعاذ بن جبل وأَمْرُهُ على الجند، وأبو سفيان بن حرب وأَمْرُهُ على نجران، ويزيد ابنه وَوَلَاهُ تَيْمًا، وَعَتَّابُ -بتشديد الفوقية- بن أَسِيد -بفتح الهمزة وكسر السين المهملة- وَوَلَاهُ مَكَّةَ.

(وأما كُتَابُهُ ﷺ) فعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأَبِي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاوية، وخالد بن سعيد بن العاص، وأَبَان بن سعيد، والعلاء بن الْحَضْرَمِيِّ، وَحَنْظَلَةَ بن الرَّبِيعِ، وعبدُ اللَّهِ بن

سَعْدُ بْنُ أَبِي سَرْحٍ أَخُو عَثْمَانَ مِنَ الرُّضَاعِ، فَهُوَ لَاءَ كِتَابِ الْوَحْيِ ﷺ. وفي حياة الحيوان: وكان المداوم على الكتابة زيدا ومعاوية. انتهى. وكان الزبير بن العوام وجهم بن الصلت يكتبان أموال الصدقات، وكان حذيفة بن اليمان يكتب حوض النخل، وكان المغيرة بن شعبة والحصين بن نمير يكتبان المداينات والمعاملات، وكان شرحبيل بن حسنة يكتب التوقيعات إلى الملوك وقد كتب له أبو بكر حين هاجر في الطريق.

(وأما من جمَعَ القرآنَ حفظًا على عهده ﷺ) فأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد الأنصاري، وأبو الدرداء، وزيد بن ثابت، وعثمان بن عفان، ونسيم الداري، وعبد الله بن الصامت، وأبو أيوب الأنصاري، وأورده العلامة الدميري في حياة الحيوان.

(وأما من كان يضرب الأعناق بين يديه ﷺ) فعلي، والزبير، ومحمد بن مسلمة، والمقداد، وعاصم بن أبي الأفلح.

(وأما من كان يحرسه ﷺ) فسعد بن أبي وقاص، وسعد بن معاذ، وعبد بن بشر، وأبو أيوب الأنصاري، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، فلما نزل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكُمْ مِنَ النَّاسِ﴾⁽¹⁴⁾. ترك الحراسة، انتهى من حراسة الحيوان.

(وأما من كان يُفتي على عهده ﷺ) فأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وعمار بن ياسر، وحذيفة، وزيد بن ثابت، وسلمان الفارسي، وأبو الدرداء، وأبو موسى الأشعري، كذا في حياة الحيوان.

⁽¹⁴⁾ سورة المائدة: آية 67.

(وأما مؤذنه ﷺ) فبلال بن رباح وأمه حَمَامَة وهو مولى أبي بكر الصديق، وهو أول من أذن لرسول الله ﷺ ولم يؤذن بعده لأحد من الخلفاء إلا أن عمر لما فتح الشام أذن بلال، فنذكر الناس النبي ﷺ فبكوا بكاءً شديداً، قال أسلم مولى عمر لم أرباكياً أكثر من يومئذ، توفي بلال سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة من الهجرة بدارياً باب كيسان وله بضع وستون سنة، وقيل دفن بحلب، وقيل بدمشق. وابن أم مكتوم واسمه عمرو القرشي الأعمى، وفي الكشف اسمه عبد الله، وأم مكتوم أم أبيه، هاجر إلى المدينة قبل النبي ﷺ، وفيه أنزل الله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ (15). وسعد بن عائد أو ابن عبد الرحمن المعروف بسعد القرظي، أذن بقاء لرسول الله ﷺ. وأبو مخذورة الجُمَحِيّ المَكِّي كان يؤذن لرسول الله ﷺ بمكة، نقله بعضهم. (فائدة) قال النيسابوري: الحكمة في كونه ﷺ كان يؤم ولا يؤذن أنه لو أذن لكان كل من تخلف عن الإجابة كافراً. وقال أيضاً: ولأنه كان داعياً فلم يجز أن يشهد لنفسه. وقال غيره: لو أذن وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لتوهم أن ثم نبياً غيره. وقيل لأن الأذان رآه غيره في المنام فوكله إلى غيره، وأيضاً كان لا يتفرغ إليه من أشغاله، وأيضاً قال ﷺ: (الإمام ضامن والمؤذن أمين) فدفع الأمانة إلى غيره. وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: إنما لم يؤذن لأنه كان إذا عمل عملاً أثبتته أي جعله دائماً وكان لا يتفرغ لذلك؛ لأشغاله بتبليغ الرسالة، وهذا كما قال عمر: «لو لا الخلافة لأذنت». قال: وأما من قال «إنه امتنع لئلا يُعتقد أن الرسول غيره» فخطأ؛ لأنه

(15) سورة عبس: آية 1 و2

عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يقول في خطبته: «وأشهد أن محمداً رسول الله»، أوردته شهاب الدين أحمد بن العماد في كتابه كشف الأسرار عما خفي عن الأفكار، انتهى.

(وأما قُضَاتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ) فأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل، وأبو موسى الأشعري، ولي كل منهم القضاء باليمن.
(وأما رسله عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَعَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمَرِيِّ، ودَحِيَّةُ بْنُ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ، وعبد الله بن حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، وَحَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ اللَّخْمِيِّ، وَشُجَاعُ بْنُ وَهْبِ الْأَسَدِيِّ، وَسَلِيطُ بْنُ عَمْرٍو العامري، وعمرو بن العاص، والعلاء بن الحضرمي.

(وأما شعراؤه عَلَيْهِ السَّلَامُ) الذين كانوا يُدَبُّونَ عن الإسلام: فكعب بن مالك، وعبد الله بن رَوَاحَةَ الْخَزَرَجِيِّ الأنصاري، وحَسَّانُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ الْمُنْذَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزَامِ الْأَنْصَارِيِّ، دعا له النبي ﷺ فقال: اللهم آيِدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ، يُقَالُ أَعَانَهُ جَبْرِيلُ بِسَبْعِينَ بَيْتًا.

(وأما إخوانه عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الرِّضَاعِ) فَعَمُّهُ حَمْزَةُ، أَرْضَعْتُهُمَا ثَوْبِيَّةُ مَوْلَاةُ أَبِي لَهَبٍ عَلَى وَلَدِهَا مَسْرُوحٌ فَهُوَ أَخُوهُمَا. وَأَخُوهُ أَيْضًا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَبْدُ اللَّهِ، وَأُنَيْسَةُ، وَجُدَامَةُ وَهِيَ الشِّيمَاءُ، وَأَمَّهُمْ حَلِيمَةُ وَأَبُوهُمْ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى السَّعْدِيِّ، وَالشِّيمَاءُ هِيَ الَّتِي كَانَتْ فِي سَبِي حُنَيْنٍ، وَأَرْتَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَضْتَهُ فِي ظَهْرِهَا فَعَرَفَهَا وَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ وَزَوَّدَهَا وَرَدَّهَا إِلَى قَوْمِهَا حَسْبَمَا سَأَلَتْ.

(وأما حيواناته عَلَيْهِ السَّلَامُ) فكان له من الخيل سبعة أفراس وقيل أكثر منها: السَّكْبُ شَبَهَ بِسَكْبِ الْمَاءِ وَانْصَبَابِهِ، لَشِدَّةِ عَدُوِّهِ⁽¹⁶⁾ وَهُوَ أَوَّلُ

⁽¹⁶⁾ الْعَدُو: مصدر عدا، وهو الجري.

فرس ملكه ﷺ وكان سرجه ﷺ دفتين من ليف، وكان له من البغال ست منها بغلة شهباء يقال لها دُلْدُلٌ، أهداها له مقوقس مصر، وهي أول بغلة رُكبت في الإسلام، وعاشت حتى ذهبت أسنانها، وكان يدق لها الشعير، وعَمِيت وقاتل عليها علي الخوارج بعد أن ركبها عثمان وركبها بعده الحسن ثم الحسين ثم محمد ابن الحنفية، وماتت بسهم رماها به رجل. وكان له ﷺ حماران يُقال لأحدهما يَعْفُورٌ، وللآخر عُفَيْرٌ بضم العين المهملة على الصواب، وكان له من الإبل ثلاث: ناقة يقال لها القصوى، وناقة يقال لها الجدعاء، وناقة يقال لها العَضْبَاء وهي التي كانت لا تسبق فسبقت فشق ذلك على المسلمين فقال ﷺ: «إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ»، أو يُقَالُ إِنَّ الْعَضْبَاءَ هَذِهِ لَمْ تَأْكُلْ وَلَمْ تَشْرَبْ بَعْدَ وَفَاتِهِ ﷺ حَتَّى مَاتَتْ، وَقِيلَ إِنَّ الَّتِي لَمْ تَسْبِقْ فَسَبَقَتْ هِيَ الْقَصْوَى، وَقِيلَ الْأَسْمَاءُ الثَّلَاثَةُ لَوَاحِدَةٍ، وَقِيلَ الْقَصْوَى وَاحِدَةٌ وَالْجَدْعَاءُ وَالْعَضْبَاءُ وَاحِدَةٌ، وَكَانَ لَهُ مِنَ الْغَنَمِ مَائَةٌ، وَسَبْعَةٌ أَعْنَزَ كَانَتْ تَرْعَاهَا أُمُ أَيْمَنَ، وَكَانَ لَهُ شَاةٌ يَخْتَصُّ بِشَرِبِ لَبْنِهَا، وَأَمَّا الْبَقَرُ فَلَمْ يُنْقَلْ أَنَّهُ اقْتَنَى شَيْئًا مِنْهَا، وَاقْتَنَى ﷺ الدِّيكَ الْأَبْيَضَ وَكَانَ بَيْتٌ مَعَهُ فِي الْبَيْتِ، نَقَلَهُ بَعْضُهُمْ، وَكَانَ لَهُ ﷺ شَاةٌ تَسْمَى غَوْثَةٌ وَقِيلَ غَيْثَةٌ، وَعَنْزٌ تَسْمَى الْيَمْنُ كَذَا فِي أَسَدِ الْغَابَةِ⁽¹⁷⁾.

(وَأَمَّا سَيُوفُهُ ﷺ) فَالْغَضَبُ⁽¹⁸⁾، وَالرَّسُوبُ، وَالْبَتَّارُ، وَالْحَتْفُ، وَذُو الْفَقَّارِ، وَكَانَ مَكْتُوبًا عَلَى أَحَدِ سَيُوفِهِ ﷺ هَذَا الْبَيْتُ:

⁽¹⁷⁾ كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير.

⁽¹⁸⁾ في أكثر الروايات: الْعَضْبُ.

فِي الْجُبْنِ عَارٌ وَفِي الإِقْدَامِ مَكْرَمَةٌ وَالْمَرْءُ بِالْجُبْنِ لَا يَنْجُو مِنَ الْقَدَرِ
وهو الذي أعطاه رسول الله ﷺ لأبي دُجَانَةَ يوم أُحُد، وكان قد
طلبه أبو بكر وعمر وعلي فلم يعطهم إياه وقال: لا أعطيه إلا بحقه،
فقال أبو دُجَانَةَ: ما حقه يا رسول الله، قال: أن تضرب به في العدو
حتى ينحني، فقال: أنا أخذه بحقه، فأخذه، وكان أبو دُجَانَةَ رجلاً
شجاعاً يَخْتَالُ عند الحرب. وَذُو الْفَقَارِ كان في وسطه مثل فقرات
الظهر وكان لا يفارقه ﷺ في حرب من الحروب، يقال إن أصله من
حديدة وُجِدَتْ مدفونة عند الكعبة، ونقل غير واحد أن ذا الْفَقَارِ كان
لِمُنَبِّهِ بْنِ الْحَجَّاجِ السَّهْمِيِّ كان مع ابنه العاص يوم بدر فقتله علي
وجاء بالسيف إلى رسول الله ﷺ فأعطاه رسول الله ﷺ علياً فقاتل
به يوم أُحُد وفيه قال يوم أُحُد ابن أبي نجيح:

لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ وَلَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ

(وفي الفصول المهمة) يروى أن بلقيس أهدت إلى سليمان سبعة
أسياف كان ذو الْفَقَارِ منها، وقد جاء في بعض الروايات عن علي
أنه قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال له: إِنَّ صَنَمًا بِالْيَمَنِ مَعْفَرًا
بالحديد فابعث إليه فادققه وخذ الحديد.

قال علي: فدعاني رسول الله ﷺ وبعثني إليه فذهبت ودققت
الصنم وأخذت الحديد وجئت به إلى رسول الله ﷺ فاستضرب منه
سيفين فسمى أحدهما ذا الْفَقَارِ والآخر مِخْذَمًا فتقلد رسول الله ﷺ
ذا الْفَقَارِ وأعطاني مِخْذَمًا ثم أعطاني ذا الْفَقَارِ بعد ذلك فرآني وأنا
أقاتل به يوم أُحُد فقال:

لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ وَلَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ

قال ابن إسحاق وفي هذا اليوم هاجت ريح فسمع هاتف يقول:
(تتمة في مرضه ﷺ الذي مات فيه وما يتصل به)

لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع إلى المدينة أقام بها بقية
ذي الحجة تمام سنة عشر، ثم دخلت سنة إحدى عشرة فأقام المحرم
وصفر، وفي يوم الأربعاء من آخر صفر بدأ بالنبي ﷺ وجعه، فحُمّ
وصدع، وأشار فيه إشارة ظاهرة بخلافة أبي بكر بشائه على المنبر
عليه، كما فهم دون بقية الصحابة قوله في آخر خطبته: «إن عبدًا خيرَه
الله بين أن يُؤتيَه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده» أنه ﷺ
يعني نفسه، فبكى وقال: فدينك يا رسول الله بأبائنا وأمهاتنا، فقبله
ﷺ بقوله: «إن أَمَنَ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر ولو كنتُ
مُتَّخِذًا من أهل الأرض خليلًا لاتَّخِذْتُ أبا بكر خليلًا ولكن أخوة
الإسلام، ثم قال: لا يبقى في المسجد خوخة إلا سُدَّتْ إلا خوخة
أبي بكر»، ثم أكَّدَ أمرَ الخلافة بأمره صريحًا أن يُصلي بالناس، فصلَّى
أبو بكر بالناس سبع عشرة صلاة، وبقية الصلاة في مدة مرضه صلاحها
بهم، وقد ورد أنه ﷺ وجد خِفَةً في اليوم الذي تُوفي فيه، فخرج ﷺ
وأبو بكر يصلي بالناس الصبح، فصلَّى النبي ﷺ خلفه مُؤْتَمًّا به، وأذن
له نساؤه أن يُمرَّضَ في بيت عائشة لما رَأَيْنَ من حرصه على ذلك،
فدخل بيتها يوم الاثنين، وفي البخاري أن عائشة رضي الله عنها كانت تقول: إن
من نعم الله عليَّ أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي وبين
سحري ونحري، وإن الله جمع بين ريقِي وريقه عند موته، دخل عليَّ
عبد الرحمن وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ فرأيتَه ينظر إليه
وعرفت أنه يحب السواك، فقلت آخذ لك فأشار برأسه أن نعم، فتناوله

فاشدد عليه وقلت ألينه لك فأشار برأسه أن نعم، فليتنه وبين يديه ركوة أو علة فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول: لا إله إلا الله إن للموت سكرات، ثم نصب يده فجعل يقول في الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده. اهـ. ولما مات رسول الله ﷺ طاشت عقول الصحابة فخبل عمر وأخرس عثمان وأقعده علي، وعن أنس قال: لما توفي النبي ﷺ قام عمر بن الخطاب في المسجد خطيباً فقال: لا أسمع من أحد يقول إن محمداً قد مات، ولكنه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى بن عمران فلبث عن قومه أربعين ليلة. وفي تنمة المختصر لما قبض الله نبيه ﷺ قال عمر: من قال إن رسول الله ﷺ مات علوت رأسه بسيفي هذا وإنما ارتفع إلى السماء، انتهى. وفي البخاري عن أبي سلمة أن عائشة أخبرته أن أبا بكر أقبل على فرسه من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتميم رسول الله ﷺ وهو مغشى بتوب حبرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبّله وبكى ثم قال: بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التي كتبت عليك فقدمتها. قال الزهري وحدثني أبو سلمة عن عبد الله بن عباس أن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر فقال أبو بكر: أما بعد من كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ إِلَى قَوْلِهِ الشَّاكِرِينَ﴾⁽¹⁹⁾، وقال:

⁽¹⁹⁾ سورة آل عمران: 144.

والله لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها الناس منه كلهم فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها.

(فائدة) روي «أن جبريل نزل على النبي ﷺ في مرض موته فقال: يا جبريل هل تنزل من بعدي فقال: نعم يا رسول الله أنزل أنزل عشر مرات أرفع العشر جواهر من الأرض، قال: يا جبريل وما ترفع منها، قال: الأول أرفع البركة من الأرض، الثاني أرفع المحبة من قلوب الخلق، الثالث أرفع الشفقة من قلوب الأقارب، الرابع أرفع العدل من الأمراء، الخامس أرفع الحياء من النساء، السادس أرفع الصبر من الفقراء، السابع أرفع الورع والزهد من العلماء، الثامن أرفع السخاء من الأغنياء، التاسع أرفع القرآن، العاشر أرفع الإيمان».

(وغسّله ﷺ) علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، وقثم بن العباس، وأسامة بن زيد، وشقران مولى رسول الله ﷺ، وأحضروا أوس بن حوّلٍ جد بني عوف، فكان علي يسنده ويغسله، وكان العباس والفضل وقثم يقبلونه معه، وكان أسامة بن زيد وشقران يصبّان الماء عليه وأعينهم معصوبة، روي عن علي أنه قال: أوصاني رسول الله لا يغسله غيري فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه.

(وكفّن ﷺ) في ثلاثة أثواب بيض سَحُولِيَّة، أي من عمل سحولة قرية باليمن ليس فيها قميص ولا عمامة، قال ابن إسحاق: ثوبان سحريان⁽²⁰⁾ وبُرد حَبْرَة وأدرج فيها إدراجًا، انتهى. ثم بخر بالعود وصار الناس يدخلون للصلاة عليه طائفة بعد طائفة أفذاذًا أفذاذًا

⁽²⁰⁾ سَحْرِيَّان أو صُحَارِيَّان، نسبة إلى صحار باليمن.

لم يؤمهم أحد، وقيل لم يُصلِّ عليه أحد، وإنما كان الناس يدخلون ليدعوا ويتضرعوا.

(واختلفت الصحابة في الموضع الذي يدفن فيه) فقال بعضهم: يُدفن بالبقيع، وبعضهم ينقل ويدفن عند إبراهيم الخليل، فقال أبو بكر: ادفنوه في الموضع الذي قُبض فيه فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا يُدفن نبي إلا حيث قُبض» فاتفقوا على ذلك فحُفِر قبره وصُنِعَ له لَحْدٌ ووُضِعَ فيه، (وأنزله في قبره ﷺ) علي بن أبي طالب، والعباس، والفضل وقُثم ابنا العباس، وأوس بن خُوَليٍّ، وكان دفنه ﷺ ليلة الأربعاء، فيكون مكث بعد موته بقية يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ويومها وبعض ليلة الأربعاء؛ لأنه توفي ﷺ يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، فعن ابن عباس: ولد النبي ﷺ يوم الاثنين، واستُئِيبَ يوم الاثنين، وخرج مهاجرًا من مكة إلى المدينة يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين، ورفع الحجر يوم الاثنين، وقُبضَ يوم الاثنين. وسبب تأخير دفنه؛ اشتغالهم ببيعة أبي بكر حتى تمت، وقيل لعدم اتفاقهم على موته ﷺ. وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يومًا، وقيل أربعة عشر، وقيل اثنا عشر، وقيل غير ذلك، وتوفي ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح، وكذا أبو بكر وعمر وعائشة.

فصل في ذكر مناقب سيدنا علي بن أبي طالب ابن عم الرسول وسيف الله المسلول

وُلد بمكة داخل البيت الحرام على قولٍ، يوم الجمعة ثالث عشر رجب الحرام سنة ثلاثين من عام الفيل قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة، وقيل بخمس وعشرين، وقبل المبعث باثنتي عشرة سنة، وقيل بعشر سنين، ولم يُولَد في البيت الحرام قبله أحد سواه، قاله ابن الصباغ، (وأمه) فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، تجتمع مع أبي طالب في هاشم جد النبي ﷺ، أسلمت وهاجرت مع النبي ﷺ، نُقل عنها أنها كانت إذا أرادت أن تسجد لصنم وعلي في بطنها لم يمكنها، يضع رجله على بطنها ويلصق ظهره بظهرها ويمنعها من ذلك؛ ولذلك يقال عند ذكره: «كرم الله وجهه» أي عن أن يسجد لصنم، وهي أول هاشمية وَلَدَتْ هاشمياً، ولما ماتت كَفَّنَهَا ﷺ بقميصه؛ لأنها كانت عنده بمنزلة أمه، وأمر ﷺ أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود فحفروا قبرها بالبقيع.

فلما بلغوا لَحْدَهَا، حَفَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بيده وأخرج ترابه، فلما فرغ اضطجع فيه وقال: «اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد وَلَقِّنْهَا حُجَّتَهَا وَوَسِّعْ عَلَيْهَا مُدْخَلَهَا بِحَقِّ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ»، فقبل يا رسول الله رأيناك صنعت شيئاً لم تكن صنعته بأحد قبلها، فقال ﷺ: «ألبسْتُها قميصي لتلبسَ من

ثياب الجنة واضطجعت في قبرها ليُخَفَّفَ عنها من ضغطة القبر لأنها كانت من أحسن خلق الله تعالى صنعا إليَّ بعد أبي طالب».

(وترى علي) عند النبي ﷺ وذلك أنه لما أصاب أهل مكة جذب وقحط أجحف بذي المروة وأضر بذي العيال قال رسول الله ﷺ لعمه العباس وكان من أيسر بني هاشم: «يا عم إن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى فانطلق بنا إلى بيته لنخفف من عياله عنه فتأخذ أنت رجلاً وأنا آخذ رجلاً فنكفلهما عنه» فقال العباس: افعَل، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب إذا تركتما لي عقيلاً وطالبا فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرًا فضمه إليه، فلم يزل علي مع رسول الله ﷺ حتى بُعث النبي ﷺ فأتبعه علي وآمن به وصدقته وكان عمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة. وقال ابن إسحاق أسلم علي بن أبي طالب وهو ابن عشر، وقيل غير ذلك.

وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك؛ فإن رسول الله ﷺ خلفه في أهله فقال: يا رسول الله أتخلفني في النساء والصبيان، قال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي» أخرجه الشيخان.

(صِفته) كان آدم⁽²¹⁾ شديد الأدمة، ثقیل العينين عظيمهما، أقرب إلى القصير من الطول، ذا بطن، كثير الشعر، عريض اللحية، أصلع

(21) قال ابن سيده: الأدمة في الإبل لونٌ مُشربٌ سوادًا أو بياضًا، وقيل: هو البياض الواضح، وقيل: في الظباء لونٌ مُشربٌ بياضًا وفي الإنسان السُمرّة.

أَبْيَضَ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ. وفي ذخائر العقبى كان رُبْعَةً⁽²²⁾ من الرجال، أَدْعَجَ العينين عظيمهما، حَسَنَ الوجه كأنه قمر بدريّ، عظيم البطن، وكان عريض ما بين المَنَكِبَيْنِ، لَمَنَكِبِهِ مُشَاشٌ⁽²³⁾ مُشَاشِ السَّبْعِ الضَّارِي، لا تَبِينُ عَضْدُهُ مِنْ سَاعِدِهِ أَدْمِجَ إِدْمَاجًا، شَتْنُ⁽²⁴⁾ الكَفَيْنِ، عَظِيمُ الْكَرَادِيسِ⁽²⁵⁾، أَغْيَدُ⁽²⁶⁾ كَأَنَّ عُنُقَهُ إِبْرِيقُ فِضَّةٍ. وفي أسد الغابة عن رِزَامِ بْنِ سَعْدِ الضَّبِّي قال: سمعت أبي ينعت عليًّا قال: كان رجلًا فوق الرُّبْعَةِ، ضَخَمَ المَنَكِبَيْنِ، طَوِيلَ اللِّحْيَةِ، وَإِنْ شَتَّ قَلْتُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ قَلْتُ آدَمَ، وَإِنْ تَبَيَّنَتْهُ مِنْ قَرَبٍ قَلْتُ أَنْ يَكُونَ أَسْمَرُ أَدْنَى مِنْ أَنْ يَكُونَ آدَمَ.

(لطيفة) عن أبي سعيد التيمي أنه قال: كنا نبيع الثياب على عواتقنا ونحن غلمان في السوق فإذا رأينا عليًّا قد أقبل علينا قلنا: بُزْرُكُ أَشْكَمَ، قال عليُّ: ما يقولون، قالوا: يقولون عظيم البطن، قال: «أَجَلْ، أَعْلَاهُ عِلْمٌ وَأَسْفَلُهُ طَعَامٌ»، وَأَشْكَمَ بِالْعَجْمِيَةِ البطن، وَبُزْرُكُ -بضم الباء والزاي وسكون الراء- عظيم.

(وقد ورد في فضله آيات وأحاديث جمّة) نقل الواحدي في كتابه المسمى بأسباب النزول أن الحسن والشعبي والقرطبي قالوا إن عليًّا والعباس وطلحة بن شيبه افتخروا فقال طلحة: أنا صاحبُ البيتِ، مفتاحه بيدي، ولو شَتَّ كُنْتُ فِيهِ، وقال العباس: وأنا صاحبُ

⁽²²⁾ رُبْعَةً: ليس بالطويل ولا بالقصير.

⁽²³⁾ المِشَاشُ بضم الميم وكسرهما: رؤس العظام، كالمرفقين والكتفين والركبتين.

⁽²⁴⁾ شَتْنٌ: غليظ.

⁽²⁵⁾ الكراديس: جمع كُردوس، وهو كل عظمين التقيا في مفصل.

⁽²⁶⁾ الغَيْدُ: النعومة.

السَّقَايَةِ والقَائِمِ عَلَيْهَا، فقال علي: «لا أدري لقد صَلَّيْتُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ قَبْلَ النَّاسِ، وَأَنَا صَاحِبُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾⁽²⁷⁾.

وعن أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ قَالَ: «صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ الظَّهْرِ فَسَأَلْتُ سَائِلٌ فِي الْمَسْجِدِ فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ شَيْئًا، فَرَفَعَ السَّائِلُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي سَأَلْتُ فِي مَسْجِدِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَلَمْ يُعْطِنِي أَحَدٌ شَيْئًا، وَكَانَ عَلَيَّ فِي الصَّلَاةِ رَاكِعًا، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ بِخَنْصَرِهِ الْيَمْنَى وَفِيهَا خَاتَمٌ، فَأَقْبَلَ السَّائِلُ فَأَخَذَ الْخَاتَمَ مِنْ خَنْصَرِهِ وَذَلِكَ بِمَرَأَى مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ أَخِي مُوسَى سَأَلَكَ فَقَالَ: رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي فَأَنْزَلَتْ عَلَيْهِ قِرْآنًا سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلَ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصُلُونَ إِلَيْكُمَا اللَّهُمَّ وَإِنِّي مُحَمَّدُ نَبِيُّكَ وَصَفِيكَ اللَّهُمَّ فَاشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي عَلِيًّا اشْدُدْ بِهِ ظَهْرِي قَالَ أَبُو ذَرٍّ: فَمَا اسْتَتَمَّ دَعَاءَهُ حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيلُ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اقْرَأْ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ». نقله أبو

⁽²⁷⁾ سورة التوبة: الآيتان: 19، 20.

إسحاق أحمد الثعلبي في تفسيره. ونقل الواحدي في تفسيره يرفعه بسنده إلى ابن عباس قال: «كان مع علي أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية فأنزل الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾»⁽²⁸⁾. وعن ابن عباس قال: «لما نزلت هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾»⁽²⁹⁾، قال النبي ﷺ لعلي: أنت وشيعتك تأتي يوم القيامة أنت وهم راضين مرضيين ويأتي أعداؤك غضاباً مقمحين»، وعن مكحول عن علي بن أبي طالب في قوله تعالى: ﴿وَتَعْبَهُمْ أَذُنٌ وَّاعِيَةٌ﴾»⁽³⁰⁾. قال: قال رسول الله ﷺ سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي ففعل فكان علي يقول: ما سمعت من رسول الله ﷺ كلاماً إلا وعبته وحفظته ولم أنسه. وعن ابن عباس قال: «لما نزل قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾»⁽³¹⁾. قال رسول الله ﷺ: أنا المُنْذِرُ وعليُّ الهادي وبك يا علي يهتدي المُهْتَدُونَ». قال ابن عباي ليس آية من كتاب الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾»⁽³²⁾ إلا وعلي أولها وأميرها وشريفها.

ونقل الإمام أبو إسحاق الثعلبي (رحمه الله) في تفسيره: «إن سفيان بن عيينة (رحمه الله تعالى) سئل عن قوله تعالى: ﴿سَأَلُوكَ

⁽²⁸⁾ سورة البقرة: آية 274.

⁽²⁹⁾ سورة البينة: آية 7.

⁽³⁰⁾ سورة الحاقة: آية 12.

⁽³¹⁾ سورة الرعد: آية 7.

⁽³²⁾ أكثر من مائة آية تشتمل على هذا القول الكريم.

بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿٣٣﴾ فيمن نزلت، فقال للسائل لقد سألتني عن مسألة لم يسألني عنها أحد قبلك حدثني أبي عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام أن رسول الله ﷺ لما كان بِغَدِيرِ خُمٍ ^(٣٤) نادى الناس فاجتمعوا فأخذ بيد علي وقال: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيَّْ مَوْلَاهُ»، فشاح ذلك فطار في البلاد وبلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري فأتى رسول الله ﷺ على ناقة له فأناخ راحلته ونزل عنها.

وقال: يا محمد أمرتنا عن الله عزَّ وجلَّ أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلنا منك، وأمرتنا أن نصلي خمسا فقبلنا منك، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا، وأمرتنا أن نصوم رمضان فقبلنا، وأمرتنا بالحج فقبلنا، ثم لم ترَضْ بهذا حتى رفعت بِضَبْعِي ^(٣٥) ابنِ عمِّك تفضله علينا فَقُلْتَ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيَّْ مَوْلَاهُ، فهذا شيء منك أم من الله عزَّ وجلَّ.

فقال النبي ﷺ: «والذي لا إله إلا هو إن هذا من الله عزَّ وجلَّ»، فَوَلَّى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فَأَمْطِرْ علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذابٍ أليم، فما وصل إلى راحلته حتى رماه الله عزَّ وجلَّ بحجرٍ سَقَطَ على هامَتِهِ فخرج من دُبُرِهِ فقتلَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ (٢) مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣٦﴾.

(٣٣) سورة المعارج: الآية ١.

(٣٤) غدير خُم: وادٍ بين مكة والمدينة، وأصل الغدير من غادرت الشيء إذا تركته وهو فعيل بمعنى مفعول كأنَّ السيل غادره في موضعه. وخُم اسم موضع الغدير.

(٣٥) الضَّبْعُ بِسُكُونِ الْبَاءِ: وَسَطُ الْعُضْدِ، تَقُولُ: أَخَذْتُ بِضَبْعِيهِ، أَي: بِعَضْدِيهِ.

(٣٦) سورة المعارج: الآيات ١-٣.

(تنبيه) قال العلماء لفظ المولى يستعمل بإزاء معانٍ متعددة وَرَدَ بها القرآن العظيم، فتارة يكون بمعنى أَوْلَى قال الله تعالى في حق المنافقين: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾⁽³⁷⁾ أي أَوْلَى بكم، وتارة بمعنى الناصر قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾⁽³⁸⁾، وبمعنى الوارث قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾⁽³⁹⁾، أي وَرَثَتِهِ، وبمعنى العَصَبَةِ قال تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾⁽⁴⁰⁾، أي عَصَبَتِي، وبمعنى الصديق قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا﴾⁽⁴¹⁾، أي صديق عن صديق، وبمعنى السيد المعتقد وهو ظاهر، فيكون معنى الحديث مَنْ كُنْتُ نَاصِرَهُ أَوْ حَمِيمَهُ أَوْ صَدِيقَهُ فَإِنْ عَلِيًّا كَذَلِكَ.

(ومن الأحاديث) ما أخرجه الترمذي والحاكم وصححه عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِحُبِّ أَرْبَعَةٍ وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يَحِبُّهُمْ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ سَمِّهُمْ لَنَا قَالَ: عَلِيٌّ مِنْهُمْ يَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثًا وَأَبُو ذَرٍّ وَالْمِقْدَادُ وَسَلْمَانٌ».

وأخرج أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن حُبْشِيِّ بْنِ جُنَادَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلِيٌّ مِنِّي وَأَنَا مِنْ عَلِيٍّ وَلَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا عَلِيٌّ». وأخرج الترمذي عن ابن عمر قال: «أَخَى النَّبِيِّ ﷺ

⁽³⁷⁾ سورة الحديد: آية 15.

⁽³⁸⁾ سورة محمد: آية 11.

⁽³⁹⁾ سورة النساء: آية 33.

⁽⁴⁰⁾ سورة مريم: آية 5.

⁽⁴¹⁾ سورة الدخان: آية 41.

بين أصحابه فجاء عليٌّ تدمع عيناه فقال: يا رسول الله آخيتَ بين أصحابك ولم تؤاخِ بيني وبين أحد فقال ﷺ: أنت أخي في الدنيا والآخرة». وأخرج مسلم عن علي قال: «والذي فلَقَ الحبة وبرأ النِّسمة إنه لعهد النبي الأمي به أنه لا يُحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق». وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: «كنا نعرف المنافقين ببُغضهم علينا». وأخرج الحاكم وصححه عن علي قال: «بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فقلت يا رسول الله بعثني وأنا شاب أقضي بينهم ولا أدري ما القضاء فضرب صدري ثم قال: اللهم اهد قلبه وثبت لسانه فوالذي فلَقَ الحبة ما شككت في قضاء بين اثنين». وسبب قوله: «أقضاكم علي» ما روي أن النبي كان جالساً مع جماعة من الصحابة فجاء خصمان فقال أحدهما: يا رسول الله إن لي حماراً، وإن لهذا بقرة، وإن بقرته قتلتَ حماري، فبدأ رجل من الحاضرين فقال: لا ضمان على البهائم، فقال ﷺ: اقض بينهما يا علي، فقال علي لهما: كانا مرسلين أم مشدودين أم أحدهما مشدوداً والآخر مرسلًا فقالا: كان الحمار مشدوداً والبقرة مرسلة وصاحبها معها، فقال: على صاحب البقرة ضمان الحمار، فأقرَّ ﷺ حكمه وأمضى قضاءه. عن أبي عثمان النهدي عن علي كرم الله وجهه قال: «بينما رسول الله ﷺ أخذُ بيدي ونحن نمشي في بعض سكك المدينة إذ أتينا على حديقة قال: فقلتُ يا رسول الله ما أحسنها من حديقة، فقال: ما أحسنها ولك في الجنة أحسن منها، ثم مررنا بأخرى فقلت يا رسول الله ما أحسنها من حديقة، فقال: ما أحسنها ولك في الجنة أحسن منها، حتى مررنا بسبع حدائق، وكل ذلك أقول له

ما أحسنها، ويقول لك في الجنة أحسن منها، فلما خلا له الطريق اعتنقني ثم أجھَشَ باكياً، فقلت يا رسول الله ما يبكيك، قال: ضغائن لك في صدور أقوام لا يُبدونها لك إلا من بعد موتي، قال: قلت يا رسول الله في سلامة من ديني، قال: في سلامة من دينك».

(لطيفة) رُوي أن رجلاً أتى به إلى عمر بن الخطاب وكان صدر منه أنه قال لجماعة من الناس وقد سأله كيف أصبحت، قال: «أصبحت أحب الفتنة، وأكره الحق، وأصدق اليهود والنصارى، وأومن بما لم أره، وأقر بما لم يخلق» فأرسل عمر إلى علي عليه السلام فلما جاء أخبره بمقالة الرجل فقال: صدق، يحب الفتنة؛ قال الله تعالى: «إنما أموالكم وأولادكم فتنة»، ويكره الحق؛ يعني الموت قال الله تعالى: «وجاءت سكرة الموت بالحق»، ويصدق اليهود والنصارى؛ قال الله تعالى: «وقالت اليهود ليست النصارى على شيء» وقالت النصارى ليست اليهود على شيء، ويؤمن بما لم يره؛ يؤمن بالله عزَّ وجلَّ، ويقرّ بما لم يخلق؛ يعني الساعة، فقال عمر: أعوذ بالله من معضلة لا علي بها. قال سعيد بن المسيب كان عمر يقول: اللهم لا تُبقني لمعضلة ليس لها أبو الحسن.

(نادرة) وهي أن رجلاً تزوج بخنثى لها فرج كفرج النساء وفرج كفرج الرجال، وأصدقها جارية كانت له، ودخل بالخنثى وأصابها فحملت منه وجاءت بولد، ثم إن الخنثى وطئت الجارية التي أصدقها لها الرجل فحملت منه الجارية بولد، فاشتهرت قصتها ورفع أمرها إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فسأل عن حال الخنثى، فأخبر أنها تحيض وتطأ وتوطأ وتمني من الجانبين وقد حبلت وأحبلت،

فصار الناس مُتَحِيرِي الأَفْهَام فِي جَوَابِهَا وَكَيْفِ الطَّرِيقِ إِلَى حَكَمِ قَضَائِهَا وَفَصَلَ خُطَابِهَا، فَاسْتَدْعَى عَلِيًّا غُلَامِيَهُ وَأَمْرَهُمَا أَنْ يَذْهَبَا إِلَى هَذِهِ الْخَنْثَى وَيَعْدَا أَضْلَاعَهَا مِنَ الْجَانِبَيْنِ إِنْ كَانَتْ مُتَسَاوِيَةً فِيهِمَا امْرَأَةً، وَإِنْ كَانَ الْجَانِبُ الْأَيْسَرُ أَنْقَصَ مِنَ الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ بِضَلْعٍ وَاحِدٍ فَهُوَ رَجُلٌ، فَذَهَبَا إِلَى الْخَنْثَى كَمَا أَمْرَهُمَا وَعَدَا أَضْلَاعَهَا مِنَ الْجَانِبَيْنِ فَوَجَدَا أَضْلَاعَ الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ أَنْقَصَ مِنْ أَضْلَاعِ الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ بِضَلْعٍ، فَجَاءَا وَأَخْبَرَاهُ بِذَلِكَ وَشَهِدَا عَنْهُ، فَحَكَمَ عَلَى الْخَنْثَى بِأَنَّهَا رَجُلٌ وَفَرَّقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا... وَدَلِيلُ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ وَحِيدًا أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِإِحْسَانِهِ إِلَيْهِ وَلِخَفِيِّ حَكْمَتِهِ فِيهِ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ زَوْجًا مِنْ جَنْسِهِ؛ لِيَسْكُنَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ، فَلَمَّا نَامَ آدَمُ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ضِلْعِهِ الْقُصْرَى مِنْ جَانِبِهِ الْأَيْسَرِ حَوَاءَ، فَاتَّبَعَهُ فَوَجَدَهَا جَالِسَةً إِلَى جَانِبِهِ كَأَحْسَنِ مَا يَكُونُ مِنَ الصُّوَرِ؛ فَلِذَلِكَ صَارَ الرَّجُلُ نَاقِصًا مِنْ جَنْبِهِ الْأَيْسَرِ عَنِ الْمَرْأَةِ بِالضَّلْعِ، وَالْمَرْأَةُ كَامِلَةً الْأَضْلَاعَ مِنَ الْجَانِبَيْنِ، وَالْأَضْلَاعَ الْكَامِلَةَ أَرْبَعَةً وَعِشْرُونَ ضِلْعًا هَذَا فِي الْمَرْأَةِ، وَأَمَّا الرَّجُلُ فَثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ ضِلْعًا اثْنَا عَشَرَ فِي الْأَيْمَنِ، وَاحِدَ عَشَرَ فِي الْأَيْسَرِ، وَباعتبار هذه الحالة ضلع المرأة أعوج، من الفصول المهمة، ولنرجع إلى ما نحن بصددده.

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ عَنْ أُمِّ سَلْمَةَ قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا غَضِبَ لَمْ يَجْتَرِئْ أَحَدٌ أَنْ يَكَلِّمَهُ إِلَّا عَلِيٌّ». وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: «النَّظَرُ إِلَى عَلِيٍّ عِبَادَةٌ». وَأَخْرَجَ أَبُو يَعْلَى وَابْنُ بَرَكٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «مَنْ آذَى عَلِيًّا فَقَدْ آذَانِي».

وأخرج الطبراني بسند عن أم سلمة عن رسول الله قال: «مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَحَبَّنِي فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ وَمَنْ أَبْغَضَ عَلِيًّا فَقَدْ أَبْغَضَنِي وَمَنْ أَبْغَضَنِي فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ». وأخرج الإمام أحمد والحاكم وصححه عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله يقول: «مَنْ سَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ سَبَّنِي». وأخرج الطبراني بسند ضعيف أن عليًّا قال: «إِنْ خَلِيلِي قَالَ: يَا عَلِيَّ إِنَّكَ سَتَقْدُمُ عَلَى اللَّهِ أَنْتَ وَشِيعَتُكَ رَاضِينَ مَرْضِيِينَ وَيَقْدُمُ أَعْدَاؤُكَ غَضَابًا مُقْمَحِينَ⁽⁴²⁾». ثم جمع عليٌّ يده إلى عنقه يريهم الإقماح. وشيعته هم أهل السنة؛ لأنهم هم الذين أحبوه كما أمر الله ورسوله، لا الروافض وأعداؤه الخوارج. وأخرج البزار وأبو يعلى والحاكم عن علي قال: دعاني رسول الله فقال: «إِنْ فِيكَ مَثَلًا مِنْ عِيسَى أَبْغَضْتَهُ الْيَهُودُ حَتَّى بَهَتُوا أُمَّهُ وَأَحْبَبَّتْهُ النَّصَارَى حَتَّى نَزَلُوهُ بِالْمَنْزِلِ الَّذِي لَيْسَ بِهِ»، أَلَا وَإِنَّهُ يَهْلِكُ فِيَّ اثْنَانِ؛ مُحِبٌّ مَفْرُطٌ يَطْرِينِي بِمَا لَيْسَ فِيَّ وَمُبْغِضٌ يَحْمِلُهُ شَتَائِي عَلَى أَنْ يَبْهَتَنِي. وأخرج الطبراني في الأوسط عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله يقول: «عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ لَا يَفْتَرِقَانِ حَتَّى يَرِدَا عَلَى الْحَوْضِ». وأخرج الحاكم عن جابر أن النبي قال: «عَلِيٌّ إِمَامُ الْبِرَّةِ وَقَاتِلُ الْفَجْرَةِ مَنْصُورٌ مَنْ نَصَرَهُ مَخْذُولٌ مَنْ خَذَلَهُ». وأخرج الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي قال: «عَلِيٌّ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ رَأْسِي مِنْ بَدْنِي». وأخرج البيهقي والديلمي عن أنس أن النبي قال: «عَلِيٌّ يَزْهُو فِي الْجَنَّةِ كَكَوْكَبِ الصُّبْحِ لِأَهْلِ الدُّنْيَا». وأخرج الترمذي والحاكم أن

⁽⁴²⁾ الإقماح: رفع الرأس وغيض البصر، أقمح القيد الأسير: ضاق على عنقه فاضطره إلى رفع رأسه.

النبي قال: «إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة عليٍّ وعمَّار وسلمان». وأخرج الشيخان عن سهل: «أن النبي وجد عليًّا مُضْطَجِعًا في المسجد وقد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب فجعل النبي يمسحه عنه ويقول قُمْ أَبَا تَرَابٍ». وكانت هذه الكُنية أَحَبَّ الكُنَى إليه. ففي صحيح البخاري «عن أبي حازم أن رجلاً جاء إلى سهل بن سعد فقال: هذا فلان لأمير المدينة يدعو عليًّا عند المنبر، قال فيقول ماذا، قال يقول له أبو تراب، فضحك قال: واللَّه ما سمَّاه إلا النبي وما كان له اسم أَحَبَّ إليه منه، فاستطعمت الحديث سهلاً وقلت يا أبا عباس كيف، قال: دخل عَلِيٌّ عَلَى فاطمة عليها السلام ثم خرج فاضطجع في المسجد فقال النبي: أين ابن عمك، قالت: في المسجد، فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلص التراب إلى ظهره فجعل يمسح التراب عن ظهره فيقول: اجلس يا أبا تراب مرتين»، قال الفقهاء وفيه جواز النوم في المسجد واستحباب ملاطفة الغضبان وممازحته والمشى إليه لاسترضائه، ومن كتاب الآل لابن خالويه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله لعلي: (حبك إيمان وبغضك نفاق وأول مَنْ يدخل الجنة مُحِبُّكَ وأول مَنْ يدخل النار مُبْغِضُكَ).

وعن عمار بن ياسر أن النبي قال لعلي: «طوبى لِمَنْ أَحْبَبَكَ وصدق فيك وويل لِمَنْ أَبْغَضَكَ وكذب فيك». وعن ابن عباس عليهما السلام: أن النبي نظر إلى علي بن أبي طالب فقال: «أنت سيدُّ في الدنيا وسيدُّ في الآخرة مَنْ أَحَبَّكَ فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَبْغَضَكَ فَقَدْ أَبْغَضَنِي وَبَغِيضُكَ بَغِيضُ اللَّهِ فالويل كل الويل لِمَنْ أَبْغَضَكَ». وأخرج البخاري عن علي أنه قال: «أنا أول مَنْ يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم

القيامة». وأخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب قال: «كان عمر بن الخطاب يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن يعني علياً» وقد تقدم. وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود قال: «أفرض أهل المدينة وأقضاها علي». وأخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: ما أنزل الله يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا وعلي أميرها وشریفها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد في غير مكان وما ذكر علياً إلا بخير، وقد تقدم صدره أيضاً. وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في علي».

وأخرج عنه أيضاً قال: نزلت في علي ثلاثمائة آية وفصائل كثيرة مشهورة؛ وحسبك أنه أخو رسول الله بالمؤاخاة، وصهره على فاطمة، وأحد العلماء الربانيين، والشجعان المشهورين، والخطباء المعروفين، وأحد من جمَعَ القرآن وعرضه على رسول الله. وأخرج الشيخان عن سهل بن سعد وغيرهما عن غيره أن النبي قال: (لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ يَحُبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) فبات الناس يخوضون ليلتهم أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فلما أصبح الناس غَدَوْا على رسول الله كل منهم يرجو أن يُعْطَاهَا، فقال: أين علي بن أبي طالب، فقيل يا رسول الله أَرَمَدَ قال: فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَن لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فقال علي: أَقَاتِلْهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا، قال: «فَانْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزَلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ فِيهِ فَوَاللَّهِ لَأَن يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»، قال فمضى ففتح الله على يديه.

(فائدتان): الأولى اشترى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب تمرًا بدرهم فحمله في رداءه، فسأل بعض أصحابه حمله عنه، فقال: «أبو العيال أحقُّ بحمله». (الثانية) قال علي كرم الله وجهه: «من سعادة المرء أن تكون زوجته موافقة، وإخوانه صالحين، وأولاده أبرارًا، ورزقه في بلده الذي هو فيه».

وبالجملة فتعداد فضائله ومناقبه، ومكانته في العلم والفهم والاستقامة والشجاعة والشهامة، والفراسة الصادقة، والكرامات الخارقة، وشدته في نصر الإسلام، ورسوخ قدمه في الإيمان، وسخائه وصدقته مع ضيق الحال، وشفقته على المسلمين، وزهده وتواضعه وتحمله، وتفاصيل ذلك بابٌ واسعٌ يحتمل مجلدات. ولذلك قال الإمام أحمد بن حنبل والقاضي إسماعيل بن إسحاق وأبو علي النيسابوري والنسائي: لم نرو في فضائل أحد من الصحابة إلا سأنيد الحسان ما روي في فضل علي بن أبي طالب، قال السيد السمهودي في جواهر العقدين والسبب في ذلك والله أعلم أن الله تعالى أطلع نبيه على ما يكون بعده مما ابتلي به علي وما وقع من الاختلاف لما آل إليه أمر الخلافة، فاقضى ذلك نصح الأمة بإشهاره لتلك الفضائل؛ لتحصل النجاة لمن تمسك به مِمَّنْ بلغته، ثم لما وقع ذلك الاختلاف والخروج عليه نشر مَنْ سَمِعَ مِنَ الصحابة تلك الفضائل وبَيَّنَّهَا نُصْحًا لِلأمة، ثم أيضًا لما اشتدَّ الخطبُ واشتغلت طائفةٌ من بني أمية بتنقيصه وسبِّه على المنابر ووافقهم الخوارج بل قالوا بكفره، اشتغل جَهَابُذَةُ الحُفَاطِ من أهل السنة بِبَثِّ الفضائل حتى كثرت؛ نُصْحًا لِلأمة ونُصْرَةً لِلحق. اهـ من بغية الطالب لمعرفة أولاد علي بن أبي طالب.

فصل في ذكر بعض من كلام علي (عليه السلام)

فمن كلامه كما نقله غير واحد: النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهَوْا، النَّاسُ أَشْبَهُ بَزْمَانِهِمْ مِنْهُمْ بِأَبَائِهِمْ، قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ، مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ، الْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ، مَنْ عَذَّبَ لِسَانَهُ كَثُرَ إِخْوَانُهُ، بِالْبِرِّ يُسْتَعْبَدُ الْحُرُّ، بَشْرٌ مَالِ الْبَخِيلِ بِحَادِثٍ أَوْ وَارِثٍ، لَا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ قَالَ وَانْظُرْ إِلَى مَا قَالَ، الْجَزَعُ عِنْدَ الْبَلَاءِ تَمَامُ الْمِحْنَةِ، لَا ظَفَرَ مَعَ الْبَغْيِ، لَا ثَنَاءَ مَعَ الْكِبَرِ، لَا بَرٍّ مَعَ الشُّحِّ، لَا صِحَّةَ مَعَ الْهَمِّ، لَا شَرَفَ مَعَ سُوءِ الْأَدَبِ، لَا اجْتِنَابَ لِمُحَرَّمٍ مَعَ الْحِرْصِ، لَا رَاحَةَ مَعَ الْحَسَدِ، لَا سُودَدَ مَعَ الْإِنْتِقَامِ، لَا مَحَبَّةَ مَعَ الْمِرَاءِ، لَا صَوَابَ مَعَ تَرْكِ الْمَشُورَةِ، لَا مَرْوَةَ لَكُذُوبٍ، لَا زِيَارَةَ مَعَ زَعَارَةٍ، لَا وِفَاءَ لَمَلُولٍ، لَا كَرَمَ أَعَزُّ مِنَ التَّقَى، لَا شَرَفَ أَعْلَى مِنَ الْإِسْلَامِ، لَا مَعْقِلَ أَحْصَنُ مِنَ الْعَقْلِ، لَا شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ التَّوْبَةِ، لَا لِبَاسَ أَجْمَلُ مِنَ الْعَافِيَةِ، لَا دَاءَ أَعْيَا مِنَ الْجَهْلِ، لَا مَرَضَ أَضْنَى مِنْ قِلَّةِ الْعَقْلِ، لِسَانُكَ يَقْتَضِيكَ مَا عَوَّدَتْهُ، الْمَرْءُ عَدُوٌّ مَا جَهِلَهُ، رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا عَرَفَ نَفْسَهُ وَلَمْ يَتَعَدَّ طَوْرَهُ، إِعَادَةُ الْإِعْتِذَارِ تَذَكِيرٌ لِلذَّنْبِ، النَّصْحُ بَيْنَ الْمَلَا تَقْرِيعٌ، إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلَامُ، الشَّفِيعُ جَنَاحُ الطَّالِبِ، نِفَاقُ الْمُؤْمِنِ ذَلَّةٌ، نِعْمَةُ الْجَاهِلِ كَرُوضَةٌ عَلَى مَزْبَلَةٍ، الْجَزَعُ أَتَعَبُ مِنَ الصَّبْرِ، الْمَسْؤُولُ حُرٌّ حَتَّى يَعِدَّ، أَكْبَرُ الْأَعْدَاءِ أَخْفَاهُمْ مَكِيدَةٌ، مَنْ طَلَبَ مَا لَا يَعْنِيهِ فَاتَتْهُ مَا يَعْنِيهِ، السَّامِعُ لِلْغَيْبَةِ أَحَدُ الْمُعْتَابِينَ، الذُّلُّ مَعَ الطَّمَعِ، الْعِزُّ مَعَ الْيَأْسِ، الْحِرْمَانُ مَعَ الْحِرْصِ، مَنْ كَثُرَ مَزَاحُهُ حَقِدَ عَلَيْهِ وَاسْتَخِفَّ بِهِ، عَبْدُ الشَّهْوَةِ أَذَلُّ

مِنْ عَبْدِ الرَّقِّ، الحاسدُ يَغْتَاطُ عَلَى مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ، مَنَعَ الْجُودِ سُوءُ ظَنٍّ بِالْمَعْبُودِ، كَفَى بِالظَّفَرِ شَفِيعًا لِلْمَذْنِبِ، رَبٌّ سَاعَ فِيمَا يَضُرُّهُ، لَا تَتَّكِلُ عَلَى الْمُتَنَّى فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى⁽⁴³⁾، الْيَأْسُ حُرٌّ وَالرَّجَاءُ عَبْدٌ، ظَنُّ الْعَاقِلِ كَهَانَةٌ، مَنْ نَظَرَ اعْتَبَرَ، الْعَدَاوَةُ شُغْلُ الْقَلْبِ، الْقَلْبُ إِذَا أُكْرِهَ عَمِيَ، الْأَدَبُ صُورَةُ الْعَقْلِ، مَنْ لَانَتْ أَسَافِلُهُ صَلَبَتْ أَعَالِيهِ، مَنْ أَتَى مَجَانَةً⁽⁴⁴⁾ قَلَّ حَيَاؤُهُ وَبَدَّوْ لِسَانُهُ، السَّعِيدُ مَنْ وَعَظَ بغيرِهِ، الْبُخْلُ جَامِعٌ لِمَسَاوِي الْعُيُوبِ، كَثَرَةُ الْوِفَاقِ نِفَاقٌ، كَثَرَةُ الْخِلَافِ شِقَاقٌ، رَبٌّ رَجَاءٌ يُوْدِي إِلَى الْحِرْمَانِ، رَبٌّ رِبْحٌ يُوْدِي إِلَى خُسْرَانٍ، رَبٌّ طَمَعَ كَاذِبٌ، الْبَغْيُ سَائِقٌ إِلَى الْحَيْنِ⁽⁴⁵⁾، فِي كُلِّ جُرْعَةٍ شَرْقَةٌ⁽⁴⁶⁾ وَمَعَ كُلِّ أَكْلَةٍ عُصَّةٌ، مَنْ كَثُرَ فِكْرُهُ فِي الْعَوَاقِبِ لَمْ يَشْجَعْ، إِذَا حَلَّتِ الْمَقَادِيرُ بَطَلَتْ التَّدَابِيرُ، إِذَا حَلَّ الْقَدَرُ بَطَلَ الْحَذَرُ، الْإِحْسَانُ يَقْطَعُ اللِّسَانَ، الشَّرْفُ بِالْعَقْلِ وَالْأَدَبِ بِالْأَصْلِ، أَكْرَمُ النَّسَبِ حُسْنُ الْأَدَبِ، أَفْقَرُ الْفُقَرَاءِ الْحُمُقُ، أَوْحَشُ وَخَشَةِ الْعُجْبِ، أَغْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ، الطَّمَاعُ فِي وَثَاقِ الدُّلِّ، لَيْسَ الْعُجْبُ مِمَّنْ هَلَكَ كَيْفَ هَلَكَ إِنَّمَا الْعُجْبُ مِمَّنْ نَجَا كَيْفَ نَجَا، احْذَرُوا كُفْرَانَ النِّعَمِ فَمَا كُلُّ شَارِدٍ بِمَرْدُودٍ، أَكْثَرُ مِصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْأَطْمَاعِ، مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلخَلْقِ هَلَكَ، إِذَا أَمْلَقْتُمْ فَبَادَرُوا بِالصَّدَقَةِ، مَنْ لَانَ عَوْدُهُ كَثُرَتْ أَغْصَانُهُ، قَلْبُ الْأَحْمَقِ فِيهِ وَلِسَانُ الْعَاقِلِ فِي قَلْبِهِ، مَنْ جَرَى فِي مِيدَانِ أَمَلِهِ عَثَرَ فِي عَنَانِ

(43) النَّوْكَى: جَمْعُ أَنْوَكٍ وَهُوَ الْأَحْمَقُ.

(44) الْمَجَانَةُ: مِنَ الْمُجُونِ وَهُوَ الْأَيُّبَالِي الْإِنْسَانُ مَا صَنَعَ، فَهُوَ مَا جَنَ.

(45) الْحَيْنُ بِفَتْحِ الْحَاءِ: الْهَلَاكُ.

(46) أَيَّ مَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ مَاءُ عُصَّةٍ.

أجله، إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر، إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكر القدرة عليه، ما أضمر أحد شيئاً في قلبه إلا ظهر عليه في فلتات لسانه وصفحات وجهه، البخيل يستعجل الفقر؛ يعيش في الدنيا عيشة الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء، لسان العاقل وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسانه.

(وعنه أيضاً في العلم) العلم يرفع الوضيع، والجهل يضع الرفيع، العلم خير من المال؛ العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم حاكمٌ والمال محكومٌ عليه. (وعنه) قَصَمَ ظَهْرِي رَجُلَانِ، عَالِمٌ مُتَهَتِّكٌ وَجَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ، هَذَا يُنْفِرُ النَّاسَ بِتَهْتِكِهِ، وَهَذَا يُضِلُّ النَّاسَ بِتَنَسُّكِهِ. (وعنه) أَقْلُ النَّاسِ قِيَمَةُ أَقْلِهِمْ عِلْمًا؛ إِذْ قِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ، وكفى بالعلم شرفاً أَنْ يَدَّعِيَهُ مَنْ لَا يُحْسِنُهُ، ويفرح به إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ذمًّا أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْهُ مَنْ هُوَ فِيهِ، ويغضب إذا نُسِبَ إليه، والناسُ عالمٌ أو متعلِّمٌ وسائرهم همجٌ رعاع.

(وعنه في العقل) الإنسان عقلٌ وصورةٌ، فَمَنْ أَخْطَأَ الْعَقْلَ لَزِمَتْهُ الصُّورَةُ وَلَمْ يَكُنْ كَامِلًا وَكَانَ بِمَنْزِلَةِ جَسَدٍ بَلَا رُوحَ.

(وعنه في صفة الدنيا) كَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ، وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الْآخِرَةِ لَمْ يَزَلْ، وكل ما هو آتٍ قريب، فكم من مؤملٍ أمرٌ لا يُدرِكُهُ، وكم جامعٍ مالٍ لا يأكلُهُ، ودأخِرٌ ما عساه أن يتركُهُ، ولعلُّهُ من باطلٍ جمعه، ومن حرامٍ رفعه، أَصَابَهُ حَرَامًا وَوَرِثَهُ عُدْوَانًا وَاحْتَمَلَ وَزْرَهُ وَبَاءَ مِنْهُ مِمَّا يَضُرُّهُ، خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ. (وعنه) لَا تَكُونُ غَنِيًّا حَتَّى تَكُونَ عَفِيفًا، وَلَا تَكُونُ زَاهِدًا حَتَّى تَكُونَ مُتَوَاضِعًا، وَلَا تَكُونُ مُتَوَاضِعًا حَتَّى تَكُونَ حَلِيمًا،

ولا يَسْلُمُ قَلْبُكَ حَتَّى تُحِبَّ لِلْمُسْلِمِينَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وكفى بالمرء جهلاً أن يركب ما عنه نَهَى، وكفى به عقلاً أن يسلم الناس من شره، وأعرض عن الجهل وأهله؛ اكفُفْ عن الناس ما تُحِبُّ أن يَكُفَّ الناسُ عنكَ، وأَكْرِمْ مَنْ صَافَاكَ وَأَحْسِنْ مُجَاوِرَةَ مَنْ جَاوَرَكَ وَإِنْ جَانَبَكَ، وَاكْثُفْ الْأَذَى وَاصْفَحْ عَنْ سُوءِ الْأَخْلَاقِ، وَلِتَكُنْ يَدُكَ الْعُلْيَا إِنْ اسْتَطَعْتَ، وَوِطْنُ نَفْسِكَ عَلَى الصَّبْرِ عَلَى مَا أَصَابَكَ، وَأَلْهِمْ نَفْسَكَ الْقَنَاعَةَ وَأَكْثِرِ الدَّعَاءَ تَسْلَمَ مِنْ سَوْرَةِ الشَّيْطَانِ، وَلَا تُتَافَسَ عَلَى الدُّنْيَا، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى، وَعَلَيْكَ بِالشَّيْمِ الْعَالِيَةِ تَقْهَرُ مَنْ يَنَاوِيكَ (وعنه) قل عند كل شدة: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم تُكْفَفْ، وقل عند كل نعمة: الحمد لله تزد منها، وإذا أبطأت عليك الأرزاق فاستغفر الله يُوسِعْ عَلَيْكَ، مفتاح الجنة الصبر، مفتاح الشرف التواضع، مفتاح الكرم التقوى، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ شَرِيفًا فَلْيَلْزِمِ التَّوَاضُعَ، عَجِبْ الْمَرْءَ بِنَفْسِهِ أَحَدٌ حَسَادٍ عَقْلِهِ.

(وقال): لا شرف لبخيل، ولا همّة لمهين، ولا سلامة لمن أكثر من مخالطة الناس، ولا كنز أغنى من القناعة، ولا مال أذهب للفاقة من الرضا بالقوت. (وقال): مَنْ كَثُرَتْ عَوَارِفُهُ كَثُرَتْ مَعَارِفُهُ، مَنْ أَجْمَلَ فِي الطَّلَبِ أَتَاهُ رِزْقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، مَنْ كَثُرَ دَيْنُهُ لَمْ تَقَرَّ عَيْنُهُ، مَنْ فَعَلَ مَا شَاءَ لَقِيَ مَا سَاءَ، مَنْ اسْتَعَانَ بِالرَّأْيِ مَلَكَ، مَنْ كَابَدَ الْأُمُورَ هَلَكَ، مَنْ أَمْسَكَ عَنِ الْفُضُولِ عُدَّ مِنْ أَرْبَابِ الْعُقُولِ، مَنْ لَمْ يَكْتَسِبْ بِالْأَدَبِ مَالًا اكْتَسَبَ بِهِ جَمَالًا، مَنْ كَسَاهُ الْغِنَى ثَوْبًا حُجِبَتْ عَنِ الْعَيُونِ عِيُوبُهُ، مَنْ حَسُنَتْ سِيَاسَتُهُ دَامَتْ رِئَاسَتُهُ، مَنْ رَكِبَ الْعَجَلَةَ لَمْ يَأْمَنِ الْكِبُورَةَ، مَنْ تَقَدَّمَ بِحُسْنِ النِّيَّةِ نَصَرَهُ التَّوْفِيقُ. (وقال كَرَّمَ اللَّهُ

وجهه) الوحدة راحة، والعزلة عبادة، والقناعة غنى، والاقتصاد بُلْغَةً⁽⁴⁷⁾، والعزيم بغير الله ذليل، والغنيُّ الشَّرُّ⁽⁴⁸⁾ فقير. ولا تعرف الناس إلا بالاختبار، فاختبر أهلك وولدك في غيبتك، وصديقك في مصيبتك، وذا القرابة عند فافتك، والتودد والمَلَق عند عطلتك؛ لتعلم بذلك منزلتك. وقال: ما ذَبُّ عن الأعراض كالصَّفْح والإعراض. وقال: خير الكلام ما دَلَّ وَقَلَّ وَجَلَّ وَلَمْ يُمَلِّ. وقال كرم الله وجهه: في إغضائِك راحةٌ أعضائِك. أَجَلُ النَّوَالِ ما وصل قبل السؤال. الحكيمُ لا يَعْجَبُ بقضاءٍ محتوم حلَّ بمخلوق. عَفَّةُ اللسانِ صُمْتُهُ. من الفراغ تكون الصَّبْوَةُ⁽⁴⁹⁾. وقال: لا تُحَدِّثْ عن غيرِ ثقةٍ تكن كَذَّابًا، وقَارِنُ أَهْلِ الخير تكن منهم، وأَبْنُ أَهْلِ الشَّرِّ تَبِنَ عنهم، واعلم أن من الحزم العزم، وساعدُ أخاك إن جَفَاكَ، وإن قَطَعْتَهُ فاستَبَقْ له بقيةً من نفسك، ولا ترغب فيمن زهد فيك، وليس جزاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوَّهُ، واعلم أن عاقبةَ الكَذِبِ الذَّمُّ وعاقبةُ الصِّدْقِ النَّجاةُ. (وقال كرم الله وجهه): خيرُ أهلك مَنْ كَفَاكَ. تَرَكُ الخُطِيئةِ أهونُ من التوبة. عدوُّ عاقلٍ خيرٌ من صديق جاهل. التوفيقُ من السعادة. مَنْ تَجَنَّبَ عيوبَ الناس بنفسه بدأ. مَنْ سَلِمَ مِنَ ألسنةِ الناس فهو السعيد. مَنْ تَحَفَّظَ مِنْ سَقَطِ الكلام أَفْلَحَ. كم من غريبٍ خيرٌ من قريب. خيرُ إخوانك مَنْ وَاسَاكَ، وخيرٌ منه مَنْ كَفَاكَ. خيرُ مالِك ما أعانَكَ على حاجتك. مَنْ أَحَبَّ الدُّنيا جمعَ لغيره. المعروفُ فرض، والدنيا دُولٌ. مَنْ كان

(47) البلغة: ما يكفي لسد الحاجة ولا يفضل عنها.

(48) الشَّرُّ: مَنْ يَأْكُلُ مِنْهُمْ وَجَشَعَ، شديد الشهوة للطعام والحرص عليه.

(49) الصبوة: جهلة الفتوة، يقال لا يزال في صبوته أي في لهو فتوته.

في النعمة جهل قدر البليّة. مَنْ قَلَّ سُروُرُه كان في الموت راحته. السؤالُ مَذَلَّةٌ. والعطاءُ محبّةٌ والمنعُ مَبْغَضَةٌ. صحبة الأشرار تُورِثُ سوءَ الظنِّ بالأخيار. الحرُّ حُرٌّ ولو مَسَّه الضر. ما ضل من استرشد، ولا خاب من استشار. الحازم لا يستبدل به. آمن من نفسك عندك من وثقته على شرك. المودة بين الآباء صلة بين الأبناء. من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه. من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته. من عظم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها. رُب مفتون بحسن القول فيه. الدهر يومان يوم لك ويوم عليك، فإن كان لك فلا تبطر، وإن كان عليك فلا تضجر. الرّاكن إلى الدنيا مع ما يعاين فيها جاهل. الطمأنينة إلى كل أحد قبل الاختبار له عجز.

البخل جامع لمساوي الأخلاق. نِعْمُ الله على العبد جالبة حوائج الناس إليه، فمن قام فيها بما يجب عرضها للدوام، ومن لم يقم بها عرضها للزوال والفناء، والعفاف زينة الفقراء. الناس أبناء الدنيا فلا لوم عليهم في حبهم أمهم. الدنيا جيفة فمن أَرادها فليصبر على مخالطة الكلاب. الدنيا والآخرة كالمشرق والمغرب إن قربت من أحدهما بعدت عن الآخر. الطمع ضامنٌ غيرٌ وَفِيٍّ. الأمانى تُعمي أعين البصائر، ولا تجارة كالعمل الصالح، ولا ربح كالثواب، ومن أطال الأمل أساء العمل.

(عن ابن عباس قال): ما انتفعت بكلام بعد رسول الله كانتفاعي بكتاب كتبه إليّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فإنه كتب إلي: أما بعد فإن المرء يسوؤه فَوْتُ ما لم يكن ليدركه، ويسرّه إدراك ما لم يكن ليفوته؛ فليكن سرورك بما نلت من آخرتك، وليكن أسفك

على ما فات منها، وما نلتَ من دنياك فلا تكن به فَرِحًا، وما فاتك منها فلا تأس عليه. وليكن همك لما بعد الموت والسلام. وقال يخاطب سيدنا عمر: إن أردتَ أن تلحق بصاحبيك فأقصر الأمل، وكُلْ دون الشبع، وارْقَعْ القميص، والبس الإزار، واخْصِف النعل، تلحق بهما. وقال: الشيءُ شيئان شيءٌ قصر عني لم أرزقه فيما مضى ولا أرجوه فيما بقي، وشيءٌ لا أناله دون وقته ولو استعنتُ عليه بقوة أهل السماوات والأرض؛ فما أعجب الإنسان يسُرُّه درك ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، ولو أنه فكر لأبصر، ولَعَلِمَ أنه مُدَبَّر، واقتصر على ما تيسر، ولم يتعرض لما تعسر، واستراح قلبه مما استوعر⁽⁵⁰⁾، فكونوا أقل ما تكونوا في الباطن آملًا، وأحسن ما تكونوا في الظاهر أعمالًا، فإن الله تعالى أدب عباده المؤمنين أدبًا حسنًا فقال عزَّ من قائل: ﴿يَخْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾⁽⁵¹⁾. ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلبًا لما عند الله تعالى، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالًا على الله. (ومن كلامه): يوم العدل على الظالم شر من يوم الجور على المظلوم. خير ما ساس الإنسان به نفسه ضبط اللسان. خصلتان لا تجتمعان الكذب والمروءة.

خير المعروف ما لم يتقدمه المطل ويقارنه التعيس ويتبعه المن. خَفِ اللّهُ خوفًا لا تيأس فيه من رحمته، وارْجُهُ رجاءً لا تأمن فيه عقابه. رُبَّ حيلة أهلكت المحتال. إذا نزل القضا كان العطب في

(50) استوعر: رآه وعرًا وصعبًا.

(51) سورة البقرة: آية 273.

الحيلة. خفاء عيب الإنسان عليه أشدُّ عيوبه مضرةً عليه. أول الحرب شكوى وأوسطها نجوى وآخرها بلوى. الحيوان جسم نام حساس. إذا ارتفع الوضع وضع الرفيع. علة الفرار في الحرب المعصية؛ دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾⁽⁵²⁾ آية. ومن كلامه لابنه الحسن: يا بني ابذل لصديقك كل المودة، ولا تطمئن إليه كل الطمأنينة، وأعطه كل المواساة، ولا تُفشِ له كل الأسرار.

⁽⁵²⁾ سورة آل عمران: آية 155.

فصل في ذكر شيء من شجاعته

فمن شجاعته نومه على فراش رسول الله لما أمره بذلك، وقد اجتمعت قريش على قتل النبي ولم يكثرث علي بهم. قال بعض أصحاب الحديث أوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل أن انزلا إلى علي واحرساه في هذه الليلة إلى الصباح، فنزلا إليه وهم يقولون بخ بخ من مثلك يا علي قد باهى الله بك ملائكته.

(وأورد) الإمام الغزالي في كتابه إحياء العلوم: أن ليلة بات علي على فراش رسول الله، أوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل إني آخيتُ بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة، فاختار كلاهما الحياة وأحبَّاهَا، فأوحى الله إليهما أفلا كتما مثل علي بن أبي طالب آخيتُ بينه وبين محمد فبات علي فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، اهبطا الأرض فاحفظاه من عدوه.

فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجله ينادي ويقول بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ﴾⁽⁵³⁾. وفي تلك الليلة أنشأ علي: وَقَيْتُ بِنَفْسِي خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى

وَبِتُّ أَرَاعِي مِنْهُمْ مَا يَسُوؤُنِي

⁽⁵³⁾ سورة البقرة: آية 207.

وَبَاتَ رَسُولُ اللَّهِ فِي الْغَارِ آمِنًا
وَأَكْرَمَ خَلْقٍ طَافَ بِالْبَيْتِ وَالْحَجَرِ
وَقَدْ صَبَّرْتُ نَفْسِي عَلَى الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ

وما زال في حِفْظِ الْإِلَهِ وَفِي السِّتْرِ
(ومن شجاعته) ما وقع على يديه في غزوة بدر، وكان عمره إذ
ذاك سبعةً وعشرين سنة. قال بعضهم: إن أهل الغزوات أجمعت
على أن جملة مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يوم بدر سبعون رجلًا، قال قَتَلَ
عليٌّ منهم أحدًا وعشرين، تسعة باتفاق الناقلين، وأربعة شاركه فيهم
غيره، وثمانية مختلف فيهم. روي عن رافع مَوْلَى رسول الله قال:
لما أصبح الناس يوم بدر اصطفت قريش أمامها عتبة بن ربيعة وأخوه
شيبة وابنه الوليد، فنادى عتبة رسول الله يا محمد أخرج لنا أَكْفَاءَنَا
من قريش، فبرز إليهم ثلاثة من شُبَّانِ الْأَنْصَارِ، فقال لهم عتبة: مَنْ
أنتم، فانتسبوا، فقال: لا حاجة لنا في مبارزتكُم إنما طلبنا بني عَمَّنَا،
فقال رسول الله لِلْأَنْصَارِ: ارْجِعُوا مَوَاقِفَكُمْ، ثم قال: قُمْ يَا عَلِيُّ قُمْ يَا
حَمْزَةُ قُمْ يَا عُبَيْدَةَ قَاتِلُوا عَلَى حَقِّكُمْ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّكُمْ، فقاموا
فَصَفُّوا فِي وُجُوهِهِمْ وَكَانَ عَلَى رِءُوسِهِمُ الْبَيْضُ⁽⁵⁴⁾ فلم يعرفوهم،
فقال عتبة مَنْ أنتم يا هؤلاء، تَكَلَّمُوا فَإِنْ كُنْتُمْ أَكْفَاءَنَا قَاتِلْنَاكُمْ، فقال
حمزة بن عبد المطلب أنا حمزة بن عبد المطلب أنا أسد الله وأسد
رسوله، فقال عتبة: كُفُّ كَرِيمٍ، وقال علي: أنا علي بن أبي طالب،
وقال عبيدة: أنا عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، فقال عتبة لابنه
الوليد: قم يا وليد اُبْرُزْ لِعَلِيٍّ، وَكَانَ أَصْغَرُ الْجَمَاعَةِ سِنًّا، فَاخْتَلَفَا

(54) البِيضُ: جمع الْبَيْضَةِ وهي الخوذة.

بضربتين، أخطأت ضربةً الوليد، ووقعت ضربة علي على اليد اليسرى من الوليد فأبانتها ثم ثنى عليه بأخرى فخرّ قتيلاً. روي عن علي: أنه كان إذا ذكر بدرًا وقتله الوليد قال في حديثه: كأي أنظرُ إلى وميض خاتمه في شماله عندما أبنت يده وبها أثر من خُلُقٍ⁽⁵⁵⁾ فعلمت أنه قريب عهد بعروس.

وبارز عتبة حمزة، وبارز عبيدة شيبه، وكان من أسن القوم، فاختلفا بضربتين، فأصاب ذبابُ سيفِ شيبه عضلةً ساقِ عبيدة فقطعها، فاستنقذه علي وحمزة عليه السلام وقتلاً شيبه، وحمل عبيدة فمات بالصفراء. (ومن شجاعته) قتاله يوم أحد. ومحصل القول في هذه الغزوة أن أشراف قريش لما كسروا يوم بدر وقتل بعضهم وأسر بعض آخر، دخل الحزن على أهل مكة بقتل رؤسائهم وأشرافهم، فتجمعوا وبذلوا أموالاً واستمالوا جمعاً من كنانة وغيرهم ليقصدوا النبي بالمدينة لاستئصال المسلمين، وتولى ذلك أبو سفيان بن حرب فحشد وحث وقصد المدينة، فخرج النبي بالمسلمين، فنفق النفاق بين جماعة من المسلمين من الذين خرجوا مع رسول الله، فرجع قريب من ثلثهم، وبقي مع النبي سبعمائة من المسلمين، فالتقى الجمعان واشتد الحرب، واضطرب المسلمون واستشهد حمزة وجماعة من المسلمين، وقتل من مقاتلة المشركين اثنان وعشرون رجلاً. نقل أصحاب المغازي أن علياً: قتل منهم سبعة: طلحة بن أبي طلحة، وعبد الله بن جميل، وأبا الحكم بن الأخنس، وسباع بن عبد العزى، وأبا أمية بن المغيرة، وهؤلاء الخمسة متفق على أنه قتلهم،

(55) الخلق: طيبٌ مركب من الزعفران وغيره وتغلب عليه الحمرة والصفرة.

والاثنتان مختلف فيهما. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال خرج طلحة بن أبي طلحة يوم أحد فكان صاحب لواء المشركين فقال: يا أصحاب محمد تزعمون أن الله يعجلنا بأسيا فكم إلى النار، ويعجلكم بأسيا فمنا إلى الجنة، فأتيكم يبرز إليّ، فبرز إليه علي بن أبي طالب، وقال: والله لا أفارقك حتى أعجلك بسيفي إلى النار، فاختلعا بضربتين، فضربه علي على رجله فقطعها وسقط إلى الأرض، فأراد أن يجهز عليه فقال: أنشدك الله والرحم يا ابن عم، فانصرف عنه إلى موقفه، فقال المسلمون: هلاً أجهزت عليه، فقال: ناشدني الله ولن يعيش، فمات من ساعته، وبُشِّرَ النبيُّ بذلك فُسِّرُ وُسْرُ المسلمون، قال ابن إسحاق: كان الفتح يوم أحد بصبر علي. رَوَى الحافظ محمد بن عبد العزيز الجناذبي في كتابه معالم العترة النبوية مرفوعاً إلى قيس بن سعد عن أبيه أنه سمع علياً يقول: أصابني يوم أحد ست عشرة ضربة، سقطتُ إلى الأرض في أربع منهن، فجاء رجلٌ حسنَ الوجه، طيبَ الريح، وأخذ بضبعي فأقامني، ثم قال: أقبل عليهم فإنك في طاعة الله ورسوله وهما عنك راضيان، قال علي: فأتيت النبي فأخبرته فقال: يا علي أقر الله عينيك ذاك جبريل اهـ. ثم رجع أبو سفيان ومن معه إلى مكة، والنبي إلى المدينة، وهذه الغزوة ذكرها الله في سورة آل عمران في قوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾⁽⁵⁶⁾.

(ومن شجاعته) في غزوة الخندق وذلك أنه لما بلغ رسول الله أن قريشاً تجمعت وقائدهم أبو سفيان بن حرب، وأن غطفان تجمعت

⁽⁵⁶⁾ سورة آل عمران: آية 121.

وقائدهم عُيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، واتفقوا مع بني النضير من اليهود على قصد رسول الله وحصار المدينة، أخذ النبي في حراسة المدينة بحفر الخندق عليها، وعمل النبي فيه بنفسه الشريفة وأحكمه في أيام، فلما فرغ رسول الله من حفره، أقبلت قريش بجموعها وجيوشها ومن تبعها من كنانة وأهل تهامة في عشرة آلاف، وأقبلت غطفان ومن تبعها من أهل نجد فنزلوا من فوق المسلمين ومن أسفلهم، كما قال تعالى ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾⁽⁵⁷⁾، فخرج النبي ومن معه من المسلمين وكانوا ثلاثة آلاف وجعلوا الخندق بينهم، واتفق اليهود مع المشركين على قتال رسول الله، فلما رأى المسلمون ذلك اشتد الأمر عليهم، وكان مع المشركين من قريش عمرو بن عبد ود وكان من مشاهيرهم الصناديد، وعكرمة بن أبي جهل، وجاءوا حتى وقفوا على الخندق ثم قصدوا مكانًا ضيقًا منه، وضربوا خيولهم فاقتحمت وجالت خيولهم بين الخندق وبين المسلمين، فلما رأى ذلك علي خرج ومعه نفر من المسلمين وبادروا الشجرة التي دخلوا منها، وأخذوا عليهم المضيق الذي اقتحمته خيولهم، فرجع عمرو بن عبد ود من بينهم ومعه ولده حنبل وقال: هل من مبارز فأراد علي أن يبرز إليه، فأرسل النبي لعلي أن لا يبرز إليه، فجعل عمرو ينادي هل من مبارز، وجعل يقول: أين حميتكم، أين جتتكم التي تزعمون أن من قُتل دخلها، أفلا يبرز إليَّ رجل منكم، فجاء علي إلى النبي فقال: أنا له يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم: إنه عمرو، قال: وإن كان عمرًا. فأذن له في مبارزته

⁽⁵⁷⁾ سورة الأحزاب: آية 10.

ونزع عمامته عن رأسه وعمَّم عليًّا بها وقال: امضِ لشأنك، فخرج عليٌّ وعمر و يقول:

وَلَقَدْ بُحِثْتُ مِنَ النَّدَا
وَوَقَفْتُ إِذْ جَبْنَ الشُّجَا
وَكَذَاكَ إِنِّي لَمْ أَزَلْ
مُتَبَرِّعًا قَبْلَ الْهَزَاهِزِ
عِ بَجَمْعِهِمْ هَلْ مِنْ مُبَارِزِ
عُ بِمَوْقِفِ الْبَطْلِ الْمُنَاجِزِ
إِنَّ الشَّجَاعَةَ فِي الْفَتَى
وَالْجُودَ مِنْ خَيْرِ الْغَرَائِزِ
فَأَجَابَهُ عَلِيٌّ:

لَا تَعْجَلَنَّ فَقَدْ أَتَا
ذُو نِيَّةٍ وَبَصِيرَةٍ
إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أُفِيَمَ
مِنْ ضَرْبَةٍ نَجْلَاءٍ يَبْقَى
لَكَ مُجِيبُ صَوْتِكَ غَيْرَ عَاجِزِ
وَالصِّدْقُ مُنْجِي كُلِّ فَائِزِ
عَلَيْكَ نَائِحَةُ الْجَنَائِزِ
صَوْتُهَا بَعْدَ الْهَزَاهِزِ

ثم قال: يا عمرو إنك كنت قد أخذت علي نفسك عهداً أن لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أجبته إلى واحدة منهما، قال: أجل، فقال علي: إني أدعوك إلى الله تعالى ورسوله وإلى الإسلام، فقال: أما هذه فلا حاجة لي فيها، فقال له علي: فإذا كرهت هذه فإني أدعوك إلى النزال، قال: ولم يا ابن أخي فما أحبُّ أن أقتلك ولقد كان أبوك خلاً لي، فقال علي: أمّا أنا والله فأحب أن أقتلك، فحمني عمرو وغضب من كلامه واقتحم عن فرسه إلى الأرض وضرب وجهها، ونزل علي عن فرسه، وأقبل كل منهما على الآخر فتصاولا وتجاوزا ساعة ثم ضربه علي على عاتقه بالسيف رمى جنبه الأرض وتركه قتيلاً، ثم ركب علي فرسه وكرَّ على ابنه حنبل فقتله أيضاً، فخرجت خيول قريش منهزمة، ورمى عكرمة بن

أبي جهل رمحه وفرّ، وأرسل الله عليهم ريحاً وجنوداً ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾⁽⁵⁸⁾.

(تتمة: في ذكر أولاده ومقتله وقاتله وما يتصل بذلك)

اعلم أن الناس قد اختلفوا في عدد أولاده ذكوراً وإناثاً، فمنهم مَنْ أَكْثَرَ ومنهم مَنْ أَقَلَّ؛ ففي كتاب الأنوار لأبي القاسم إسماعيل أن أولاده اثنان وثلاثون؛ ستة عشر ذكراً، وست عشرة أنثى. وقال اليعمري: تسعة وعشرون؛ اثنا عشر ذكراً، وسبع عشرة أنثى. وقال المحب الطبري: كان له من الولد أربعة عشر ذكراً وثمان عشرة أنثى. وفي الصفوة: أربعة عشر ذكراً، وتسع عشرة أنثى. وفي بغية الطالب: أولاده ﷺ خمسة عشر ذكراً، وثمان عشرة أنثى بالاتفاق. واختلف في الذكور إلى عشرين، والإناث إلى اثنتين وعشرين، أما الذكور: فالحسن، والحسين، ومحسن وفي كلام غيره مات صغيراً، أمهم فاطمة البتول بنت رسول الله، سُميت البتول؛ لانقطاعها عن النساء فضلاً ودينًا وحسبًا، وقيل لانقطاعها عن الدنيا، يقال امرأة بتول منقطعة عن الرجال، وبه سميت أم عيسى. ومحمد الأكبر، أمُّه من سبي بني حنيفة واسمها خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية. وعبدُ الله، قَتَلَهُ المختار بن أبي عبيد، وأبو بكر، قُتِلَ مع الحسين، أمهما ليلى بنت مسعود النهشلي وتزوجها عبد الله بن جعفر بعد عمه، فجمع بين زوجة علي وابنته. والعباس الأكبر ويُلقب بالسَّقاء وعثمان وجعفر وعبد الله، قُتِلُوا مع الحسين، أمهم أم البنين بنت حزام الوحيدية ثم الكلابية. ومحمد الأصغر، قُتِلَ مع الحسين، أمه

⁽⁵⁸⁾ سورة الأحزاب: الآية 25.

أم ولد. ويحيى، وعون، أمهما أسماء بنت عميس. وعمر الأكبر، أمه
أم حبيب الصهباء التَّغْلِبِيَّة من سبي الردة. ومحمد الأوسط، أمه أمانة
بنت أبي العاص بن الربيع العَبْسَمِيَّة وهي التي حملها في صلاة الظهر
وأما زينب بنت رسول الله.

وأما البنات: فأُم كلثوم الكبرى، وُلِدَتْ قبل وفاة رسول الله ﷺ،
وتزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وولدت زيدا الأكبر. ورقية، توفيت
هي وابنها زيد في وقت واحد، وصلى عليهما عبد الله بن عمر،
وكان فيهما سستان فيما ذكروا، ولم يرث أحدهما الآخر؛ لأنه لم
يُعرف أولهما موتًا. وقد قُدِّم زيد قبل أمه مما يلي الجانب الأيمن
في الصلاة. وزينب الكبرى، شقيقة الحسن والحسين. ورقية شقيقة
عمر الأكبر. وأم الحسن ورملة الكبرى، وأمهما أم سعد بنت عروة
بن مسعود الثقفي.

وأما أم هانئ، وميمونة، ورملة الصغرى، وزينب الصغرى، وأم
كلثوم الصغرى، وفاطمة، وأمانة، وخديجة، وأم الخير، وأم سلمة،
وأم جعفر، وجُمَانَة، وتقية، فهنَّ من أمهات شتَّى. والعقب من ولده
ﷺ من الحسن، والحسين، ومحمد الأكبر، وعمر، والعباس السقاء.
وفي حاشية البجيرمي على المنهج في باب الوصايا، نقلًا عن
البرماوي، ما نصه:

جملة أولاد علي بن أبي طالب من الذكور أحد وعشرون،
والذي أعقب منهم خمسة: الحسن، والحسين ابنا فاطمة، والعباس
ابن الكلابية، ومحمد ابن الحنفية (نسبة إلى بني حنيفة)، وعمر ابن
التَّغْلِبِيَّة (نسبة إلى قبيلة يقال لها تَغْلِب).

ومن الإناث ثمان عشرة، والتي أعقبت منهن واحدة فقط: زينب،
أخت السبطين من فاطمة.

(تذييل: في الكلام على مناقب محمد ابن الحنفية)

في طبقات الشعراي كان يقول: مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ لَمْ يَكُنْ
لِلدُّنْيَا عِنْدَهُ قَدْرٌ، وَكَانَ يَقُولُ: لَيْسَ بِحَكِيمٍ مَنْ لَا يَعَاشِرُ بِالْمَعْرُوفِ مَنْ
لَمْ يَجِدْ مِنْ مَعَاشِرَتِهِ بُدًّا حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُ مَخْرَجًا. وَلَمَّا كَتَبَ مَلِكُ
الرُّومِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يَتَهَدَّدُهُ وَيَتَوَعَّدُهُ وَيَحْلِفُ لِيَحْمِلَنَ إِلَيْهِ
مِائَةَ أَلْفٍ فِي الْبَرِّ وَمِائَةَ أَلْفٍ فِي الْبَحْرِ أَوْ يُؤَدِّيَ إِلَيْهِ الْجِزْيَةَ، كَتَبَ عَبْدُ
الْمَلِكِ إِلَى الْحِجَاجِ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ تَتَهَدَّدُهُ وَتَوَعَّدُهُ
ثُمَّ أَعْلِمْنِي بِمَا يَرُدُّ عَلَيْكَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ فَأَرْسَلَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ كِتَابَهُ
إِلَى الْحِجَاجِ يَقُولُ: إِنْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثَلَاثُمِائَةٍ وَتَسْعِينَ نَظْرَةً إِلَى خَلْقِهِ
وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ نَظْرَةً يَمْنَعُنِي بِهَا مِنْكَ، فَبَعَثَ الْحِجَاجُ بِذَلِكَ
الْكِتَابِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَكَتَبَ مِثْلَ ذَلِكَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ، فَقَالَ مَلِكُ
الرُّومِ: مَا خَرَجَ هَذَا مِنْكَ وَلَا كَتَبْتَ أَنْتَ بِهِ وَلَا خَرَجَ إِلَّا مِنْ بَيْتِ نَبْوَةٍ
أَه. وَلَمَّا بَلَغَ مُحَمَّدًا مَسِيرُ أَخِيهِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إِلَى الطَّفِّ وَكَانَ بَيْنَ
يَدَيْهِ طُسْتُ يَتَوَضَّأُ فِيهِ بِكَى حَتَّى مَلَأَهُ مِنْ دَمَوْعِهِ.

(كرامة) مَرَّ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ زَيْنَ الْعَابِدِينَ بِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ فَنَظَرَ
إِلَيْهِ وَقَالَ: أَعِيدُكَ بِاللَّهِ أَنْ تَكُونَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَصْلُوبَ بِالْعِرَاقِ،
فَكَانَ كَمَا قَالَ كَذَا فِي الْخَطِّطِ.

(ومن كلامه): وَكَلَّ اللَّهُ الْجَهْلَ بِالْعِطَاءِ وَالْعَقْلَ بِالْحَرَمَانِ؛ لِيَعْتَبَرَ
الْعَاقِلُ وَلِيَعْلَمَ أَنْ لَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ. حَكَى أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّي
فِي الْقُوتِ أَنَّ عَلِيًّا قَالَ لِابْنِهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ وَقَدْ قَدَّمَ أَمَامَهُ يَوْمَ

الجمال: أَقْدِمَ أَقْدِمَ، ومحمد يتأخر وهو يُكرهه بقائم الرمح، فالتفت إليه وقال: هذه والله الفتنة المظلمة العمياء، فوكزه علي بالرمح وقال له: تَقَدَّمْ لَا أَمَّ لَكَ أَتَكُونُ فَتْنَةً أَبُوكَ قَائِدُهَا وَسَائِقُهَا هـ. وكانت الشيعة تسميه المهدي وهو يقول كل مؤمن مهدي، وكان صاحب راية أبيه يوم الجمال، وكان شجاعاً كريماً فصيحاً، تُوفي محمد ابن الحنفية بالمدينة المنورة سنة إحدى وثمانين من الهجرة كذا في مختصر التواريخ، ويقال إنه مات بالطائف. وأما ألقاب الإمام علي: فالْمُرْتَضَى، وَحَيْدَر، وأمير المؤمنين، والأنزع البطين⁽⁵⁹⁾. وأما كُنْيَتُهُ: فأبو الحسن، وأبو السَّبْطَيْنِ، وأبو تراب كَنَاهُ وكانت أحب الكُنَى إليه كما سبق، وكان نقش خاتمه: أسندت ظهري إلى الله، وقيل: حسبي الله. وكان تحته يوم قُتِلَ أربع زوجات وهُنَّ: أُمَامَةُ، وَلَيْلَى بنت مسعود التميمية، وأسماء بنت عميس، وأم البنين. وأمّهات أولاده عشرُ إماء. وبَوَابُهُ: سلمان الفارسي. وشاعره: حسان بن ثابت. ومعاصروه: أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية رضي الله عنهم أجمعين.

(وأما مقتل سيدنا علي كَرَّمَ الله وجهه ومدة عمره وقاتله)

فقال أهل السير انتدب ثلاثة نفر من الخوارج: عبد الرحمن بن ملجم المرادي وهو من حمير وعداده في بني مراد وحليف بني جبلة من كندة، والبرك بن عبد الله التميمي، وعمر بن بكير التميمي، فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاهدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة: علي بن أبي طالب ومعاوية وعمر بن العاص ويرychن العباد منهم، فقال ابن

⁽⁵⁹⁾ قيل معنى الْأَنْزَعِ: الْمَنْزُوعِ مِنَ الشَّرْكَ، كناية عن امتناع الشرك فيه، وَالْبَطِينُ: المملوء البطن علماً، كناية عن كثرة العلم والإيمان واليقين.

ملجم: أنا لكم بعلِّي، وقال البرك: أنا لكم بمعاوية، وقال عمرو بن بكير: وأنا أكفيكم عمرو بن العاص، وتوافقوا أن لا ينكص واحد منهم عن صاحبه، وأن يكون ليلة سبع عشرة من رمضان، وقيل ليلة الحادي والعشرين، سنة أربعين، ثم توجه كل واحد منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه، فقدم البرك دمشق، وضرب معاوية فجرحه في أليته فسلم منها، وفي حياة الحيوان فأصاب أوراكه فقطع منه عرق النكاح فلم يولد له بعد ذلك، فلما قبض عليه قال: الأمان والبشارة فقد قُتل علي في هذه الليلة، فاستبقاه معاوية حتى أتاه الخبر فقطع معاوية يده ورجله وأطلقه، وقيل قتله، وأما عمرو بن بكير فقدم مصر وكان يومئذ بعمر بن العاص وجع الظهر أو البطن، فبعث مكانه سهلاً العامري، وقيل خارجة وهو المشهور، ليصلي بالناس، فقتله عمرو بن بكير يحسبه عمرو بن العاص، وقُبض عليه وقُتل.

وأما عبد الرحمن بن ملجم فقدم الكوفة فلقي جماعاً من أصحابه فكاتمهم أمره كراهة أن يظهر عليه شيء من ذلك، فمرض في بعض الأيام بدارٍ من دور الكوفة فيها عرس، فخرج منها نسوة فرأى فيهن امرأة جميلة يقال لها قطام بنت الأصبع التميمي، فوقع في قلبه حبها فقال: يا جارية أيم أنت أم ذات بعل، فقالت: بل أيم، فقال لها: هل لك في زوج لا تُدْمُ خلائقه، فقالت: نعم ولكن لي أولياء أشاورهم، فتبعها فدخلت داراً ثم خرجت إليه فقالت: يا هذا إن أوليائي لا يزوجوني إلا على ثلاثة آلاف دينار وعبدٍ وقينة، فقال: لك ذلك، قالت: وشريطة أخرى، قال: وما هي، قالت: قُتل علي بن أبي طالب فإنه قُتل أبي وأخي يوم النهروان، قال: ويحك ومن يقدر على قتل

علي بن أبي طالب وهو فارس الفرسان وواحد الشجعان، فقالت: لا تُكثرُ فذلك أحب إلينا من المال إن كنت تفعل ذلك وتقدر عليه وإلا فاذهب إلى سبيك، فقال لها: والله ما جئتُ إلا لقتل علي فقد أعطيتك ما سألت، وفي رواية الزبير بن بكار قال: صدقت ولما رأيته أثرتُ تزويجك، فقالت: ليس إلا الذي قلتُ لك، قال: وما يغنيك أو ما يغنيني من قتل علي وأنا أعلمُ أنني إن قتلته لم أفلت، قالت: إن قتلته ونجوتَ فهو الذي أردتُ فتبلغُ شفاءً نفسي ويهنيك العيشُ معي، وإن قُتِلتَ فما عند الله خير لك من الدنيا وما فيها، فقال لها لك ما اشترطت، ثم إنها قالت له: سألتمس لك مَنْ يشد ظهرك، فبعثت إلى ابن عمِّ لها يدعى وردان بن مجالد فأجابها، ولقي ابن ملجم شبيب بن بجرة الأشجعي، بفتح الباء والجيم كما ضبطه بعضهم وضبطه أبو عمرو وبضم الباء وسكون الجيم، فقال له: يا شبيب هل لك في شرف الدنيا والآخرة، قال: وما هو، قال: تساعدني على قتل علي بن أبي طالب، قال: ثكلتك أمك لقد جئتُ شيئاً إذاً كيف تقدر على ذلك، قال: إنه رجل لا حرس له، ويخرج إلى المسجد منفرداً، فنكمن له في المسجد فإذا خرج للصلاة قتلناه، فإن نجونا اشتفيناً، وإن قتلنا سعدنا بالذكر في الدنيا وبالجنة في الآخرة، فقال: ويليكَ إن عليّاً ذو سابقة في الإسلام مع النبي، ما تنشرح نفسي لقتله، قال: ويليكَ إنه حكم الرجال في دين الله وقتل إخواننا الصالحين فنقتله ببعض مَنْ قتل، ولا تشكن في دينك، فأجابه وأقبلًا حتى دخلاً على قطام وهي معتكفة في المسجد الأعظم في قبة ضربتها لها فدعت لهما، فقاما وأخذًا سيفيهما ثم جاءا حتى جلسا قبالة السدة التي يخرج منها

عليّ، ودخل ابن النباح المؤذن فقال: الصلاة، فقام علي يمشي وابن النباح بين يديه والحسن ابنه خلفه، فلما خرج من الباب نادى: أيها الناس الصّلاة الصلاة، كذلك كان يصنع كل يوم يخرج ومعه درته يوقظ الناس، فاعترضه الرجال فقال بعض من حضر ذلك: رأيت بريق السيف وسمعت قائلاً يقول: لله الحكم يا علي لا لك، وفي رواية: الحكم لله يا علي لا لك ولا لأصحابك، ثم رأيت سيفاً ثانياً فضرباً جميعاً، فأما سيف شبيب فوقع في الطاق وأخطأ، وأما سيف ابن ملجم فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل إلى دماغه، وهرب وردان حتى دخل منزله فدخل عليه رجل فقتله، وهرب شبيب في الغلّس. (وأما ابن ملجم) فإنه لما همّ الناس به حمل عليهم بسيفه ففرجوا له، فتلقاه المغيرة بن نوفل بقטיפفة فرماها عليه واحتمله وضرب به إلى الأرض وقعد على صدره وانتزع سيفه وجاء به إلى أمير المؤمنين، فنظر إليه ثم قال: النفس بالنفس إن أنا مت فاقتلوه كما قتلني، وإن برئت أبديت رأيي فيه. ومكث جريحاً يوم الجمعة والسبت، وتوفي ليلة الأحد الثالثة عشر من رمضان سنة أربعين، وكان عمره إذ ذاك خمساً وستين سنة، وقيل ثلاثاً وستين كالنبي وأبي بكر وعمر وهو من عجيب الاتفاق، قال الواقدي: وهذا هو المثبت عندنا، وقيل غير ذلك.

(وصيته الحسن والحسين) روي أنه لما ضربه ابن ملجم أوصى الحسن والحسين وصية طويلة في آخرها: يا بني عبد المطلب لا تخوضوا دماء المسلمين خوفاً تقولون قُتل أمير المؤمنين، ألا لا تقتلوا بي إلا قاتلي، انظروا إذا أنا متُّ من صَربته هذه فاضربوه ضربةً

بضرية ولا تمثلوا به؛ فإني سمعت رسول الله يقول: «يَاكُمْ وَالْمُثَلَّةَ ولو بالكلبِ العَقُورِ» أخرجه الفضائلي؛ وفي رواية عن الحسن: لما حضرت أبي الوفاة أقبل يوصي فقال: هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب أخو محمد وابن عمه وصاحبه، أول وصيتي: أنني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسوله وخيرته، اختاره بعلمه وارتضاه لخلقه، وإن الله باعث من في القبور، وسائل الناس عن أعمالهم، عالم بما في الصدور، ثم إني أوصيك يا حسن وكفى بك وصياً بما أوصاني به رسول الله، فإذا كان ذلك فالزم بيتك، وابك على خطيئتك، ولا تكن الدنيا أكبر همك، وأوصيك يا بني بالصلاة عند وقتها، والزكاة في أهلها عند محلها، والصمت عند التشبه، والاقتصاد، والعدل في الرضا والغضب، وحسن الجوار، وإكرام الضيف، ورحمة المجهود وأصحاب البلاء، وصلة الرحم، وحب المساكين ومجالستهم، والتواضع فإنه من أفضل العباداة، وذكر الموت، والزهد في الدنيا؛ فإنك رهن موت، وعرض بلاء، وطريح سقم.

وأوصيك بخشية الله تعالى في سرائرك وعلايتك، وأنهاك عن مخالفة الشرع بالقول والفعل، وإذا عرض لك شيء من أمر الآخرة فابدأ به، وإذا عرض لك شيء من أمر الدنيا فتأنه حتى تصيب رشذك فيه، وإياك ومواطن التهمة، والمجلس المظنون به السوء فإن قرين السوء يغير جليسه، وكن لله يا بني عاملاً، وعن الخنا⁽⁶⁰⁾ زجوراً، وبالمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً، وآخ الإخوان في الله، وأحب الصالح لصاحبه، ودار الفاسق عن دينك وأبغضه بقلبك

(60) الخنا: الفحش في الكلام.

وزايله بأعمالك؛ لئلا تكون مثله. وإياك والجلوس في الطرقات، ودع المُمارة ومجاراة مَنْ لا عقل له، واقتصدْ يا بني في معيشتك، واقتصد في عبادتِكَ وعليك فيها بالأمر الدائم الذي تطيقه، والزم الصمت وبه تسلم، وقدّم لنفسك تغنم، وتعلّم الخير، وكن ذاكراً لله تعالى على كل حال، وارحم من أهلك الصغير، ووقّر الكبير، ولا تأكل طعاماً حتى تتصدقَ منه قبل أكله، وعليك بالصَّوم فإنه زكاة البدن وجنة لأهله، وجاهد نفسك، واحذر جليسك واجتنب عدوك، وعليك بمجالس الذكر وأكثر من الدعاء فإنني لم ألك يا بني نصيحاً وهذا فراق بيني وبينك. وأوصيك بأخيك محمد خيراً، فإنه ابن أبيك وقد تعلم حبي له، وأما أخوك الحسين فهو شقيقك وابن أمك وأبيك، واللّه الخليفةُ عليكم وإياه أسأله أن يصلحكم وأن يكفّ الطغاةَ البغاةَ عنكم، والصبر الصبر حتى يقضي الله هذا الأمر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ثم قال يا حسن أبصروا ضاربي أطعموه من طعامي واسقوه من شرابي فإن عشت فأنا أولى بحقي، وإن مت فاضربوه ضربة ولا تمثّلوا به فإنني سمعت رسول الله يقول: «إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور». يا حسن إن أنا مت لا تغال في كفني فإنني سمعت رسول الله يقول:

«لا تُغَالُوا في الأكفان وامشوا بين المشيتين فإن كان خيراً أعجلتموني إليه وإن كان شراً ألقيتُموني عن أكتافكم»، يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تُريقون دماء المسلمين بعدي تقولون قتلتم أمير المؤمنين، ألا لا يُقتلن بي إلا قاتلي، ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قُبض، وغسّله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ومحمد

ابن الحنفية (وَكُفِّنَ) في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة،
(وَصَلَّى) عليه ابنه الحسن (وَدُفِنَ) في الغري ليلاً، موضع معروف
يُزار إلى الآن، وقيل بالنجف، وفيه يقول بعض الشعراء:

سَقَتْهُ سَحَابُ الرِّضْوَانِ سَحًّا كَجُودِ يَدَيْهِ يَنْسَجِمُ انْسِجَامًا
ولا زالت رُؤَاةُ الْمُزْنِ تُهْدِي إِلَى النَّجْفِ التَّحِيَّةَ وَالسَّلَامَا

وقيل دُفِنَ بين منزله والمسجد، وقيل دفن بقصر الإمارة بالكوفة
كذا في الفصول، وقيل غير ذلك. (ومروياته) في كتب الأحاديث
خمس مائة وستة وثمانون حديثاً. (وكتابه) عبد الله بن أبي رافع مولى
رسول الله. (وقاضيه) شريح بن الحارث الكندي. (ولما) فرغوا من
دفنه جلس الحسن وأمر أن يُؤْتَى بابن ملجم، فجاء به، فلما وقف
بين يديه أمر بضرب عنقه، وأخذته الناس وأحرقوه. عن أنس بن مالك
قال: مرض علي فدخلت عليه وعنده أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فجلست
عنده معهما، فجاء النبي فنظر في وجهه، فقال أبو بكر وعمر: قد
تخوَّفنا عليه يا رسول الله، فقال: «لا بأس عليه ولن يموت الآن ولا
يموت حتى يملأ غيظاً ولن يموت إلا مقتولاً». وعن صهيب قال:
قال رسول الله لعلي: «مَنْ أَشَقَى الْأُولَيْنِ يَا عَلِي، قال الذي عقر ناقة
صالح، قال صدقت فمن أَشَقَى الْآخِرِينَ، قال: الله ورسوله أعلم،
قال: أَشَقَى الْآخِرِينَ الذي يضربك على هذه، وأشار إلى يَافُوخِهِ⁽⁶¹⁾،
وكان علي كرم الله وجهه يقول لأهله: «والله لوددت أن لو انبعث
أشقاها» أخرجه أبو حاتم. وعن فضالة الأنصاري قال: خرجت مع
أبي إلى البقيع عائدين لعلي بن أبي طالب وكان مريضاً بها قد نقل

(61) اليافوخ: وسط الرأس.

إليها من المدينة، فقال له أبي: ما يقيمك في هذا المنزل ولو هلكت به لم تدفنك إلا أعراب جهينة، وكان أبو فضالة من أهل بدر فقال له علي: إني لست بميتٍ من وجعي هذا؛ وذلك أن النبي عهد إلي أن لا أموت حتى أوامر وتخضب هذه من دم هذا، وأشار إلى لحيته ورأسه، قضاءً مقضيًّا وعهدًا معهودًا منه إليّ.

(وعن أبي الأسود الدؤلي) أنه عاد عليًّا في شكوى اشتكاها قال: فقلت له لقد تخوّفنا عليك يا أمير المؤمنين في شكواك هذه، فقال: لكن والله ما تخوّفتُ على نفسي؛ لأنني سمعت رسول الله يقول: «إنك ستُضرب ضربةً هاهنا، وأشار إلى رأسي، فيسيل دمها حتى يخضب لحيتك، يكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود». (وفي الفصول المهمة) قيل وسئل علي وهو على المنبر في الكوفة عن قوله تعالى: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾⁽⁶²⁾، فقال اللهم غفرا هذه الآية نزلت فيّ وفي عمي حمزة وفي ابن عمي عبيدة الحارث بن عبد المطلب عليه السلام، فأما عبيدة فإنه قضى نجه شهيداً يوم بدر، وأما عمي حمزة فإنه قضى نجه شهيداً يوم أحد، وأما أنا فأتظر أشقاها يخضب هذه من هذا، وأشار إلى لحيته ورأسه، عهداً عهده إلي حبيبي أبو القاسم. وبالإسناد عن جابر بن عبد الله قال: إني لحاضر عند علي بن أبي طالب في وقتٍ إذ جاءه عبد الرحمن بن ملجم يستحمله فحملة ثم قال:

أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادٍ

⁽⁶²⁾ سورة الأحزاب: 23.

ثم قال هذا والله قاتلي، قلت: يا أمير المؤمنين أفلا نقتله، قال: لا،
فمَن يقتلني، ثم قال:

أَشْدُّ حَيَازِيمَكَ لِلْمَوْتِ فَإِنَّ الْمَوْتَ لِأَقْيَمَا
وَلَا تَجْزَعُ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا حَلَّ بِنَادِيكَ

الباب الثاني في ذكر مناقب الحسن والحسين
ومن اشتهر من الأئمة آل البيت الكرام

اعلم أنه قد اختلف في أهل البيت، فقيل: نساؤه عليه السلام؛ لأنهن في بيته، قاله سعيد بن جبير عن ابن عباس عليه السلام، وهو قول عكرمة ومقاتل. وقيل: علي وفاطمة والحسن والحسين، قاله أبو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة. وقيل: هم من تحرم عليهم الصدقة بعده: آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس، قاله زيد بن أرقم. وقال ابن الخطيب الفخر الرازي: والأولى أن يقال: هم أولاده وأزواجه، والحسن والحسين، وعلي منهم؛ لأنه كان من أهل بيته لمعاشرته فاطمة ابنته وملازمته له، قسطلاني على البخاري. وفي «منن» الشعراني ما نصه: وفي الحديث الصحيح عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنشدكم الله في أهل بيتي»، قالها ثلاثاً، وفسر زيد عليه السلام أهل بيته بآل جعفر وآل عقيل وآل العباس. وقال الجلال السيوطي رحمه الله تعالى: «وهؤلاء هم الأشراف حقيقة عند سائر الأمصار، وتخصيص الشرف بآل علي فقط اصطلاح لأهل مصر خاصة». انتهى.

هذا ويشهد للقول بأنهم علي وفاطمة والحسن والحسين ما وقع منه صلى الله عليه وآله حين أراد المباهلة هو ووفد نجران كما ذكره المفسرون في تفسير آية المباهلة، وهي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ (وقيل أراد بالأبناء الحسن والحسين، وبالنساء فاطمة، وبالنفس نفسه وعلياً، كذا في تفسير الخازن، «ثم نبتهل» قال ابن عباس: تنصرع في الدعاء، وقيل معناه نجتهد ونبالغ في الدعاء،

وقيل معناه نلتعن، والابتهاال الالتعان، يُقال عليه بهلة الله أي لعنة الله، ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾⁽⁶³⁾ يعني منا ومنكم في أمر عيسى، قال المفسرون لما قرأ رسول الله هذه الآية على وفد نجران ودعاهم إلى المباهلة قالوا: حتى نرجع وننظر في أمرنا ثم نأتيك غداً، فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب وكان كبيرهم وصاحب رأيهم: ما ترى يا عبد المسيح؟ قال: لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمداً نبيُّ مرسل، ولئن فعلتم ذلك لنهلكن، وفي رواية قال لهم: والله ما لآعن قوم قط نبياً إلا هلكوا عن آخرهم، فإن أبيتم إلا الإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فأتوا رسول الله وقد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي يمشي خلفها والنبى يقول لهم: «إذا دعوتُ فأمتنوا»، فلما رآهم أسقف نجران قال: يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألوها الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، فقالوا: يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نباهلك وأن نتركك على دينك وتتركنا على ديننا، فقال لهم رسول الله: «إِنْ أَبِيْتُمُ الْمَبَاهِلَةَ فَأَسْلِمُوا يَكُنْ لَكُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَيْهِمْ»، فأبوا ذلك فقال: «فإني أنا بذككم»، فقالوا: ما لنا في حرب العرب طاقة، ولكننا نصالحك على أن لا تغزونا، ولا تخيفنا، ولا تردنا عن ديننا، وأن تؤدي إليك في كل سنة ألفي حلة، ألف في صفر، وألف في رجب، زاد في رواية: وثلاثاً وثلاثين درعاً عادية، وثلاثاً وثلاثين بغيراً، وأربعاً وثلاثين

⁽⁶³⁾ سورة آل عمران: 61.

فرسًا غازية، فصالحهم رسول الله على ذلك وقال: «والذي نفسي بيده إنَّ العذابَ تَدَلَّى على أهل نجران ولو لَاعَنُوا لَمْ يَسْخُوا قَرْدَةً وخنازير ولا ضَطَرَمَ عليهم الوادي نَارًا ولا سَتَأَصَلَ اللَّهُ نجرانَ وأهلَه حتى الطيرَ على الشجر ولما حال الحَوْلُ على النصارى كلَّهم حتى هلكوا» اهـ خازن وغيره. (وفي) الخطيب عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله خرج وعليه مِرْطٌ⁽⁶⁴⁾ مُرَجَلٌ⁽⁶⁵⁾ من شَعْرٍ أسود، فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم فاطمة ثم علي ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾⁽⁶⁶⁾. وفي ذلك دليل على نبوته وعلى فضل أهل الكساء عليهم السلام وعن بقية الصحابة أجمعين اهـ. (تنبيه) ما قدَّمناه من أن أهل البيت هم علي وفاطمة والحسن والحسين هو ما جنح إليه الفخر الرازي في تفسيره، والزمخشري في كشافه وعبارته عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾⁽⁶⁷⁾، روي أنها لما نزلت قيل يا رسول الله مَنْ قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم، قال: «علي وفاطمة وابناهما»، ويدل له ما روي عن علي: شكوتُ إلى رسول الله حسد

(64) (المِرْطُ): كِسَاءٌ يَكُونُ تَارَةً مِنْ صُوفٍ، وَتَارَةً مِنْ شَعْرٍ أَوْ كَتَّانٍ أَوْ خَزٍّ، قَالَ الْخَطَّابِيُّ: هُوَ كِسَاءٌ يُؤْتَرُ بِهِ.

(65) أُعْجِمَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي بَعْضِ النُّسخِ الْخَطِيئةِ بِالْجِيمِ فيقال: مُرَجَلٌ، وَأَهْمَلْتُ فِي بَعْضِهَا وَيُقَالُ: مُرَجَلٌ، وَكُلُّ صَوَابٍ كَمَا قَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ فِي "المَشَارِقِ" 2/ 284، قَالَ: هُوَ الَّذِي يُوشَى بِصُورِ رِحَالِ الْإِبِلِ، فيقال بالحاء، أَوْ بِصُورِ الْمَرَاجِلِ أَوْ الرِّجَالِ، فيكون بِالْجِيمِ.

(66) سورة الأحزاب: 33.

(67) سورة الشورى: 23.

الناس لي فقال: «أما ترضى أن تكون رابعَ أربعةٍ أوَّلَ مَنْ يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا».

وعن النبي: «حُرِّمَتِ الجنةُ على مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ بَيْتِي وَأَذَانِي فِي عَتْرَتِي وَمَنْ اصْطَنَعَ صَنِيعَةً إِلَى أَحَدٍ مِنْ وَلَدِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَلَمْ يُجَازِهِ عَلَيْهِ فَأَنَا أُجَازِيهِ عَلَيْهِا غَدًا إِذَا لَقِيتَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَرَوَى «أَنَّ الْأَنْصَارَ قَالُوا فَعَلْنَا وَفَعَلْنَا كَأَنَّهُمْ افْتَخَرُوا، فَقَالَ عَبَّاسٌ أَوْ ابْنُ عَبَّاسٍ عليه السلام: لَنَا الْفَضْلُ عَلَيْكُمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ فَأَتَاهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ تَكُونُوا أَذَلَّةً فَأَعَزَّكُمْ اللَّهُ بِي» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَلَمْ تَكُونُوا ضَلَالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَا تَجِيبُونِي» قَالُوا: مَا نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «أَلَا تَقُولُونَ أَلَمْ يُخْرِجْكُمْ قَوْمُكُمْ فَأَوَيْنَاكُمْ أَلَمْ يَكْذِبُوكَ فَصَدَّقَاكَ أَوْ لَمْ يَخْذُلُوكَ فَفَصَرْنَاكَ»، فَمَا زَالَ يَقُولُ حَتَّى جَثَوْا عَلَى الرَّكْبِ وَقَالُوا: أَمْوَالُنَا وَمَا فِي أَيْدِينَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فَنَزَلَتِ الْآيَةُ. (وروي) مِنْ طَرَفٍ عَدِيدَةٍ صَحِيحَةٌ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ جَاءَ وَمَعَهُ عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ثُمَّ أَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى فَخْذِهِ ثُمَّ لَفَّ عَلَيْهِمْ كِسَاءً ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾⁽⁶⁸⁾ وَقَالَ اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا».

وفي رواية: «اللهم هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على إبراهيم إنك حميد مجيد»، وفي

(68) سورة الأحزاب: 33.

رواية أم سلمة قالت: «فرفعتُ الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي، فقلت: وأنا معكم يا رسول الله، فقال: إنك من أزواج النبي على خير»، وفي رواية لهما أن رسول الله كان في بيتها إذ جاءت فاطمة بِبُرْمَةٍ⁽⁶⁹⁾ فيها خَزِيرَةٌ، بخاء معجمة مفتوحة فزاي مكسورة فتحتية ساكنة فراء وهو ما يتخذ من الدقيق على هيئة العصيدة ولكن أرق منها، فوضعتها بين يديه فقال: أين ابن عمك وابناك، فقالت في البيت، فقال ادعهم، فجاءت إلى علي وقالت: أجب رسول الله ﷺ أنت وابناك، فجاء علي وحسن وحسين فدخلوا عليه فجعلوا يأكلون من تلك الخزيرة تحت الكساء فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وفي رواية أنه أدرج معهم جبريل وميكائيل، وفي رواية أن ذلك الفعل كان في بيت فاطمة، وقد أشار المحب الطبراني إلى أن هذا الفعل تكرر منه. (روى) أحمد والطبراني عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله: «أنزلت هذه الآية في خمسة فيّ وفي علي وحسن وحسين وفاطمة»، وروى ابن أبي شيبة وأحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه عن أنس أن رسول الله بعد نزول هذه الآية كما في رواية الترمذي كان يمر ببيت فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: «الصلاة أهل البيت إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»، وفي رواية ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري «أنه جاء أربعين صباحاً إلى دار فاطمة يقول: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته الصلاة

⁽⁶⁹⁾ البُرْمَة: القِدْر مطلقاً، وهي في الأصل المتخذة من الحجارة.

رحمكم الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وفي رواية له عن ابن عباس سبعة أشهر، وفي رواية لابن جرير وابن المنذر والطبراني ثمانية أشهر.

(وقد جاء) في فضلهم وشرفهم آيات وأحاديث؛ فمن الآيات زيادة على ما سبق ما أخرجه الثعلبي في تفسير قوله تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾⁽⁷⁰⁾ عن جعفر الصادق أنه قال: نحن حبل الله. وأخرج بعضهم عن محمد الباقر في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾⁽⁷¹⁾ أنه قال أهل البيت هم الناس. وأخرج بعضهم عن محمد ابن الحنفية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾⁽⁷²⁾ أنه قال لا يبقى مؤمن إلا وفي قلبه ودٌ لعلي وأهل بيته، وذكر النقاش أنها نزلت في علي. (وعن) ابن عباس عليه السلام أنه قال لما نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾⁽⁷³⁾ قال لعلي: «هو أنت وشيعتك تأتي يوم القيامة أنت وهم راضين مرضيين ويأتي أعداؤك غضاباً مقمحين». (وعن) أنس بن مالك في قوله تعالى: ﴿مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾⁽⁷⁴⁾ قال: علي وفاطمة عليهما السلام، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾⁽⁷⁵⁾ قال: الحسن والحسين، رواه صاحب كتاب

⁽⁷⁰⁾ سورة آل عمران: 103.

⁽⁷¹⁾ سورة النساء: 54.

⁽⁷²⁾ سورة مريم: 96.

⁽⁷³⁾ سورة البينة: 7.

⁽⁷⁴⁾ سورة الرحمن: 9.

⁽⁷⁵⁾ سورة الرحمن: 22.

الدرر. (وعن) محمد بن سيرين في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾⁽⁷⁶⁾ أنها نزلت في النبي وعلي بن أبي طالب هو ابن عم النبي وزوج فاطمة فكان نسبًا وصهرًا. (روى الإمام أبو الحسين البغوي في تفسيره يرفعه بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾⁽⁷⁷⁾ قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله تعالى بمودتهم، قال: «علي وفاطمة وابناهما». وفي مسامرات الشيخ الأكبر أن عبد الله بن عباس قال في قوله: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾⁽⁷⁸⁾ مرض الحسن والحسين وهما صبيان فعادتهما رسول الله ومعه أبو بكر وعمر فقال عمر لعلي: يا أبا الحسن لو نذرت عن ابنيك نذرًا إن الله عافاهما، قال: أصوم ثلاثة أيام شكرًا لله، قالت فاطمة: وأنا أيضًا أصوم ثلاثة أيام شكرًا لله، وقال الصبيان: ونحن نصوم ثلاثة أيام، وقالت جاريتهما فضة: وأنا أصوم ثلاثة أيام، فألبسهما الله العافية فأصبحوا صيامًا وليس عندهم طعام، فانطلق علي إلى جاري له من اليهود يقال له شمعون يعالج الصوف، فقال له: هل لك أن تعطيني جزءة⁽⁷⁹⁾ من صوف تغزلها لك بنت محمد بثلاثة أصع⁽⁸⁰⁾ من شعير، قال نعم فأعطاه، فجاء بالصوف والشعير فأخبر فاطمة فقبلت وأطاعت ثم غزلت ثلث الصوف وأخذت صاعًا من

⁽⁷⁶⁾ سورة الفرقان: 54.

⁽⁷⁷⁾ سورة الشورى: 23.

⁽⁷⁸⁾ سورة الإنسان: 7.

⁽⁷⁹⁾ الجزء: ما يقطع من صوف الشاة.

⁽⁸⁰⁾ أصع: جمع صاع، وهو مكيالٌ تكال به الحبوب ونحوها.

الشعير فطحته وعجنته وخبزته خمسة أقراص لكل واحد قرص،
 وصَلَّى عليَّ مع النبي المغرب ثم أتى منزله فوضع الخِوان⁽⁸¹⁾
 فجلسوا، فأول لقمة كسرها علي إذا مسكينٌ واقفٌ على الباب، فقال
 السلام عليكم يا أهل بيت محمد أنا مسكين أطعموني مما تأكلون
 أطعمكم الله من موائد الجنة، فوضع عليَّ اللقمة من يده ثم قال:
 فاطمُ ذات المجد واليقين يا بنت خير الناس أجمعين
 أما تري ذاك البائس المسكين جأ إلى الباب له حنين
 كل امرئٍ بكسبه رهين

فقلت فاطمة ﷺ من حينها:

أمرُك سمعُ يا ابن عم وطاعه ما لي من لوم وما ضراعَه
 باللب غديت وبالبراعه أرجو إذا أنفقت من مجاعه
 أن ألحق الأبرار والجماعه وأدخل الجنة بالشفاعه
 قال فعمدت إلى ما في الخِوان فدفعته إلى المسكين وباتوا جِاعاً
 وأصبحوا صياماً لم يذوقوا إلا الماء القراح⁽⁸²⁾، ثم عمدت إلى الثلث
 الثاني من الصوف فغزلته ثم أخذت صاعاً فطحته وعجنته وخبزت
 منه خمسة أقراص لكل واحد قرص، وصَلَّى عليَّ المغرب مع النبي
 ثم أتى منزله فلما وضعت الخِوان وجلس فأول لقمة كسرها علي إذا
 بيتيم من يتامى المسلمين قد وقف على الباب وقال السلام عليكم
 أهل بيت محمد أنا يتيم من يتامى المسلمين أطعموني مما تأكلون
 أطعمكم الله من موائد الجنة، فوضع عليَّ اللقمة من يده وقال:

(81) الخوان بكسر الخاء وضمها: المائدة قبل أن يوضع عليها الطعام.

(82) القراح: الصافي.

فاطمُ بنتُ السيّدِ الكريمِ قد جاءنا اللهُ بِذا اليّتمِ
 مَنْ يطلبُ اليومَ رضاَ الرّحيمِ موعدهُ في جنةِ النّعيمِ
 فأقبلتِ السيّدةُ فاطمةُ ﷺ وقالت:

فسوف أُعطيه ولا أُبالي وأوثرُ اللهَ على عيالي
 أمسوا جِيعاً وهُمُ أمثالي أصغرُهم يقتلُ في القِتالِ

ثم عمدت إلى جميع ما كان في الخوان فأعطته اليتيم وباتوا
 جِيعاً لم يذوقوا إلا الماء القراح وأصبحوا صياماً، وعمدت فاطمة
 إلى باقي الصوف فغزلته وطحنت الصاع الباقي وعجنته وخبزته
 خمسة أقراص لكل واحد قرص، وصلى علي المغرب مع النبي ثم
 أتى منزله فقربت إليه الخوان ثم جلس فأول لقمة كسرها إذا أسير
 من أسارى المسلمين بالباب فقال السلام عليكم أهل بيت محمد إن
 الكفار أسرونا وقيدونا وشدونا فلم يطعمونا، فوضع علي اللقمة من
 يده وقال:

فاطمة ابنة النبي أحمد بنت نبيّ سيّدِ مُسَوّد
 هذا أسيرٌ جاء ليس يهتدي مُكبَّلٌ في قَيْدِهِ المُقَيّد
 يشكو إلينا الجوعَ والتشدد مَنْ يُطْعِمُ اليومَ يَجِدْهُ في غد
 عند العليّ الواحدِ المُوحّد ما يزرعُ الزارعُ يوماً يحصد
 فأقبلت فاطمة ﷺ تقول:

لم يبقَ مما جاء غيرُ صاع قد دبرت كَفِّي مع الذّراع
 وابنائي والله ثلاثاً جاعاً ياربّ لا تُهلِكهما ضِيعاً

ثم عمدت إلى ما كان في الخوان فأعطته إِيَّاه فأصبحوا مفطرين
 وليس عندهم شيء، وأقبل علي والحسن والحسين نحو رسول الله

وهما يرتعشان كالفرخين من شدة الجوع، فلما أبصرهما رسول الله ﷺ قال: «يا أبا الحسن أشد ما يسوؤني ما أدرككم انطلقوا بنا إلى ابنتي فاطمة» فانطلقوا إليها وهي في محرابها وقد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها، فلما رآها رسول الله ﷺ ضمه إليها وقال: «واغوثاه» فهبط جبريل وقال: يا محمد خذ ضيافة أهل بيتك قال وما آخذ يا جبريل، قال: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾⁽⁸³⁾.

(ومن الأحاديث) ما أخرجه الحاكم عن أبي هريرة أن النبي قال: «خيركم خيركم لأهلي من بعدي». وأخرج ابن سعد والملا في سيرته أنه صلى الله عليه وسلم قال: «استوصوا بأهل بيتي خيرًا فإنني أخاصمكم عنهم غداً ومن أكن خصمه خصمه الله ومن خصمه الله أدخله النار». وروى جماعة من أصحاب السنن عن عدة من الصحابة أن النبي قال: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك»، وفي رواية: «غرق»، وفي أخرى: «زج في النار». وصح أن بنت أبي لهب لما هاجرت إلى المدينة قيل لها لن تُغني عنك هجرتك أنت بنت حطب النار فذكرت ذلك للنبي فاشتد غضبه ثم قال على المنبر: «ما بال أقوام يؤذونني في نسبي وذوي رحمي ألا ومن آذى رحمي وذوي نسبي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله» أخرجه ابن أبي عاصم والطبراني وابن منده والبيهقي بالفاظ متقاربة. وأخرج الطبراني والدارقطني مرفوعاً: «أول من أشفع له من أمتي أهل بيتي ثم الأقرب فالأقرب من قريش ثم الأنصار ثم من

(83) الإنسان: 8-22.

أَمَّنَ بِي وَاتَّبَعَنِي مِنَ الْيَمَنِ ثُمَّ سَافَرَ الْعَرَبَ ثُمَّ الْأَعَاجِمَ وَمَنْ أَشْفَعَ لَهُ
أَوَّلَ أَفْضَلٍ». نقل القرطبي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ
يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾⁽⁸⁴⁾ قال: رضا محمد أن لا يدخل أحد من
أهل بيته النار. وأخرج الحاكم وصححه أنه قال: «وَعَدَنِي رَبِّي فِي
أَهْلِ بَيْتِي مَنْ أَقَرَّ مِنْهُمْ بِالتَّوْحِيدِ وَلِيَّ الْبَلَاغِ أَنْ لَا يَعْذِبَهُمْ». وصح أن
العباس شكاً إلى رسول الله ما تفعل قريش من تعيسهم في وجوههم
وقطعهم حديثهم عند لقائهم، فغضب غضباً شديداً حتى احمرَّ وجهه
وَدَرَّ عَرَقٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ
الْإِيمَانَ حَتَّى يَحِبَّكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ»، وفي رواية صحيحة أيضاً: «مَا
بَالَ أَقْوَامٍ يَتَحَدَّثُونَ فَإِذَا رَأَوْا الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي قَطَعُوا حَدِيثَهُمْ
وَاللَّهُ لَا يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الْإِيمَانَ حَتَّى يَحِبَّهُمْ لِقَرَابَتِهِمْ مِنِّي»، وفي
أخرى: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَا يُؤْمِنُوا
حَتَّى يَحِبُّوكُمُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ أَيْرَجُونَ شَفَاعَتِي وَلَا تَرْجُوها بَنُو عَبْدِ
الْمُطَّلِبِ»، وروى الدَّيْلَمِيُّ والطَّبْرَانِيُّ وَأَبُو الشَّيْخِ ابْنُ حَبَّانٍ وَابْنُ أَبِي
مَرْفُوعاً أَنَّهُ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَتَكُونَ
عِزَّتِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ عِزَّتِهِ وَأَهْلِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَذَاتِي أَحَبَّ
إِلَيْهِ مِنْ ذَاتِهِ». وروى أَبُو الشَّيْخِ عَنْ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ قَالَ: «خَرَجَ
رَسُولُ اللَّهِ مُغْضَبًا حَتَّى اسْتَوَى عَلَى الْمَنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ
قَالَ: مَا بَالَ رَجَالٌ يُؤْذُونَنِي فِي أَهْلِ بَيْتِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ
عَبْدٌ حَتَّى يَحِبَّنِي وَلَا يَحِبَّنِي حَتَّى يَحِبَّ ذَرِيَّتِي»، ولذلك قال أَبُو بَكْرٍ
صَلَاةُ قَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ صَلَاةِ قَرَابَتِي. وأخرج البخاري

⁽⁸⁴⁾ سورة الضحى: 5.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر ارقبوا محمدًا في أهل بيته. وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة: «أنه قال في حسن وحسين اللهم إني أحبُّهما فأحبَّهما وأحبَّ مَنْ يُحبُّهما». وأخرج الترمذي عن أسامة أنه أجلس الحسن والحسين يومًا على فَخْذَيْهِ وقال: «هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم إني أحبُّهما فأحبَّهما». وأخرج الترمذي عن أنس «أنه سُئِلَ أي أهل بيتك أحب إليك فقال: الحسن والحسين» وروي من طرق عديدة صحيحة أنه قال: «الحسن والحسين سيِّدَا شبابِ أهل الجنة». وروى أحمد والترمذي عن علي كرم الله وجهه قال: قال رسول الله: «مَنْ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّ هَذَيْنِ وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا كَانَ مَعِي فِي درجتي يوم القيامة». وروى ابن مسعود: «حُبُّ آلِ محمدٍ يومًا خيرٌ من عبادة سنة وَمَنْ مات عليه دخل الجنة». وفي الكشف: «قال رسول الله: مَنْ مات على حُبِّ آلِ محمد مات شهيدًا أَلَا وَمَنْ مات على حُبِّ آلِ محمدٍ مات مغفورًا لَهُ أَلَا وَمَنْ مات على حُبِّ آلِ محمد مات تائبًا أَلَا وَمَنْ مات على حُبِّ آلِ محمد مات مؤمنًا مستكمل الإيمانِ أَلَا وَمَنْ مات على حُبِّ آلِ محمدٍ بَشَرُهُ ملكُ الموتِ بالجنة ثم منكر ونكير أَلَا وَمَنْ مات على حُبِّ آلِ محمد يُرْفُ إلى الجنة كما تُرْفُ العروس إلى بيت زوجها أَلَا وَمَنْ مات على حُبِّ آلِ محمد فُتِحَ لَهُ فِي قبره بابان إلى الجنة أَلَا وَمَنْ مات على حُبِّ آلِ محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة أَلَا وَمَنْ مات على حُبِّ آلِ محمدٍ مات على السنة والجماعة أَلَا وَمَنْ مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبًا بين عينيه آيسٌ من رحمة الله أَلَا وَمَنْ مات على بغض آل محمد مات كافرًا أَلَا وَمَنْ مات على بغض آل محمد لم يَشُمَّ رائحة الجنة».

(تنبيهان): الأول: ذكر الفخر الرازي أن أهل بيته ساووه في خمسة أشياء: في الصلاة عليه وعليهم في التشهد، وفي السلام، والطهارة، وفي تحريم الصدقة، وفي المحبة. (الثاني): عُلِمَ من الأحاديث السابقة وجوبُ محبة أهل البيت وتحريم بغضهم التحريم الغليظ، وبذلك صرَّح البيهقي والبعوي، بل نصَّ عليه الشافعي فيما حُكي عنه من قوله:

يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ حُبُّكُمْ فَرَضٌ مِنَ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ
يَكْفِيكُمْ مِنْ عَظِيمِ الْفَخْرِ أَنْتُمْ مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ
أي كاملة أو صحيحة على قول مرجوح لإمامنا الشافعي.

(وفي الفصول المهمة) لما صرح الإمام الشافعي بمحبته لأهل البيت وأنه من شيعتهم قيل فيه ما قيل فقال مُجيباً عن ذلك:
إِذَا نَحْنُ فَضَّلْنَا عَلَيًّا فَإِنَّا رَوَافِضُ بِالْتَفْضِيلِ عِنْدَ ذَوِي الْجَهْلِ
وَفَضْلُ أَبِي بَكْرٍ إِذَا مَا ذَكَرْتُهُ رُمِيتُ بِنَصْبٍ عِنْدَ ذِكْرِي لِلْفَضْلِ
فَلَا زِلْتُ ذَا رَفْضٍ وَنَصْبٍ كِلَاهُمَا بِحُبِّهِمَا حَتَّى أَوْسَدَ فِي الرَّمْلِ
وَحَكَى الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ (رحمه الله) في كتابه الذي
صنَّفه في مناقب الإمام الشافعي أن الإمام الشافعي قيل له إن أناساً
لا يصبرون على سماع منقبة أو فضيلة تُذكر لأهل البيت فإذا رأوا
أحدًا يذكر شيئاً من ذلك قالوا تجاوزوا عن هذا فهو رافضي، فأنشأ
الشافعي (رحمه الله تعالى) يقول:

إِذَا فِي مَجْلِسٍ نَذَرْتُ عَلِيًّا وَسَبَطِيهِ وَفَاطِمَةَ الزَّكِيَّةِ
يُقَالُ تَجَاوَزُوا يَا قَوْمُ هَذَا فَهَذَا مِنْ حَدِيثِ الرَّافِضِيَّةِ
بَرَرْتُ إِلَى الْمُهَيِّمِينَ مِنْ أَنَاسٍ يَرُونَ الرَّفْضَ حُبَّ الْفَاطِمِيَّةِ

وقال:

قالوا تَرَفَّضْتَ قُلْتُ: كَلَّا
لكن تَوَلَّيْتُ غيرَ شَكٍّ
إِنْ كَانَ حُبُّ الْوَلِيِّ رَفْضًا
فإن رَفَضِي إلى العبادِ

وقال:

يا رَاكِبًا قِفْ بِالْمَحْصَبِ مِنْ مِنًى
سَحَرًا إِذَا فَاضَ الْحَجِيجُ إِلَى مِنًى
إِنْ كَانَ رَفْضًا حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ
فَلْيَشْهَدْ الثَّقَلَانِ أَنِّي رَافِضِي

ولأبي الحسن بن جبير (رحمه الله):

أَحِبُّ النَّبِيَّ الْمُصْطَفَى وَابْنَ عَمِّهِ
هُمُ أَهْلُ بَيْتِ أَذْهَبَ الرَّجْسَ عَنْهُمْ
مُؤَاثِمُهُمْ فَرَضَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ
وَمَا أَنَا لِلصَّحْبِ الْكَرَامِ بِمُبْغِضٍ
هُمُ جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ
عَلَيْهِمْ سَلَامُ اللَّهِ مَا دَامَ ذِكْرُهُمْ
عَلِيًّا وَسِبْطِيهِ وَفَاطِمَةَ الزَّهْرَا
وَأَطْلَعَهُمْ أَفْقُ الْهُدَى أَنْجَمًا زُهْرًا
وَحُبُّهُمْ أَسْنَى الذَّخَائِرِ لِلْآخِرَى
فَإِنِّي أَرَى الْبَغْضَاءَ فِي حَقِّهِمْ كُفْرًا
وَهُمْ نَصَرُوا دِينَ الْهُدَى بِالظُّبَا نَصْرًا
لَدَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَأَكْرَمَ بِهِ ذِكْرًا

ولبعضهم:

هُمُ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى لِمُعْتَصِمٍ بِهَا
مَنَاقِبُ فِي الشُّوْرَى وَفِي هَلْ أَتَى أَتَتْ
وَهُمُ آلُ بَيْتِ الْمُصْطَفَى فَوَدَّاهُمْ
مَنَاقِبُهُمْ جَاءَتْ بِوَحْيٍ وَإِنْزَالٍ
وَفِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ يَعْرِفُهَا النَّالِي
عَلَى النَّاسِ مَفْرُوضٌ بِحُكْمٍ وَإِسْجَالٍ

وقال آخر:

هُمُ الْقَوْمُ مَنْ أَصْفَاهُمْ الْوَدُّ مُخْلِصًا
هُمُ الْقَوْمُ فَافَقُوا الْعَالَمِينَ مَنَاقِبًا
تَمَسَّكَ فِي آخِرَاهُ بِالسَّبَبِ الْأَفْوَى
مَحَاسِنُهُمْ تُجَلَّى وَآثَارُهُمْ تُرَوَّى

مُواَلَاتُهُمْ فَرَضُ وَحُبُّهُمْ هُدَىٰ وَطَاعَتُهُمْ وَدُّوْهُمْ تَقْوَىٰ
وللشافعي:

أَلِ النَّبِيِّ ذَرِيعَتِي وَهُمْ إِلَيْهِ وَسِيلَتِي
أَرْجُو بِهِمْ أُعْطِيَ عَذًّا بِيَدِي الْيَمِينِ صَحِيفَتِي
(وَحُكِّي) أَنْ بَعْضَ الْوَعَاظِ أَطْنَبَ فِي مَدْحِ آلِ الْبَيْتِ الشَّرِيفِ
وَذَكَرَ فُضَائِلَهُمْ حَتَّى كَادَتْ الشَّمْسُ أَنْ تَغْرِبَ فَالْتَفَتَ إِلَى الشَّمْسِ
وَقَالَ مُخَاطَبًا لَهَا:

لَا تَغْرُبِي يَا شَمْسُ حَتَّى يَنْقُضِي مَدْحِي لِآلِ مُحَمَّدٍ وَلِنَسْلِهِ
وَإِنِّي عِنَانُكَ إِنْ أَرَدْتَ ثَنَاءَهُمْ أَنْسَيْتِ إِذْ كَانَ الْوَقُوفُ لِأَجْلِهِ
إِنْ كَانَ لِلْمَوْلَى وَقُوفُكَ فَلْيَكُنْ هَذَا الْوَقُوفُ لِفِرْعِهِ وَلِنَجْلِهِ
فَطَلَعَتِ الشَّمْسُ وَحَصَلَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلَسِ أُنْسٌ كَثِيرٌ وَسُرُورٌ
عَظِيمٌ. انْتَهَى مِنْ دَرَرِ الْأَصْدَافِ.

وما أحسن ما قاله أبو الفضل الواعظ (رحمه الله):
حُبُّ آلِ النَّبِيِّ خَالَطَ عَظْمِي وَجَرَى فِي مَفَاصِلِي فَاعْذُرُونِي
أَنَا وَاللَّهِ مُغْرَمٌ بِهِوَاهِمُ عَلَّلُونِي بِذِكْرِهِمْ عَلَّلُونِي
وما أحسن قول ابن الوردي ناظم البهجة:

يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ مَنْ بُذِلَتْ فِي حُبِّكُمْ رُوحُهُ فَمَا غُنِيَا⁽⁸⁵⁾
مَنْ جَاءَكُمْ يَطْلُبُ الْحَدِيثَ لَهُ قُولُوا لَنَا الْبَيْتُ وَالْحَدِيثُ لَنَا
قال الشيخ الشعراني وما أحسن ما أورده الشيخ الأكبر في الفتوحات:
فَلَا تَعْدِلْ بِأَهْلِ الْبَيْتِ خَلْقًا فَأَهْلُ الْبَيْتِ هُمْ أَهْلُ السِّيَادَةِ
فَبُغْضُهُمْ مِنَ الْإِنْسَانِ خُسْرٌ حَقِيقِيٌّ وَحُبُّهُمْ عِبَادَةٌ

(85) غُنِيَا: بُخِسَ حَقُّهُ.

وفي المنن: ومما منَّ الله به عليَّ محبتي للشرفاء وأهل البيت ولو من قِبل الأم فقط ولو كانوا على غير قدم الاستقامة؛ لأنهم يقيّن يحبون الله ورسوله، ومن أحب الله ورسوله لا يجوز بغضه ولا سبه؛ بقرينة أنه كان يحد نعيمان كلما شرب الخمر وأتوا به إليه مرة فحدّه فصار بعض الناس يلعنه فقال: «لا تلعنوا نعيمان فإنه يحب الله ورسوله»، فعلم أنه لا يلزم من إقامة الحدود على الشرفاء أننا نبغضهم، بل إقامتنا الحدود عليهم إنما هو محبةٌ فيهم وتطهيرٌ لهم، وقد قال: «وأيُّمَّ الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»، وقال في ما عز لما رَجَمَه: «لقد تاب توبة لو قسمت على أهل الأرض لو سعتهم» أي قُبلت منهم وأحبهم الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾⁽⁸⁶⁾.

(وقال الشيخ) محيي الدين بن العربي رحمه الله تعالى: الذي أقول به أن ذنوب أهل البيت إنما هي ذنوب في الصورة لا في الحقيقة؛ لأن الله تعالى غفر لهم ذنوبهم بسابق العناية لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾⁽⁸⁷⁾، ولا رجس أرجس من الذنوب. قال: وجميع ما يقع منهم من الأذى لنا، يجب علينا في الأدب معهم، أن نجعله شبيهاً بالمقادير الإلهية من الأمراض ونحوها، فيجب علينا الرضا به أو الصبر عليه، وإن أخذوا أموالنا ولم يعطوها لنا لا ينبغي لنا حبس أحد منهم ولا رفعه إلى حاكم؛ لأنه بضعة من رسول الله. انتهى.

⁽⁸⁶⁾ البقرة: 222.

⁽⁸⁷⁾ سورة الأحزاب: 33.

(وكان الإمام أبو بكر الصديق) يقول: ارقبوا محمداً في أهل بيته، وكان يقول: والذي نفسي بيده لقراة محمد أحب إليّ من قرابتي. وأتى عبد الله بن الحسن مرة إلى عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال: إذا كانت لك حاجة فأرسل إليّ أَحْضُرْ، أو اكتب لي ورقة فإنني أستحيي من الله أن يراك على بابي. وصلى زيد بن ثابت على جنازة فلما ركب أخذ ابن عباس بركابه فقال: خَلَّ عنه يا ابن عم رسول الله، فقال ابن عباس: هكذا أُمِرنا أن نفعل بالعلماء، فقبَّل زيد يد ابن عباس وقال: هكذا أُمِرنا أن نفعل مع أهل بيت رسول الله. (ودخلت) بنت أسامة بن زيد على عمر بن عبد العزيز يوماً فأجلسها في مجلسه وجلس هو بين يديها وما ترك لها حاجة إلا قضأها، هذا فعله مع بنت مولى رسول الله فما ظنك مع أولاده وذريته؟ (وبلغ) معاوية أن كابس بن ربيعة يشبه رسول الله فكان إذا دخل عليه كابس يقوم عن سريره ويتلقأه ويُقبِّله بين عينيه. (وكان) الحسن البصري (رحمه الله تعالى) يقول: لو كان لي مدخل في العصابة مع قتلة الحسين بن علي وخُيرت بين الجنة والنار لاخترت دخول النار حياءً من رسول الله أن يقع بصره عليّ في الجنة. (ولما ضرب) جعفر بن سليمان الإمام مالكا غشي على مالك، فدخل عليه الناس فلما أفاق قال لهم: أشهدكم أنني قد جعلت ضاربي في حلٍّ، فقيل لم؟ فقال: خفت أن أموت فألقى رسول الله فأستحيي أن يدخل أحدٌ من آله النار بسببي، فلما تولى المنصور طلب أن يقتص له منه، فقال الإمام مالك: أعوذ بالله، والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي إلا وقد جعلته في حلٍّ منه لقرايته من رسول الله. (وكان أبو بكر بن عيَّاش) يقول: لو أتاني أبو بكر وعمر

وعلي في حاجة لبدأت بحاجة عليّ لقربه من رسول الله ولأن آخر من السماء إلى الأرض أحب إليّ من أن أقدمه عليهما في الفضل. وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يزوران أم أيمن مولاة رسول الله ويقولان: كان رسول الله يزورها. (ولما قدمت حليلة) مرضعته على أبي بكر وعمر بسطاً لها ثوبيهما، وفي رواية أرديتهما. (قال) وسمعت سيدي علياً الخوَّاص (رحمه الله) يقول: من حق الشريف علينا أن نفديه بأرواحنا لسريان لحم رسول الله ودمه الكريمين فيه، فهو بضعة من رسول الله وللبعض في الإجلال والتعظيم والتوقير ما للكل، وحرمة جزئه كحرمة جزئه حياً على حد سواء. (قال بعض العلماء) ومن حقوق الشرفاء علينا وإن بعدوا في النسب أن نؤثر رضاهم على أهوائنا وشهواتنا ونعظمهم ونوقرهم، ولا نجلس فوق سرير وهم على الأرض، انتهى. (وكان) سيدي إبراهيم المتبولي إذا جلس إليه شريف يُظهر له الخشوع والانكماش بين يديه ويقول: إنه بضعة من رسول الله، ويقول: مَنْ أَدَى شَرِيفاً فَقَدْ أَدَى رَسُولَ اللَّهِ، وكان يقول: يتأكد على كل صاحب مال إذا رأى شريفاً عليه دين أن يفديه بماله؛ لأنه جزء من رسول الله، وكان يقول: لا ينبغي لمن يؤمن بالله ويحب رسول الله أن يتوقف عن تعظيم الشريف والإحسان إليه حتى يعرف صحة نسبه، بل يكفيه تظاهر الشريف بالشرف، وذلك أوجه للمؤمن عند رسول الله من حيث إنا عظمناه ووقرناه من غير توقف على صحة النسب. (وكان الإمام مالك) يقول: مَنْ ادَّعى الشرفَ كاذباً يُضرب ضرباً وجيعاً ثم يشهر ويحبس طويلاً حتى يُظهر لنا توبته؛ لأن ذلك استخفاف منه بحقه، ومع ذلك كان يُعظم مَنْ طعن في نسبه ويقول

لعله شريف في نفس الأمر. (قال بعض العلماء) ولا ينبغي تعظيم الشريف إذا تعاطى المحرمات، وخالفه معظم العلماء وقالوا تعظيم الشريف مطلوب بما لا إثم فيه ولو زنى وعمل عمل قوم لوط وشرب الخمر وسحر وأكل الربا وسرق وكذب وأكل أموال اليتامى وقذف المحصنات وأذى المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا، ولا سيما إن كانت هذه الأمور لم تثبت عنه على يد حاكم شرعي وإنما أشاعها عنه بعض الحسدة كما هو الغالب في الناس اليوم، فقلَّ مَنْ يثبت عنه شيءٌ مما يُوجب الحد لاستتار بعض هذه المعاصي عن الناس بفعلها في بيوتهم وهي مقفلة عليهم. (قال الشعراني): قلت ولم أرَ مَنْ تَخَلَّقَ مِنْ أَقْرَانِي بهذا الخُلُقِ إلا قليلاً، بل رأيت بعضهم يستخدم الشريفَ المستور ويحمله غاشية سرجه وسجاده ويُمشي خلفه بغلته وهذا مِنْ أدل دليل على شدة جهله بالأدب مع الله ورسوله، فكيف يدَّعي التقرب من حضرة الله وأنه يدعو الناس إليها فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. قال وقد تقدم أن إقامة الحدود على الشرفاء لا تُنافي تعظيمهم وتوقيرهم، فنُعظمهم من حيث كونهم من ذرية رسول الله، ونقيم عليهم الحد الذي شرعه جدهم ولم يخص به أحداً دون أحد؛ بدليل قوله: «وأيُّ الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» والله أعلم. (قال) وكان سيدي على الخَوَاص (رحمه الله تعالى) يقول: اصطنعوا الأيادي مع الأشراف لمكانهم من رسول الله وانووا بذلك الهدية والمودة للقريبى دون الزكاة؛ فإن لهم في أعناقنا عبودية لا يمكننا أن نقوم ببعضها زيادة على ما لجدهم من الحق علينا. انتهى. (قال) وقد تقدم في هذه المنن أن من الأدب أن

لا يتزوج أحدنا شريفةً إلا إن عرف من نفسه أن يكون تحت حكمها وإشارتها، ويُقدّم لها نعلها، ويقوم لها إذا وردت عليه، ولا يتزوج عليها، ولا يُقترَ عليها في المعيشة إلا إن اختارت ذلك، ولا ينظر إليها إذا كانت أجنبية وهي في الإزار، ولا ينظر لوجهها إذا ابتاعت منه شيئاً، ولا ينظر إلى رجلها إذا كان بائع الخفاف، ولا تسأله شيئاً ويمنعه عنها، إلا بطريق شرعي في جميع الأمور السابقة واللاحقة ونحوها، ولا يمر عليها وهي جالسة على الطرقات تسأل شيئاً يقدر عليه فلا يعطيها ونحو ذلك، فاعلم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله يتولى هُداك، انتهى. (وفي المنن) أيضاً ما نصه: ومما منَّ الله به عليّ عدم دعائي على شريف إذ ظلمني فضلاً عن كوني أشكوه من بيوت الحكام، وإذا تخاصم الشرفاء مع بعضهم بعضاً لا أنتصر لأحد منهم دون الآخر، بل أطلب الصلح بينهم لا غير، وكثيراً ما أتوجه إلى رسول الله وأقول: يا رسول الله خاطرك على أولادك يصلح الله بينهم، وقد بلغني أن بعض المشايخ توجه إلى الله تعالى في قتل الشريف أبي نمي سلطان مكة لأجل ولاية أولاد أعمامه بعده، فقلت يا سبحان الله لا بد للمتوجه إلى الله تعالى من واسطة رسول الله فكيف يقول يا رسول الله اقتل ولدك فلاناً لأجل ولدك فلان، انتهى. (غريبة) نقل الشيخ عبد الرحمن الأجهوري المالكي في كتابه مشارق الأنوار أن رجلاً من المغرب عزم على التوجه إلى الحج، فأعطاه آخر مائة دينار وقال تعطيهم بالمدينة لرجل شريف صحيح النسب، فلما وصل سأل عن الأشراف فقالوا له إنهم من الشيعة يسبون الشيخين، فكره الإعطاء، فجلس بجنبه رجل بالمدينة فقال

له: أأنت شريف؟ فقال: نعم، قال له: ما عقيدتك؟ قال: شيعي، فكره الإعطاء له، قال فنمت تلك الليلة فرأيت أن القيامة قامت والناس يجوزون على الصراط فأردت الجواز فمنعني فاطمة عليها السلام فأقبل رسول الله فشكوت له فقال لها لم منعه، فقالت قطع رزق ابني، فقال لها رسول الله إنه ما منعه إلا من كونه يسب الشيخين، قال فالتفت فاطمة عليها السلام إلى الشيخين وقالت لهما: أتؤاخذان ولدي بذلك، فقالا لا بل سامحناه، فالتفت إليّ وقالت: ما الذي أدخلك بين ولدي وبين الشيخين؟ فانتبعت فزعا فأخذت المبلغ وجئت به إلى ذلك الشريف ودفعته إليه فتعجب من ذلك، فقصصت عليه الرؤيا فقال: أشهدك على أنني لا أسبهما.

(فائدة) تحرم الصدقة عليهم؛ لكونها أوساخ الناس ولتعويضهم خمس الخمس من الفياء الغنم والغنيمة، وقَصْر مالك وأبو حنيفة تحريمها على بني هاشم، وقال الشافعي وأحمد بتحريمها على بني هاشم وبني المطلب، وروي عن أبي حنيفة جوازها لبني هاشم مطلقا، وقال أبو يوسف تحل من بعضهم لبعض، ومذهب أكثر الحنفية والشافعية وأحمد جواز أخذهم صدقة النَّفل وهو رواية عن مالك، وروي عنه حل أخذ الفرض دون التطوع؛ لأن الذلَّ فيه أكثر، ذكره الأجهوري في مشارق الأنوار.

فصل في ذكر مناقب سيدنا الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب ابن سيدة نساء العالمين فاطمة بنت رسول الله

وُلد الحسن في منتصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وهو أول أولاد علي وفاطمة، رُوي مرفوعا إلى عليٍّ أبيه عليه السلام قال: «لما حضرت

ولادة فاطمة قال رسول الله لأسماء بنت عميس وأم سلمة عليهما السلام:
 اخْضَرَا فاطمة فإذا وقع ولدها واستهْلَ صارَ خًا فَأَذَّنَا فِي أُذُنِهِ الْيَمِينِ
 وَأَقِيمَا فِي أُذُنِهِ الْيُسْرَى فَإِنَّهُ لَا يُفْعَلُ ذَلِكَ بِمِثْلِهِ إِلَّا عُصِمَ مِنَ الشَّيْطَانِ
 وَلَا تُحَدِّثَا شَيْئًا حَتَّى آتِيَكُمَا، فلما وَلَدَتْ فعلنا ذلك وأتاه رسول
 الله فَسَرَّهُ⁽⁸⁸⁾ وَلَبَّاهُ بِرِيقِهِ⁽⁸⁹⁾ وقال: «اللهم إني أعيزه بك وذريته من
 الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، فلما كان اليوم السابع من مولده قال رسول الله:
 ما سَمِيتُمُوهُ، قال: حربًا، قال: بَلْ سَمَّوْهُ حَسَنًا». (عن أسماء) بنت
 عميس قالت: «قبلت فاطمة بالحسن فلم أَر لها دَمًا فقلت: يا رسول
 الله إني لم أَر لفاطمة دَمًا في حيض ولا نفاس، فقال لها: أما علمتِ
 أن ابنتي طاهرة مُطَهَّرَةٌ لَا يُرَى لها دَمٌ في طمث ولا ولادة» خرجه
 الإمام علي بن موسى الرضا.

وَعَقَّ عَنْهُ، فعن علي: «عَقَّ رسول الله عن الحسن وقال: يا فاطمة
 احلقي رأسه وتصدقي بزنة شعره فضة، فوزناه فكان وزنه درهمًا أو
 بعض درهم» خرجه الترمذي. (وعن أسماء) بنت عميس قالت:
 عَقَّ النَّبِيُّ عَنْ الْحَسَنِ يَوْمَ سَابِعِهِ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ وَأَعْطَى الْقَابِلَةَ
 الْفَخْذَ وَحَلَقَ رَأْسَهُ وَتَصَدَّقَ بِزَنَةِ الشَّعْرِ ثَمَّ طَلَى رَأْسَهُ بِيَدِهِ الْمُبَارَكَةِ
 بِالْخُلُقِ⁽⁹⁰⁾. (وختنه) عن جابر أن النبي عَقَّ عَنْ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ
 وَخَتَنَهُمَا لِسَبْعَةِ أَيَّامٍ، وَأَرْضَعَتْهُ أُمُّ الْفَضْلِ امْرَأَةُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ

⁽⁸⁸⁾ سَرَّهُ: قَطَعَ سُرَّهُ.

⁽⁸⁹⁾ أَلَبَّاهُ بِرِيقِهِ: أَي صَبَّ رِيقَهُ فِي فِيهِ كَمَا يُصَبُّ اللَّبَاءُ فِي فَمِ الصَّبِيِّ، وَاللَّبَاءُ هُوَ أَوَّلُ مَا
 يُحْلَبُ عِنْدَ الْوِلَادَةِ.

⁽⁹⁰⁾ خُلُقٍ: نَوْعٌ مِنَ الطَّيِّبِ أَكْظَمُ أَجْزَائِهِ مِنَ الزَّعْفَرَانِ.

المطلب بلبن ابنها قثم، فعن قابوس «أن أم الفضل قالت يا رسول الله: رأيت كأن عضواً من أعضائك في بيتي، فقال: خيراً رأيته تلد فاطمة غلاماً فترضعه بلبن قثم، فولدت فاطمة الحسن فأرضعته بلبن قثم» خرج الدولابي والبغوي في معجمه، «فجئت به إلى النبي فوضعته في حجره فبال فضربت كتفه، فقال: أوجعت ابني رحمك الله». وفي الصفوة عن علي قال: الحسن أشبه الناس بالنبي ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه الناس بالنبي ما كان أسفل من ذلك. عن أبي هريرة قال: «لا أزال أحب هذا الرجل يعني الحسن بن علي بعد ما رأيت رسول الله يصنع به ما يصنع، قال: رأيت الحسن في حجر النبي وهو يدخل أصابعه في لحية النبي والنبي يدخل لسانه في فيه ثم يقول: اللهم إني أحبه» كذا في ذخائر العقبى.

(صفة الحسن) كان أبيض مشرباً بحمرة، أدعج العينين، سهل الخدين، كث اللحية ذؤفرة، كأن عنقه إبريق فضة، عظيم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين، ربة ليس بالطويل ولا بالقصير، من أحسن الناس وجهًا، وكان يخضب بالسواد، وكان جعد الشعر، حسن البدن. ذكره الدولابي وغيره عن محمد بن علي. قال الحسن: «إني لأستحي من ربي عز وجل أن ألقاه ولم أمش إلى بيته» فمشى عشرين مرة من المدينة على رجله. وعن علي بن زيد قال: حج الحسن خمس عشرة حجة ماشياً وإن النجائب لتقاد معه. (وفي حياة الحيوان) وقاسم الله عز وجل ماله ثلاث مرات حتى إنه يُعطي نعلًا ويمسك أخرى. (وكنيته) أبو محمد. وأما ألقابه فكثيرة وهي: التقيُّ والزكيُّ والسيد والسبط والوليُّ، وأكثرها شهرة التقيُّ وأعلاها

رتبة ما لقَّبه به رسول الله كما في الحديث الصحيح «إن ابني هذا سيِّد». روى البخاري في صحيحه «عن عقبة بن الحارث قال: صلَّى أبو بكر العصر ثم خرج يمشي ومعه علي فرأى الحسن يلعب مع الصبيان فحملة أبو بك على عاتقه وقال بأبي شبيه بالنبي ليس شبيهاً بعلي، قال: وعلي يتبسم». وقد ورد في فضله أحاديث كثيرة، فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم مرفوعاً إلى البراء قال: «رأيت النبي والحسن بن علي على عاتقه وهو يقول: اللهم إني أحبه فأحبه». وروى الترمذي مرفوعاً إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «كان رسول الله حامل الحسن بن علي فقال رجل: نعم المركب ركبت يا غلام، فقال النبي: ونعم الراكب هو». وروي عن الحافظ أبي نعيم فيما أورده في حديثه عن أبي بكر قال: «كان رسول الله يصلي بنا فيجيء الحسن وهو ساجد، وهو إذ ذاك صغير، فيجلس على ظهره، ومرة على رقبته، فيرفعه النبي رفعاً رفيقاً، فلمَّا فرغ من الصلاة قالوا: يا رسول الله إنا رأيناك تصنع بهذا الصبي شيئاً ما رأيناك تصنعه بأحد، فقال: إن هذا ريحانتي وإن ابني هذا سيد وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين». وروى الترمذي عن أبي سعيد قال: قال رسول الله: «الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة».

(تنبيه) سئل الشيخ الزاهد محيي الدين النواوي عن قوله: «الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة»، ما معناه فأجاب بجواب منه: معنى الحديث أن الحسن والحسين وإن ماتا شيخين فهما سيِّدا كل من مات شاباً ودخل الجنة، وكل أهل الجنة يكونون في سن أبناء ثلاث وثلاثين، ولا يلزم كون السيد في سن من يسودهم كذا

في تنمة المختصر. (وعن) ابن عمر قال سمعت رسول الله يقول: «هما ريحانتي من الجنة». ورُوي أنه مر بالحسن والحسين وهما يلعبان فطأطأ لهما عنقه وحملهما وقال: «نعم المطية مطيتهما ونعم الراكبان هما».

(فائدة) ليس ثمَّ خليفة هاشمي من هاشمية غير الحسن بن علي ومحمد ابن زبيدة.

(حكايَتان: الأولى:): كان الحسن يجلس في مسجد رسول الله ويجتمع الناس حوله، فجاء رجل فوجد شخصاً يُحدث عن رسول الله والناس حوله مجتمعون فجاء إليه الرجل فقال: أخبرني عن شاهد ومشهود فقال: نعم أما الشاهد فيوم الجمعة وأما المشهود فيوم عرفة، فتجاوزه إلى آخر يُحدث في المسجد فسأله عن شاهد ومشهود كذلك فقال: أما الشاهد فيوم الجمعة وأما المشهود فيوم البحر، ثم تجاوزهما إلى ثالث فسأله عن شاهد ومشهود أيضًا فقال: الشاهد رسول الله والمشهود يوم القيامة أما سمعته عزَّ وجلَّ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾⁽⁹¹⁾ وقال تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود، فسأل عن الأول فقالوا ابن عباس رضي الله عنه، وسأل عن الثاني فقالوا ابن عمر، وسأل عن الثالث فقالوا الحسن بن علي بن أبي طالب. رواه الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي في تفسير الوسيط.

(الثانية) اغتسل الحسن وخرج من داره في بعض الأيام وعليه حُلَّة فاخرة ووفرة ظاهرة ومحاسن سافرة، فعرض له في طريقه

⁽⁹¹⁾ سورة الأحزاب: 45.

شخص من محاويج اليهود وعليه مسح من جلود قد أنهكته العلة وركبته القلة والذلة، وشمس الظهيرة قد شوت شواه وهو حامل جرة ماء على قفاه، فاستوقف الحسن وقال: يا ابن رسول الله سؤال، قال: ما هو؟ قال جددك يقول: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» وأنت مؤمن وأنا كافر فما أرى الدنيا إلا جنة لك تتنعم بها، وما أراها إلا سجنًا عليّ قد أهلكني ضرها وأجهدني فقرها، فلما سمع الحسن كلامه قال له: يا هذا لو نظرت إلى ما أعدّ الله لي في الآخرة لعلمت أنني في هذه الحالة بالنسبة إلى تلك في سجن، ولو نظرت إلى ما أعدّ الله لك في الآخرة من العذاب الأليم لرأيت أنك الآن في جنة واسعة. انتهى من الفصول المهمة.

(فائدة) روي عن علي أن رسول الله كان يُعوّذ الحسن والحسين بهؤلاء الكلمات: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة».

فصل في ذكر طرف من أخباره ومصالحته لمعاوية وما يتصل بذلك

قال أصحاب السير: لما استشهد علي، عمد أهل العراق إلى ابنه الحسن فبايعوه ثم أشاروا عليه بالمسير ليأخذ الشام من معاوية، وسار معاوية بجيش الشام لقصدته، فلما تقارب الجيشان وتراءى الجمعان بموضع يُقال له مسكن بناحية الأنبار من أرض السواد، علم الحسن أنه لم تغلب إحدى الفئتين حتى يذهب أكثر الأخرى، فرأى أن المصلحة في جمع الكلمة وترك القتال، فكتب إلى معاوية يراسله ويخبره بأنه يصير الأمر إليه وينزل عنه على أن يشترط عليه: أن لا يطالب أحدًا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان في أيام أبيه، وأن يكون ولي العهد من بعده، وأن يُمكنه من بيت المال ليأخذ حاجته منه، ففرح معاوية وأجاب إلى ذلك، إلا أنه قال: إلا عشرة أنفس لا أُؤمّنهم، فراجع الحسن فيهم، فكتب إليه معاوية: إني قد آليتُ أنني متى ظفرت بقيس بن سعد بن عبادة قطعت لسانه ويده، فراجع الحسن إني لا أبائعك أبدًا وأنت تطلب قيسًا وغيره بتبعية قلّت أو كثُرَتْ، فبعث إليه معاوية حينئذ برق أبيض وقال له: اكتب ما شئت فيه فأنا ألتزمه، فاصطلحًا على ذلك، فكتب الحسن كل ما اشترط عليه من الأمور المذكورة واشترط أن يكون له الأمر بعده، فالتزم ذلك كله معاوية، فخلع الحسن نفسه وسلّم الأمر إلى معاوية ببيت المقدس؛ تورّعًا وقطعًا للشر، فلما اصطَلَحَا دخل معاوية

الكوفة وارتحل الحسن إلى المدينة وأقام بها، (وكان) نزوله عنها سنة إحدى وأربعين في ربيع الأول وقيل في جمادى الأولى وقيل غير ذلك، وذلك مصداق قوله في حق الحسن: «إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» رواه البخاري، ولكونه نزل عنها ابتغاء وجه الله عوّضه الله وأهل بيته عنها بالخلافة الباطنة، حتى ذهب قوم إلى أن قطب الأولياء في كل زمان لا يكون إلا من أهل البيت، ولما نزل عن الخلافة كان أصحابه يقولون يا عار المؤمنين، فيقول: «العار خير من النار».

(موعظة) من مواعظ الحسن كان يقول: «يا ابن آدم عِفَّ عن محارم الله تكن عابداً، وارضَ بما قسم الله لك تكن غنياً، وأحسن جوار مَنْ جاورك تكن مسلماً، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عادلاً، إنه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيراً، وبينون مشيداً، ويأملون بعيداً، أصبح جمعهم بوراً، وعملهم غروراً، ومساكنهم قبوراً. يا ابن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك مذ سقطت من بطن أمك، فجد بما في يدك لما بين يديك فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع، وكان يتلو هذه الآية بعدها ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾⁽⁹²⁾. كذا في الفصول المهمة.

⁽⁹²⁾ سورة البقرة: 197.

فصل في ذكر نبذة من كلامه

نقل الحافظ أبو نُعيم في حليته بسنده أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سأل ابنه الحسن فقال: يا بني ما السداد؟ فقال: يا أبت السداد دفع المنكر بالمعروف، قال فما الشرف؟ قال: اصطناع العشيرة والاحتمال للجريرة، قال فما السماح؟ قال: البذل في العسر واليسر، قال فما اللؤم؟ قال: إحراز المرء ماله وبذله عرضه، قال فما الجبن؟ قال: الجراءة على الصديق والنُّكُول⁽⁹³⁾ عن العدو، قال فما الغنى؟ قال رضا النفس بما قسم الله لها وإن قل، قال فما الحلم؟ قال كظم الغيظ وملك النفس، قال فما المنة؟ قال: شدة البأس ومنازعة أعز الناس، قال فما الذل؟ قال: الفرع عند الصدمة، قال فما الكلفة؟ قال: كلامك فيما لا يعينك قال فما المجد؟ قال: أن تعطي في الغُرم وتعفو في الجُرم، قال فما السُّودد؟ قال: إتيان الجميل وترك القبيح، قال فما السَّفه؟ قال: اتباع الدناءة وصحبة الغواة، قال فما الغفلة؟ قال: ترك المسجد وطاعة المفسد. (ومن كلامه) لا أدب لمن لا عقل له، ولا مودة لمن لا همّة له، ولا حياء لمن لا دين له، ورأس العقل معاشرّة الناس بالجميل، وبالعقل تدرك الداران جميعاً، ومن حُرّم العقل حُرّمهما جميعاً. (وقال): هلاك الناس في ثلاث: في الكبر والحرص والحسد، فالكبر هلاك الدين وبه لُعن إبليس، والحرص عدو النفس وبه أُخرج آدم من الجنة، والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل

⁽⁹³⁾ الامتناع عن أداء الشهادة، أو حلف اليمين.

(وقال): دخلت على عليّ بن أبي طالب وهو يجود بنفسه لما ضربه ابن ملجم، فجزعت لذلك، فقال لي أتجزع؟ فقلت: وكيف لا أجزع وأنا أراك على هذه الحالة، فقال: «يا بني احفظ عني خِصلاً أربعاً، إن أنت حفظتهن نلت بهن النجاة، يا بني لا غنى أكثر من العقل، ولا فقر مثل الجهل، ولا وحشة أشد من العجب، ولا عيش ألد من حسن الخلق، واعلم أن مروءة القناعة والرضا أكبر من مروءة الإعطاء، وتمام الصنيعة خير من ابتدائها».

(وقال): حُسن السؤال نصفُ العلم، وقال: مَنْ بدأ الكلام قبل السلام فلا تجيبوه، وسُئِلَ عن الصمت فقال: هو سترُ العِيِّ وزين العرض وفاعله في راحة وجليسه في أَمْن. (وقيل) له: إن أبا ذر يقول: الفقر أحب إليّ من الغنى والسقم أحب إليّ من الصحة، فقال: رحم الله أبا ذر أما أنا فأقول: مَنْ اتكل على حُسن اختيار الله لم يَتَمَنَّ أنه في غير الحالة التي اختارها الله له. (وكان) يقول لبنيه وبني أخيه: تعلموا العلم فإن لم تستطيعوا حفظه فاكتبوه وضعوه في بيوتكم. (ورأى) عيسى ابن مريم عليه السلام فقال له: أريد أن أتخذ خاتماً فما أكتب عليه، قال: اكتب عليه: لا إله إلا الله الملك الحق المبين؛ فإنه آخر الإنجيل. ومن كلامه المنظوم كما ذكره العلامة عبد القادر الطبري المالكي في شرح الدرية:

اغْنِ عَنِ الْمَخْلُوقِ بِالْخَالِقِ	تَغْنِ عَنِ الْكَاذِبِ وَالصَّادِقِ
وَاسْتَرْزِقِ الرَّحْمَنَ مِنْ فَضْلِهِ	فَلَيْسَ غَيْرُ اللَّهِ بِالرَّازِقِ
مَنْ ظَنَّ أَنَّ النَّاسَ يُغْنُونَهُ	فَلَيْسَ بِالرَّحْمَنِ بِالْوَائِقِ
مَنْ ظَنَّ أَنَّ الرِّزْقَ كَسْبُهُ	زَلَّتْ بِهِ النَّعْلَانِ مِنْ حَالِقِ

(كرامة) تَغَوَّطَ رجلٌ على قبره، فجنَّ وجعل ينبح كما ينبح الكلب ثم مات فسُمع يعوي في قبره. أخرجه أبو نعيم عن الأعمش. (وكان كريماً) فمن كرمه ما نُقل عنه أنه سمع رجلاً يسأل ربه أن يرزقه عشرة آلاف درهم، فانصرف الحسن إلى منزله وبعث بها إليه. ومنه أن رجلاً سأله وشكا إليه حاله، فدعا الحسن وكيله وجعل يحاسبه على نفقاته ومقبوضاته حتى استقصاها، فقال له: هات الفاضل، فأحضر خمسين ألف درهم، ثم قال: ما فعلت بالخمسمائة دينار التي معك، قال عندي، قال: فأحضرها، فلما أحضرها دفع الدراهم والدنانير إلى الرجل واعتذر منه.

(ومنه) ما رواه أبو الحسن المدائني قال: خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر عليهما السلام حُجَّاجًا فلما كانوا ببعض الطريق جاعوا وعطشوا وقد فاتهم أثقالهم، فنظروا إلى خباء فقصدوه فإذا فيه عجوز فقالوا: هل من شراب؟ فقالت: نعم، فأناخوها وليس عندها إلا شويهة، فقالت احلبوها واشربوا لبنها، ففعلوا ذلك فقالوا: هل من طعام؟ قالت هذه الشويهة ما عندي غيرها فأنا أقسم عليكم بالله إلا ما ذبحها أحدكم حتى أهيبَّ لكم الحطب فاشووها وكلوها، ففعلوا ذلك وأقاموا عندها حتى أبردوا، فلما ارتحلوا من عندها قالوا لها: يا هذه نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فإذا رجعنا سالمين فألِّمِّي بنا فإننا صانعون بك خيراً إن شاء الله تعالى ثم ارتحلوا، وأقبل زوجها فأخبرته الخبر فغضب وقال: ويحك تذبحين شاتناً لقوم لا نعرفهم ثم تقولين نفر من قريش، ثم بعد دهرٍ طويل أصابت المرأة وزوجها السنة فاضطرتهم الحاجة إلى دخول المدينة فدخلها

يلتقطان البعر⁽⁹⁴⁾، فَمَرَّت العجوز في بعض سكك المدينة ومعها مَكْتَلُهَا⁽⁹⁵⁾ تلتقط فيه البعر، والحسن جالس على باب داره فنظر إليها فعرفها فناداها وقال لها: يا أمة الله هل تعرفيني؟ فقالت لا، فقال: أنا أحد ضيوفك يوم كذا سنة كذا في المنزل الفلاني، فقالت بأبي أنت وأمي لست أعرفك، قال: فإن لم تعرفيني فأنا أعرفك، فأمر غلامه فاشترى لها من غنم الصدقة ألف شاة وأعطاه ألف دينار، وبعث بها مع غلامه إلى أخيه الحسين فلما دخل بها الغلام على أخيه الحسين عرفها وقال: بكم وصلها أخي الحسن؟ فأخبره بذلك فأمر لها بمثل ذلك، ثم بعث بها مع الغلام إلى عبد الله بن جعفر فلما دخلت عليه عرفها، وأخبره الغلام بما فعل معها الحسن والحسين ﷺ فقال: والله لو بدأت بي لأتعبتهما، وأمر لها بألفي شاة وألفي دينار، فرجعت وهي من أغنى الناس. وعن الحسن بن سعد عن أبيه قال: متع الحسن امرأتين من نسائه بعد طلاقهما بعشرين ألفاً وزقين من عسل، فقالت إحداهما وأراها الحنفية: متاع قليل من حبيب مفارق. انتهى من الفصول المهمة. (وأخرج) ابن سعد عن علي أنه قال: يا أهل الكوفة لا تزوجوا الحسن فإنه رجل مطلق، فقال رجل من همدان: لنزوجه فما رَضِيَ أَمْسَكَ وما كَرِهَ طَلَّق. وكان لا يفارق امرأة إلا وهي تحبه، وأحصن تسعين امرأة.

(تنبيهان): الأول قيل للحسن: لأي شيء نراك لا ترد سائلاً وإن كنت على فاقه، فقال: إني لله سائل وفيه راغب وأنا أستحي أن أكون

⁽⁹⁴⁾ البعر: جمع بَعْرَة، وهو ما يخرج من بطون الغنم والإبل.

⁽⁹⁵⁾ المَكْتَل: قفة من ورق النخل يحمل فيها التمر ونحوه.

سائلا وأرد سائلا، وإن الله تعالى عودني عادةً عودني أن يفيض نعمه عليّ وعودته أن أفيض نعمه على الناس فأخشى إن قطعت العادة أن يمنعي العادة وأنشأ يقول:

إذا ما أتاني سائلٌ قلتُ مرحبًا بمن فضله فرض عليّ مُعَجَّلٌ
ومن فضله فضلٌ عليّ كلِّ فاضِلٍ وأفضلُ أيامِ الفتى حين يُسألُ
(الثاني) كان يومًا جالسًا فأتاه رجل وسأله أن يعطيه شيئًا من الصدقة، ولم يكن عنده ما يسد به رمقه فاستحيا أن يرده فقال: ألا أدلك على شيء يحصل لك منه البر، فقال ماذا تدلني عليه، فقال: اذهب إلى الخليفة فإن ابنته توفيت وانقطع عليها وما سمع من أحد تعزية فعزّه بهذه التعزية يحصل لك بها الخير، فقال حفّظني إياها، قال: قل له الحمد لله الذي سترها بجلوسك على قبرها ولا هتكها بجلوسها على قبرك، فذهب إلى الخليفة وعزّاه بهذه التعزية فسمعها فذهب عنه الحزن فأمر له بجائزة وقال بالله عليك أكلامك هذا؟ قال: لا بل كلام فلان، قال: صدقت فإنه معدن الكلام الفصيح، وأمر له بجائزة أخرى. كذا في الكنز المدفون.

(فائدة) عن الحسن كان عطاؤه مائة ألف، فحبسها عنه معاوية في بعض السنين فحصل له ضيق شديد، قال الحسن: فدعوت بدواة لأكتب إلى معاوية لأذكره نفسي، ثم أمسكت فرأيت رسول الله في المنام فقال: كيف أنت يا حسن، فقلت بخير يا أبت وشكوت إليه تأخر المال عني، قال أدعوت بدواة لتكتب إلى مخلوق مثلك تذكره؟ فقلت نعم يا رسول الله فكيف أصنع، قال قل: «اللهم اقذف في قلبي رجاءك واقطع رجائي عمن سواك حتى لا أرجو أحدًا غيرك، اللهم

ما ضعفت عنه قوتي وقصر عنه عملي ولم تنته إليه رغبتى ولم تبلغه مسألتى ولم يجزِ على لساني مما أعطيت أحداً من الأولين والآخرين من اليقين فخصني به يا أرحم الراحمين»، قال: فوالله ما ألححتُ به أسبوعاً حتى بعث إليَّ معاوية بألف ألف وخمسمائة ألف، فقلت: «الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يخيب من دعاه»، فرأيت النبي فقال: يا حسن كيف أنت، فقلت بخير يا رسول الله وحدثته بحديثي، فقال: يا بني هكذا من رجا الخالق ولم يرج المخلوق. أوردتها الأجهوري في مشارق الأنوار. (ومروياته) من الأحاديث ثلاثة عشر حديثاً. كذا في المسامرات. (وكاتبه) عبد الله بن أبي رافع. (تتمة في مرض موته ووفاته وأولاده) قال أبو علي الفضل بن الحسن الطبري في كتابه إعلام الوری: بعد أن تم الصلح بين الحسن ومعاوية وخرج الحسن إلى المدينة أقام بها عشر سنين، وسقته زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي السَّم فبقي مريضاً أربعين يوماً، وكان قد سألها يزيد في ذلك وبذل لها مائة ألف درهم وأن يتزوجها بعد الحسن ففعلت، ولما مات الحسن بعثت إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها فقال: إننا لن نرضاك للحسن أفرضاك لأنفسنا. قال الحافظ أبو نعيم في حليته: لما اشتد الأمر بالحسن قال: «أخرجوا فراشي إلى صحن الدار لعلِّي أفكر في ملكوت السماوات»، يعني الآيات، فلما خرجوا به قال: «اللهم إني أحتسب نفسي عندك فإنها أعز الأنفس عليّ». وعن عمرو بن إسحاق قال: دخلت على الحسن أنا ورجل نعوذه، فقال: يا فلان سلني، فقال له والله لا أسألك حتى يعافيك الله وأسألك، قال: «لقد أَلْقَيْتُ طَائِفَةً مِنْ كِبْدِي وَإِنِّي سُقِيتُ السَّم

مرارًا فلم أُسَقَّهُ مثل هذه المرة»، ثم دخلتُ عليه من الغد فوجدت أخاه الحسين عند رأسه فقال له الحسين: مَنْ تتهم يا أخي؟ قل لَمْ لأن تقتله؟ قال: نعم، قال: «إن يكن الذي أظنه فالله أشد بأسًا وأشد تنكيلًا وإن لم يكن هو فما أحب أن يقتل بي بريء». (وروي) أنه لما حضرته الوفاة قال لأخيه الحسين: «يا أخي قد حضرت وفاتي وحان فراقِي لك وإنِّي لاحق بربي وأجد كبدي تقطع وإنِّي لعارف من أين ذهبت وأنا أخاصمه إلى الله تعالى»، ثم توفي لخمسٍ خَلَوْنَ من شهر ربيع الأول سنة خمسين، وقيل تسع وأربعين، وقيل غير ذلك من الهجرة، وصلى عليه سعيد بن العاص فإنه كان واليًا يومئذ بالمدينة من جهة معاوية، ودُفِن بالبقيع عند جدته فاطمة بنت أسد، وكان عمره إذ ذاك سبعمائة وأربعين سنة، وكانت مدة خلافته منها ستة أشهر وخمسة أيام. (وأما أولاده) فقال ابن الخشاب أحد عشر ابنًا وبنت واحدة، وهم: عبد الله والقاسم والحسن وزيد وعمر وعبد الله وعبد الرحمن وأحمد وإسماعيل والحسين وعقيل، والبنت اسمها فاطمة وكُنيتها أم الحسن، وهي أم محمد الباقر بن علي. (وقال) الشيخ أبو عبد الله محمد بن النعمان في الإرشاد: أولاد الحسن بن علي عليه السلام خمسة عشر ولدًا ما بين ذكر وأنثى، وهم: زيد وأخته أم الحسن وأم الحسين أمهم أم بشر بنت أبي مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجية، والحسن وأمه خولة بنت منصور الفزارية، وعمر وأخوه القاسم وعبد الله أمهم أم ولد واستشهدوا ثلاثتهم بين يدي عمهم الحسين بن علي بطف كربلاء، وعبد الرحمن أمه أم ولد، والحسين الملقب بالأشرم وأخوه طلحة وأختهما فاطمة أمهم أم إسحاق بنت

طلحة بن عبد الله، وأم عبد الله وفاطمة وأم سلمة ورقية بنات الحسن
لأمهات أولاد شتّى. قال الشيخ كمال الدين بن طلحة: لم يكن لأحد
من أولاد الحسن عقب غير اثنين وهما الحسن وزيد.

تذييل في الكلام على مناقب زيد والحسن ولدي الحسن ﷺ: أما
زيد فإنه كان يلي صدقات رسول الله، وكان جليل القدر كريم الطبع
طيب النفس كثير البر، وكان مُسنّاً ومدحّه الشعراء وقصده الناس من
الآفاق لطلب برّه، وكان يُلقب بالأبلج وهو جد السيدة نفيسة بنت
السيد حسن الأنور. وذكر أصحاب السير أنه لما ولي سليمان بن عبد
الملك كتب إلى عامله بالمدينة: أما بعد إذا جاءك كتابي هذا فاعزل
زيد بن الحسن عن صدقات رسول الله وادفعها إلى رجل من قومه
سماه، فلما أفضت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله
بالمدينة: أما بعد فإن زيد بن الحسن شريف بني هاشم وذو سهم
فإذا جاءك كتابي هذا فاردّد إليه صدقات رسول الله وأعنه على ما
استعانك عليه. وكانت الصدقة أولاً بعد النبي بيد عليّ والعباس، قال
معمر: فغلب عليها عليّ فكانت بيده ثم بيد ابنه الحسن ثم الحسين
ثم علي ابنه ثم الحسن بن الحسن ثم زيد بن الحسن ثم عبد الله بن
الحسن ثم وليها بنو العباس. انتهى. وفي زيد بن الحسن يقول محمد
بن بشر الخارجي:

وزيدُ ربيعِ النَّاسِ في كُلِّ شتَوَةٍ إِذَا اخْتَلَفَتْ أَرْاقُهَا ورُعودُها
حمولٌ لأشتاتِ الدِّيَاتِ كأنه سِرَاجُ الدُّجَى قد قارَنَتْها سَعُودُها
مات زيد سنة عشرين ومائة وله تسعون سنة. ورثاه جماعة من

الشعراء، فممن رثاه قدامة بن موسى الجمحي بقوله:

فَإِنْ يَكُ زَيْدٌ غَالَتِ الْأَرْضُ شَخْصَهُ فَقَدْ كَانَ مَعْرُوفٌ هُنَاكَ وَجُودُ
وَأِنْ يَكُ أَمْسَى رَهْنٌ فَقَدْ ثَوَى بِهِ وَهُوَ مَحْمُودُ الْفِعَالِ حَمِيدُ
سَرِيعٌ إِلَى الْمُضْطَرِّ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَطْلُبُهُ الْمَعْرُوفُ ثُمَّ يَعُودُ
وَلَيْسَ بِقَوَالٍ وَقَدْ حَطَّ رَحْلُهُ لَمَلْتَمَسِ يَرْجُوهُ أَيْنَ تَرِيدُ
إِذَا قَصَرَ الْوَعْدَ الدُّنْيَى سَمَاءُ بِهِ إِلَى الْمَجْدِ آبَاءُ لَهُ وَجُدُودُ
إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ سَيِّدٌ كَرِيمٌ فَيَنْبِي مَجْدَهُمْ وَيَشِيدُ
قَالَ صَاحِبُ الْفُصُولِ: مَاتَ زَيْدٌ وَلَمْ يَدَّعِ الْإِمَامَةَ وَلَا ادَّعَاهَا لَهُ
مُدَّعٍ مِنَ الشَّيْعَةِ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ؛ قَالَ وَذَلِكَ لِأَنَّ الشَّيْعَةَ رَجُلَانِ إِمَامِي
وَزَيْدِي، فَالْإِمَامِي يَعْتَمِدُ فِي الْإِمَامَةِ النَّصُوصَ وَهِيَ مَعْدُومَةٌ فِي وَلَدِ
الْحَسَنِ بِاتِّفَاقٍ وَلَمْ يَدَّعِ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِنَفْسِهِ فَيَقَعُ فِيهِ الْارْتِيَابُ،
وَالزَّيْدِيُّ يَرَاعِي فِي الْإِمَامَةِ بَعْدَ عَلِيِّ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ الدَّعْوَةَ
وَالْاجْتِهَادَ، وَزَيْدُ بْنُ الْحَسَنِ هَذَا كَانَ مَسَالِمًا لِبَنِي أُمِيَّةٍ وَمُتَقَلِّدًا
الْأَعْمَالِ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانَ رَأْيُهُ التَّبَعِيَّةُ لِأَعْدَائِهِ وَالتَّأْلِيفُ لَهُمْ وَالْمُدَارَاةُ،
وَهَذَا أَيْضًا عِنْدَ الزَّيْدِيَّةِ خَارِجٌ عَنْ عَلَامَاتِ الْإِمَامَةِ وَزَيْدٌ خَارِجٌ عَنْهَا
بِكُلِّ، انْتَهَى. (وَأَمَّا) الْحَسَنُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَلْقَبُ بِالْمُثَنَّى فَكَانَ جَلِيلًا
مَهِيْبًا فَاضِلًا رَئِيسًا وَرِعًا زَاهِدًا، وَكَانَ يَلِي صَدَقَاتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَنَّهُ سَايَرَ الْحِجَااجَ يَوْمًا بِالْمَدِينَةِ وَالْحِجَااجَ إِذْ ذَاكَ
أَمِيرٌ بِهَا، فَقَالَ لَهُ الْحِجَااجُ: يَا حَسَنُ ادْخُلْ مَعَكَ عَمَكَ فِي النَّظَرِ عَلَى
صَدَقَاتِ أَبِيهِ فَإِنَّهُ عَمَكَ وَبَقِيَّةُ أَهْلِكَ، فَقَالَ الْحَسَنُ: لَا أُغِيرُ شَرَطًا
اشْتَرَطَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَلَا ادْخُلْ فِي صَدَقَاتِهِ مَنْ
لَمْ يُدْخِلْهُ، فَقَالَ لَهُ الْحِجَااجُ أَنَا ادْخُلْهُ مَعَكَ قَهْرًا، فَأَمْسَكَ الْحَسَنُ عَنْهُ
ثُمَّ مَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ فَارَقَهُ وَتَوَجَّهَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الشَّامِ قَاصِدًا عَبْدَ

الملك بن مروان، فلما أتى الشام وقف بباب عبد الملك يطلب الإذن عليه فوافاه يحيى ابن أم الحكم وهو على الباب فسلم عليه وقال ما جاء بك، فأخبره بخبره فقال له أسبقك بالدخول على عبد الملك ثم ادخل أنت فتكلم واذكر قصتك فترى ما أفعل معك وأنصفك عنده إن شاء الله تعالى، فدخل يحيى ودخل بعده الحسن فلما نظره عبد الملك رحّب به وأحسن مسأله وكان الحسن قد أسرع إليه الشيب، فقال له عبد الملك قد أسرع إليك الشيب يا أبا محمد، فقال يحيى وما يمنعه عن ذلك يا أمير المؤمنين، شيبته أمانى أهل العراق يفد عليه الركب بعد الركب في كل سنة يمنونه الخلافة، فقال الحسن: بئس والله الرفد رفدت وليس الأمر كما قلت ولكننا أهل البيت يُسرّع إلينا الشيب، وعبد الملك يسمع كلامه، فأقبل عبد الملك على الحسن وقال لا عليك هلمّ حاجتك يا أبا عبد الله، فأخبره بقول الحجاج، فقال عبد الملك ليس ذلك له وكتب له للحجاج كتاباً يتهده فيه، ووصله بأحسن صلة وجهّزه وهو راجع إلى المدينة، وبعد أن خرج الحسن من عنده قصده يحيى إلى منزله فقال كيف رأيت ما فعلت معك، فقال: والله إني عاتب عليك فيما قلت، فقال إنها لك والله ما آلو بك نفعاً ولا أدّخرت عنك جهداً ولو لا كلمتي هذه ما هابك ولا قضى لك حاجة فاعرف لي ذلك.

(وفي الفصول المهمة والأغاني) يُروى أن الحسن بن الحسن خطب إلى عمه الحسين إحدى بنتيه فاطمة وسكينة، فقال: «اختر يا بني أحبهما إليك»، فاستحى الحسن ولم يرد جواباً، فقال له عمه الحسين: «قد اخترت لك ابنتي فاطمة فهي أكثر شبهاً بأمي فاطمة

بنت رسول الله، فزوّجها منه وحضر الحسن بن الحسن مع عمه الحسين بطف كربلاء، فلما قُتل الحسين وأُسر الباقر من أهله أُسر الحسن في جملتهم فجاء أسماء بن خارجة فانتزع الحسن من بين الأسرى وقال والله لا يوصل إلى ابن خولة أبداً. (مات) الحسن بن الحسن سنة سبع وتسعين وله خمس وثمانون سنة وأخوه زيد حي، وأوصى إلى أخيه من أمه إبراهيم بن محمد بن طلحة. (وضربت زوجته) فاطمة بنت الحسين عمّه على قبره فسطاطاً وكانت تقوم الليل وتصوم النهار وكانت تشبه بالحدود العين لجمالها، فلما كانت رأس السنة قالت لمواليها: إذا أظلم الليل فقوضوا هذا الفسطاط، فلما أظلم الليل وقوضوه سمعت قائلاً يقول: هل وجدوا ما فقدوا؟ فأجابه آخر: بل يؤسوا فانقلبوا، انتهى.

وأعقب الحسن بن الحسن خمسة رجال: عبد الله المحض وإبراهيم القمر والحسن المثلث وأمهم فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وداود وجعفر وأمهما أم ولد تُدعى حبيبة، كذا في بحر الأنساب.

فصل في ذكر مناقب سيدنا الحسين السبط بن الإمام علي بن أبي طالب ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ

(ولد) سيدنا الحسين بالمدينة لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة، وكانت أمه علقت به بعد أن ولدت أخاه الحسن بخمسين ليلة، وهكذا صح النقل في ذلك. (وَحَنَكَهُ) ﷺ بريقه وأذن في أذنه وتفل في فمه ودعا له، وسمّاه حسيناً يوم السابع وعق عنه بكبش وقال لأمه: «احلقي رأسه وتصدقي بزنة شعره فضة كما فعلت بأخيه الحسن». (وكنيته) أبو عبد الله لا غير (واللقابه) الرشيد والطيب والزكي والوفي والسيد والمبارك والتابع لمرضاة الله والسبط، وأشهرها الزكي، وأعلاها رتبة ما لقّبه ﷺ في قوله عنه وعن أخيه «إنهما سيّدا شباب أهل الجنة»، وكذلك السبط فإنه صح عن رسول الله أنه قال: «حسين سبطٌ من الأسباط»، (وكان) الحسين أشبه الخلق بالنبي من سرّته إلى كعبه. (وشاعره) يحيى بن الحكم وجماعة غيره. (وبوابه) أسعد الهجري. (ونقش) خاتمه: لكل أجل كتاب. (ومعاصره) يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد. (ومروياته) من الأحاديث ثمانية.

(وهذه نبذة من الأحاديث الواردة في حقه): أخرج الحاكم وصححه عن يعلى العامري أن النبي ﷺ قال: «حُسينٌ منّي وأنا من حُسين اللهم أَحِبَّ مَنْ أَحَبَّ حسيناً، حسينٌ سبطٌ من الأسباط». وروى ابن حبان وابن سعد وأبو يعلى وابن عساكر عن جابر بن

عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظَرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» وفي لفظ «إِلَى سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ». وروى خيثمة بن سليمان عن أبي هريرة: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: أَيْنَ لُكْعُ، فَجَاءَ الْحُسَيْنُ يَمْشِي حَتَّى سَقَطَ فِي حَجَرِهِ فَجَعَلَ أَصَابِعُهُ فِي لَحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَفَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَهْ، أَيِ الْحُسَيْنِ، فَأَدْخَلَ فَاهُ فِيهِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْبَبُهُ فَأَحِبَّهُ وَأَحَبَّ مَنْ يُحِبُّهُ». وَرَوَى أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الضَّحَّاكِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَمْتَصُّ لَعَابَ الْحُسَيْنِ كَمَا يَمْتَصُّ الرَّجُلُ الثَّمَرَةَ». وَرَوَى عَنْ جَعْفَرِ الصَّادِقِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: اصْطَرَعَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيهَا حَسَنُ» فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَسْتَنْهَضُ الْكَبِيرَ عَلَى الصَّغِيرِ، فَقَالَ ﷺ: «هَذَا جَبْرِيلُ يَقُولُ: «إِيهَا حُسَيْنُ خُذِ الْحَسَنَ». وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي زِيَادَةَ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْتِ عَائِشَةَ فَمَرَّ عَلَى بَيْتِ فَاطِمَةَ فَسَمِعَ حُسَيْنًا يَبْكِي فَقَالَ: «أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ بَكَاءَهُ يُؤْذِنِي». وَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَامِلًا الْحُسَيْنَ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ عَلَى عَاتِقِهِ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْبَبُهُ فَأَحِبَّهُ». وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ يَرْفَعُهُ إِلَى ابْنِ عَمْرٍو أَنَّهُ سَأَلَ رَجُلًا عَنْ دَمِ الْبَعُوضَةِ فَقَالَ: لَهُ مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا يَسْأَلُنِي عَنْ دَمِ الْبَعُوضَةِ وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: هُمَا رِيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا. وَرَوَتْ أُمُّ الْفَضْلِ بْنُ الْعَبَّاسِ قَالَتْ: «دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ حَلْمًا مَنَكْرًا، قَالَ: وَمَا هُوَ، قَالَتْ: رَأَيْتُ كَأَنَّ قِطْعَةً مِنْ جَسَدِكَ قَطَعَتْ

فوضعت في حجرى، فقال رسول الله ﷺ: خيراً رأيت تلد فاطمة غُلاماً يكون في حجرى، فولدت فاطمة الحسين، قالت: فكان في حجرى كما قال رسول الله ﷺ، فدخلتُ به عليه فوضعتُه في حجره، ثم حانت به مني التفاتة فإذا عينا رسول الله ﷺ تدمعان، فقلت بأبى وأمى يا رسول الله ما يبكيك، قال: جاء جبريل فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا وأتاني بترية من تربة حمراء». وَرَوَى البغوي بسنده يرفعه إلى أم سلمة أنها قالت: «كان جبريل عند النبي ﷺ والحسين معي فغفلت عنه، فذهب إلى النبي ﷺ فأخذه النبي ﷺ وجعله على فخذه فقال له جبريل: أتجبه يا محمد، قال: نعم، قال: إن أمتك ستقتله وإن شئت لأريتكَ تربة الأرض التي يقتل بها ثم بسط جناحه إلى الأرض وأراه أرضاً يقال لها كربلاء تربة حمراء بطف العراق.

(تنبيه) الطَّفُّ بفتح الطاء المهملة المشددة وبالفاء المشددة، موضع خارج الكوفة وجمعه طفوف، وهو ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق والجانب والشاطئ، وفي مجمع البحرين: الطف ساحل البحر وجانب البر، ومنه الطف الذي استشهد فيه الحسين، سُمي به، لأنه طرف البر مما يلي الفرات اهـ. وَرَوَى الحافظ عبد العزيز الجنابي في كتابه معالم العترة الطاهرة مرفوعاً إلى الأصبع بن نباتة عن علي بن أبي طالب قال: «أتينا مع علي في سفرة فمررنا بأرض كربلاء فقال علي: ها هنا مناخُ رِكابهم وموضعُ رِحالهم ومهراق دمائهم، فئَةٌ من أمة محمد ﷺ يقتلون في هذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض».

فصل في خروجه إلى العراق واستشهاده

قال أبو عمرو: لما مات معاوية في غرة رجب سنة ستين، وأفضت الخلافة إلى يزيد، ووردت بيعته على الوليد بن عتبة بالمدينة ليأخذ البيعة على أهلها، أرسل إلى الحسين بن علي وإلى عبد الله بن الزبير ليلاً وأتى بهما فقال: بايعا فقالا: «مِثْلُنَا لَا يُبَايِعُ سِرًّا وَلَكِنَّا نُبَايِعُ عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ إِذَا أَصْبَحْنَا»، فرجعا إلى بيوتهما وخرجا من ليلتهما إلى مكة وذلك ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب، فأقام الحسين بمكة شعبان ورمضان وشوالاً وذا القعدة، وخرج يوم التروية يريد الكوفة نقله ابن عبد البر.

وفي الفصول المهمة: ولما بلغ أهل الكوفة موت معاوية وامتناع الحسين وابن عمر وابن الزبير عليهم السلام من البيعة وأن الحسين سار إلى مكة ونزل بها، اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد بالكوفة وتذكروا أمر الحسين وسيره إلى مكة وقالوا نكتب له كتابا يأتينا الكوفة، فكتبوا له كتاباً وأرسلوه مع القاصدين، وصورته: بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن علي أمير المؤمنين من شيعته وشيعة أبيه، أما بعد فإن الناس منتظرونك لا رأي لهم في غيرك فالعجل العجل يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله لعل الله أن يجمعنا بك على الحق ويؤيد الإسلام بك بعد أجزل السلام وأتمه عليك ورحمة الله وبركاته، فكتب إليهم الحسين: «أما بعد فقد وصلني كتابكم وفهمت ما اقتضته آراؤكم وقد بعثت إليكم أخي وثقتي وابن عمي مسلم بن عقيل وسأقدم عليكم إثره

إن شاء الله تعالى»، وأرسل مسلم بن عقيل إليهم صحنبة قاصديهم،
 فلما وصل إليهم مسلم ودخل الكوفة اجتمعت عليه الشيعة وأخذ
 عليهم البيعة للحسين، فبلغ ذلك والي الكوفة يومئذ وهو النعمان بن
 بشير فكتب فيه إلى يزيد بن معاوية، فجهز يزيد على الفور عبيد الله
 بن زياد إلى الكوفة، ولما قرب منها عبيد الله بن زياد تنكر ودخلها
 ليلاً وأوهم أنه الحسين ودخلها من جهة البادية في زي أهل الحجاز،
 فصار كلما اجتاز بجماعة قاموا له وهم يظنون أنه الحسين ويقولون
 مرحبا بابن رسول الله ﷺ قَدِمْتَ خير مقدم وهو لا يكلمهم، ولما
 رأى تباشرهم بالحسين ساء ذلك وانكشفت له أحوالهم، ثم إنه
 قصد قصر الإمارة يريد الدخول فيه فوجد النعمان بن بشير وأصحابه
 أغلقوه عليهم وذلك لظن النعمان بن بشير أن ابن زياد هو الحسين،
 فصاح عليهم عبيد الله بن زياد افتحوا لا بارك الله فيكم ولا كثر من
 أمثالكم، فعرفوا صوته وقالوا: ابن مرجانة، فنزلوا وفتحوا له فدخل
 القصر وبات فيه، ولما أصبح جمع الناس فصال وجال وقال وأطال
 وقتل جماعة من أهل الكوفة وتَحَيَّلَ بعد ذلك حتى ظفر بمسلم بن
 عقيل فقبض عليه وقتله، ولم يقم الحسين بعد مسير ابن عمه مسلم
 بمكة إلا قليلاً حتى تجهز للمسير في أثره، فخرج ومعه جميع أهله
 وولده وخاصته وحاشيته ومن يليه، فأتاه عمر بن الحارث بن هشام
 المخزومي فقال له: إني جئت لك حاجة أريد ذكرها نصيحة لك فإن
 كنت ترى أنني ناصح قُلتها لك وأدَّيت ما يجب علي من الحق فيها،
 وإن ظننت أنني غير ناصح كففت عما أريد أن أقوله لك، فقال قُلْ،
 فقال له: «قد بلغني أنك تريد العراق وإني مُشفقٌ عليك أن تأتيَ بلدًا

فيها عمّال يزيد وأمرأؤه ومعهم بيوت الأموال، وإنما الناس عبيدُ
 الدرهم والدينار فلا آمنُ عليك من أن يقاتلك من وعدك نصره ومن
 أنت أحبُّ إليه ممن يُقاتلك معه له وذلك عند البذل وطمع الدنيا»،
 فقال له الحسين: «جزاك الله خيراً من ناصح، لقد مَشَيْتَ يا ابنَ عمِّ
 بنُصْحٍ وتكلّمتَ بعقل ولم تنطق عن الهوى، ولكن مهما يُقْضَ من
 أمرٍ يَكُنْ أَخَذْتُ برأيك أم تَرَكْتُ، مع أنك عندي أَحْمَدُ مُشِيرٍ وَأَعَزُّ
 ناصح»، ثم جاءه بعد ذلك عبد الله بن عباس رضي الله عنه وجماعة من ذوي
 الحكمة والتجربة والمعرفة بالأُمور فقالوا له: «إن الناس قد أَرَجَفُوا
 بأنك سائر إلى العراق فهل عَزَمْتَ على شيء من ذلك»، فقال:
 «نعم إني قد أَجْمَعْتُ على المسير في أحدِ يَوْمَيَّ هذين إلى الكوفة
 أريد اللّٰهَ بآبِنِ عَمِي مُسَلِّمٍ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالَى»، فقال ابن عباس
 ومن معه: «نَعِيدُكَ بِاللّٰهِ مِنْ ذَلِكَ أَخْبَرْنَا أُتْسِيرَ إِلَى قَوْمٍ قَتَلُوا أَمِيرَهُمْ
 وَضَبَطُوا بِلَادَهُمْ وَنَفَوْا عَدُوَّهُمْ فَإِنْ كَانُوا قَدْ فَعَلُوا فِسْرَ إِلَيْهِمْ، وَإِنْ
 كَانُوا قَدْ دَعَوْكَ وَأَمِيرَهُمْ قَائِمٌ لَهُمْ قَاهِرٌ لَهُمْ يَجْبِي بِلَادَهُمْ وَيَأْخُذُ
 خَرَاجَهُمْ فَإِنَّمَا دَعَوْكَ إِلَى الْحَرْبِ وَلَا آمَنُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْ يَغْرُوكَ
 وَيَكْذِبُوكَ وَيَخْذُلُوكَ وَلَمْ يَسْتَنْفِرُوا إِلَيْكَ فَيَكُونُوا أَشَدَّ النَّاسِ عَلَيْكَ»،
 فقال الحسين: «إني أَسْتَخِيرُ اللّٰهَ تَعَالَى ثُمَّ أَنْظُرُ مَاذَا يَكُونُ»، فخرج
 ابن عباس ومن معه، ثم إنه ورد على الحسين كتاب من المدينة من
 عبد الله بن جعفر مع ولديه عون ومحمد، ومن سعيد بن العاص،
 ومن جماعة من أهل المدينة وكلّ منهم يُشِيرُ عليه بعدم التوجه إلى
 العراق؛ هذا كله والقضاء غالب، فلم يكثرث بما قيل له ليقضي الله
 أمراً كان مفعولاً، وجاءه ابن الزبير فجلس عنده ساعة يتحدث ثم قال

له: «أخبرني ما تريد أن تصنع بلغني أنك سائر إلى العراق»، فقال له الحسين: «نعم نفسي تحدثني بإتيان الكوفة وذلك أن جماعة من شيعتنا وأشرف الناس كتبوا إليّ كتابًا يستحثوني على المسير إليهم ويعدونني النصر والقيام معي بأنفسهم وأموالهم ووعدتهم الوصول إليهم وأنا أستخير الله تعالى»، فقال له ابن الزبير: «أما إنه لو كان لي بها شيعة مثل شيعتك ما عدلت عنهم» ثم خشي أن يتهمه فقال: «وإن رأيت أن تقيم هنا بالحجاز وتريد هذا الأمر قمنا معك وبايعناك وساعدناك ونصحنا لك»، فقال له الحسين: «إن أبي حدثني أن بها كَبْشًا بِهِ تُسْتَحَلُّ حُرْمَتُهَا فما أحبُّ أن أكون ذلك الكبش، والله لأن أُقْتَلَ خارجًا من مكة بشبر أحبَّ إليّ من أن أُقْتَلَ بداخلها»، فقام ابن الزبير من عنده، فقال الحسين لجماعة كانوا عنده من خواصه: «إن هذا الرجل يعني ابن الزبير ليس شيء أحبَّ إليه من أن أخرج من الحجاز، وقد علم أن الناس لا يَعْدِلُونَهُ بي ما دمتُ فيه فودَّ أني خرجتُ منه ليخلو به، ولما كان الغد جاءه عبد الله بن عباس رضي الله عنه ثانيًا وقال: «يا ابن عم إني أتصبر ولا أصبر إني أتخوفُ عليك من هذا الوجه الهلاك والاستئصال، إن أهل العراق أهل غدر فلا تأمنهم وأقم بهذا البيت الشريف فإنك سيد أهل الحجاز، وإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم ينفوا عاملهم ويخرجوه عنهم ثم تقدّم عليهم، وإن رأيتَ فسِرْ إلى اليمن فإن فيها حصونًا وشعوبًا وهي أرضٌ طويلةٌ عريضةٌ ولأبيك بها شيعة كثيرة وتكون بها معتزلاً فتكتب إلى الناس ويكتبون إليك، وإني أرجو أن يأتيك عند ذلك الفرج بالذي تريد»، فقال له الحسين: «يا ابن عم إني أعلم أنك ناصح

مُشْفَقٌ ولكن قد أزمعتُ وأجمعتُ على المسير إلى هذا الوجه»، فقال له ابن عباس رضي الله عنه: «إِنْ كُنْتَ سَائِرًا وَلَا بَدَ فَلَائِسَ بِنِسَائِكَ وَصَبِيَّتِكَ»، قال: «وَلَا أَتْرَكُهُمْ خَلْفِي»، فقال له ابن عباس: «وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمْتُ أَنِّي إِنْ أَخَذْتُ بِنَاصِيَّتِكَ وَأَخَذْتُ بِنَاصِيَّتِي حَتَّى تَجْتَمَعَ عَلَيْنَا النَّاسُ، أَطَعْتَنِي وَأَقَمْتَ لَفَعَلْتُ»، ثم خرج عنه ابن عباس وهو يقول: «لَقَدْ أَقَرَّرْتُ عَيْنَ ابْنِ الزَّبِيرِ بِمَخْرَجِكَ مِنَ الْحِجَازِ، وَعِنْدَ خُرُوجِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنَ عِنْدِ الْحُسَيْنِ صَادَفَهُ ابْنُ الزَّبِيرِ فَقَالَ: مَا وَرَاءَكَ يَا ابْنَ عَمٍّ، قَالَ: مَا يَقَرُّ عَيْنَكَ هَذَا الْحُسَيْنُ يَخْرُجُ إِلَى الْعِرَاقِ وَيَخْلُيكَ وَالْحِجَازَ، ثُمَّ وَلَّى وَهُوَ يَنْشُدُ:

يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ خَلَا لَكَ الْجَوْ فَيُضِي وَاصْفِرِي
وَقَرِّي مَا شِئْتَ أَنْ تُتْقِرِي لَا بُدَّ مِنْ أَخَذِكَ يَوْمًا فَاصْبِرِي

فخرج الحسين من مكة يوم الثلاثاء، وهو يوم التروية الثامن من ذي الحجة سنة ستين، ومعه اثنان وثمانون رجلاً من أهل بيته وشيعته ومواليه ولم يزل سائراً، فلما كان بالصفاح لقيه الفرزدق الشاعر فنزل وسلم على الحسين وقال له: أعطاك الله سُؤْلَكَ وَبَلَّغَكَ مَأْمُولَكَ فِي جَمِيعٍ مَا تَحِبُّ، فقال له الحسين: من أين أقبلت يا أبا فراس؟ فقال: من الكوفة، فقال له: «بَيْنَ لِي خَيْرُ النَّاسِ»، فقال: «أَجَلٌ عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطَتْ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قُلُوبُ النَّاسِ مَعَكَ وَسَيُفْهَمُ مَعَ بَنِي أُمِيَّةٍ، وَالْقَضَاءُ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَرَبَّنَا كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ»، فقال الحسين: «صَدَقْتَ الْأَمْرُ لِلَّهِ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي شَأْنٍ»، ثم فارقه الحسين وسار حتى انتهى إلى ماءٍ قريب من الحاجر فإذا هو بعبد الله بن مطيع نازل على الماء، فتلاقى

هو وإياه فتسالما واعتنقا وقال له: «ما جاء بك يا ابن رسول الله ﷺ»، قال له: «أقصد الكوفة»، فقال له: «ألم أتقدم إليك بالقول ألم أنهك عن المسير إلى هذا الوجه، اذكر الله تعالى في حرمة الإسلام أن تنتهك، أنشدك الله تعالى في حرمة قريش وذمة العرب، والله لئن طلبت ما في يدي بني أمية لَيَقْتُلَنَّكَ ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً، والله إنها لحرمة الإسلام وحرمة قريش وحرمة العرب، فالله لا تفعل ولا تأت الكوفة ولا تُعَرِّض نفسك لبني أمية»، فأبى أن يمضي إلا في جهته، ثم ارتحل من الماء وسار إلى أن أتى التلغية، فلما نزلها أتاه خبر قتل ابن عمه مسلم بن عقيل بالكوفة، فقال له بعض أصحابه: «نشذك بالله أن ترجع عن مقصدك فإنه ليس لك بالكوفة من ناصر وإنا نتخوَّف أن يكونوا عليك لا لك»، فوثب بنو عقيل وقالوا: «والله لا نرجع حتى نأخذ بثأرنا أو نذوق كما ذاق مسلم»، فقال لهم الحسين: «لا خير لي في الحياة بعدكم»، ثم ارتحلوا حتى انتهوا إلى زُبَّالَةَ، وكان الحسين لا يمر بماء من مياه العرب ولا بحَيٍّ من أحيائها إلا صَحِبَهُ أَهْلُهُ وَتَبِعُوهُ، فلما كان بزُبَّالَةَ أتاه خبر قتل أخيه من الرضاع عبد الله بن بُقْطَرٍ، وكان أرسله من الطريق إلى مسلم بن عقيل ليأتيه بخبره من الكوفة، فأخذته خيل بن زياد من القادسية وأخذوا كتبه وقتلوه، فلما بلغ الحسين ﷺ ذلك أيضاً قال: «حَدَّثَنَا شَيْعَتُنَا»، ثم قال: «أيها الناس مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْصَرِفَ فَلْيَنْصَرِفْ ليس عليه مِنَّا ذَمٌّ ولا لَوْمٌ»، فتفرق الأعراب عنه يميناً وشمالاً حتى بقي في أصحابه لا غير الذين خرج بهم من مكة، وإنما فعل ذلك؛ لأنه علم من الناس أنهم ظنوا أنه يأتي بلداً قد استقامت له وأطاعه أهلها فیتسلمها صفواً عفواً

من غير حربٍ ولا قتال، فأراد أن يعرفهم ما يقدمون عليه، ثم إنه سارَ حتى نزل بطن العقبة، فأتاه رجل من مشايخ العرب فقال له: «أنشدك الله تعالى إلا انصرفت فوالله ما تقدم إلا على الأسنة وحدّ السيوف، فإن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوكَ مَثُونَةَ القتالِ وَوَطَّئُوا لك الأمور وقدمتَ من غير حرب كان ذلك رأيًا، وأما على هذه الحالة التي نرى فلا أرى لك أن تفعل»، فقال له: «لا يَخْفَى عليَّ شيءٌ مما ذكرتهُ ولكني صابر محتسب حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا»، ثم ارتحل نحو الكوفة فلما كان بينه وبينها مسافة مرحلتين، وافاه إنسان يُقال له الحر بن يزيد الرياحي ومعه ألف فارس من أصحاب عبيد الله بن زياد شاكين السلاح، فقال للحسين: «إن عبيد الله أخرجني عِينًا عليك وقال إن ظفرت به لا تفارقه أو تجيء به، وأنا والله كاره أن يتليني الله بشيء من أمرك، غير أنني قد أخذت بيعة القوم»، فقال له الحسين عليه السلام: «إني لم أقدم هذا البلد حتى أَتَنِّي كتبُ أهلها وقدِمَتْ عليَّ رُسُلُهُم يطلبوني وأنتم من أهل الكوفة فإن دمت على بيعتكم وقولكم في كتبكم دخلتُ مصرَكم وإلا انصرفتُ من حيث أتيت»، فقال له الحر: «والله لم أعلم بشيء مما ذكرت ولا علم لي بالكتب ولا بالرسل، وأما أنا فما يمكنني الرجوع إلى الكوفة في وقتي هذا، وأما أنت فخذُ طريقك هذا واذهب إلى حيث شئت وأنا أكتبُ إلى ابن زياد أن الحسين خالفني الطريق ولم أظفر به، وأنشدك الله في نفسك وفيمن معك»، فسلك الحسين طريقًا غير الجادة راجعًا إلى الحجاز وسار هو وأصحابه ليلتهم فلما أصبحوا فإذا الحر بن يزيد في جيشه وهو معهم، فقال له الحسين: «كيف هذا ما جاء بك؟»، قال: سعى

بي إلى ابن زياد وعليّ عين من جهته، فجاءني كتاب من جهته وهو يؤنبني في أمرك تأنيباً كثيراً وقال تظفر بالحسين وتتركه، كن عيناً عليه ولا تفارقه إلى أن تأتيك الجيوش والعساكر، ولا بقي لي سبيل إلى مفارقتك، فنزل الحسين وحطّ بتلك الأرض التي أصبح بها وسأل عنها ف قيل له هذه كربلاء، وكان ذلك يوم الأربعاء الثامن من المحرم سنة إحدى وستين فقال: «هذه كربلاء موضع كرب وبلاء هذا مناخ ركابنا ومحط رحالنا ومقتل رجالنا»، وكتب الحر إلى ابن زياد يخبره بنزول الحسين بأرض كربلاء، فكتب عبيد الله بن زياد إلى الحسين كتاباً يقول فيه: أما بعد فإن يزيد بن معاوية كتب إليّ أن لا تغمض جفنك من المنام، ولا تشيع بطنك من الطعام، إما أن يرجع الحسين إلى حكمي أو تقتله والسلام، فلما ورد الكتاب على الحسين وقرأه ألقاه من يده وقال للرسول: «ما له عندي جواب»، فلما رجع الرسول إلى ابن زياد وأخبره بذلك اشتد غضبه وجمع الجموع وجهز إليه العساكر، وجعل مقدمتها عمر بن سعد وكان والياً بالري وأعمالها، واستعفى من خروجه إلى قتال الحسين وتقدّمه على العسكر، فقال له ابن زياد: إما أن تخرج له أو تخرج من عملنا، فخرج عمر بن سعد إلى الحسين وصار ابن زياد يمدّه بالجيوش شيئاً فشيئاً إلى أن اجتمع عند عمر بن سعد ألف مقاتل ما بين فارس وراجل، وأول من خرج مع عمر بن سعد الشمر بن ذي الجوشن في خيل كثيرة ثم ساروا جميعاً حتى نزلوا بشاطئ الفرات، فحالوا بين الحسين وبين الماء، فعند ذلك ضاق الأمر على الحسين وعلى أصحابه واشتد بهم العطش، وكان مع الحسين رجل من أهل الزهد والورع يُقال له يزيد

بن حصين الهمداني فقال للحسين: «اأذن لي يا ابن رسول الله ﷺ في أن آتي عمر بن سعد مقدم هؤلاء فأكلمه في الماء لعله أن يرتدع» فأذن، فجاء الهمداني إلى عمر بن سعد وكلمه في الماء، فامتنع ولم يُجبه إلى ذلك، فقال له: «هذا ماء الفرات يشرب منه الكلاب والدواب وتمنعه ابن بنت رسول الله ﷺ وأولاده وأهل بيته والعترة الطاهرة يموتون عطشاً وقد حلت بينهم وبين الماء وتزعم أنك تعرف الله ورسوله»، فأطرق عمر بن سعد ثم قال: يا أخا همدان إني لأعلم ما تقول وأنشأ يقول:

دَعَانِي عُبَيْدُ اللَّهِ مِنْ دُونِ قَوْمِهِ إِلَى خَصْلَةٍ فِيهَا خَرَجْتُ لِحِينِي
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَوَاقِفٌ عَلَى خَطَرٍ لَا أَرْضِيهِ وَمَيْنِ
أَأْخُذُ مَلِكَ الرَّيِّ وَالرَّيِّ بُغْيَتِي وَأَرْجِعُ مَطْلُوبًا بِدَمِ حُسَيْنِ
وَفِي قَتْلِهِ النَّارُ الَّتِي لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ وَمَلِكُ الرَّيِّ قُرَّةُ عَيْنِي

ثم قال: يا أخا همدان ما أجد نفسي تجيبني إلى ترك ملك الري لغيري، فرجع يزيد بن حصين الهمداني إلى الحسين وأخبره بمقالة ابن سعد، فلما عرف الحسين ذلك منهم تيقن أن القوم مُقاتلوه فأمر أصحابه فاحتفروا حفيرةً شبيهة بالخندق وجعلوا جهة واحدة يكون القتال منها، ثم إن عسكر بن زياد برزوا لمقاتلة الحسين وأصحابه وأحدقوا بهم من كل جانب، ووضعوا السيوف في أصحاب الحسين ورموهم بالنبل وهم يقاتلونهم إلى أن قُتل من أصحاب الحسين ما يزيد عن الخمسين، فعند ذلك صاح الحسين: «أما ذابُّ يَدُبُّ عن حريم رسول الله ﷺ»، وإذ بالحر بن يزيد الرياحي، المتقدم ذكره الذي كان عيناً على الحسين من جهة ابن زياد، قد خرج من عسكر

عمر بن سعد راكبًا على فرسه وقال: «أنا يا ابن رسول الله ﷺ كنتُ
أوَّلَ مَنْ خَرَجَ إِلَيْكَ عَيْنًا، وَلَمْ أَظُنْ أَنَّ الْأَمْرَ يَصِلُ إِلَى هَذَا الْحَالِ،
وَأَنَا الْآنَ فِي حَزْبِكَ وَأَنْصَارِكَ أَقَاتِلُ بَيْنَ يَدَيْكَ حَتَّى أَقُتَلَ أَرْجُو
بِذَلِكَ شَفَاعَةَ جَدِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ»، فَقَاتَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمَّا فَنِيَ
أَصْحَابُ الْحُسَيْنِ وَقُتِلُوا جَمِيعُهُمْ وَبَقِيَ وَاحِدُهُ حَمَلَ عَلَيْهِمْ فَقَتَلَ
كَثِيرًا مِنَ الرِّجَالِ وَالْأَبْطَالِ وَرَجَعَ سَالِمًا إِلَى مَوْقِفِهِ عِنْدَ الْحَرِيمِ، ثُمَّ
حَمَلَ عَلَيْهِمْ حَمْلَةً أُخْرَى وَأَرَادَ الْكَرَّ رَاجِعًا إِلَى مَوْقِفِهِ، فَحَالَ الشُّمْرُ
بَنَ ذِي الْجَوْشَنِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَرِيمِ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَبْطَالِهِمْ وَشُجْعَانِهِمْ
وَأَحْدَقُوا بِهِ، ثُمَّ إِنَّ جَمَاعَةً آخَرِينَ تَبَادَرُوا إِلَى الْحَرِيمِ وَالْأَطْفَالِ
يُرِيدُونَ سَلْبَهُمْ، فَصَاحَ الْحُسَيْنُ: «وَيَحْكُمُ يَا شِيعَةَ الشَّيْطَانِ كُفُّوا
سُفْهَاءَكُمْ عَنِ الْحَرِيمِ وَالْأَطْفَالِ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَقَاتِلُوكُمْ»، فَقَالَ الشُّمْرُ
لَأَصْحَابِهِ: كُفُّوا عَنْهُمْ وَاقْصِدُوا الرِّجْلَ، فَلَمْ يَزَلْ يَقْتَتِلُ هُوَ وَهُمْ
إِلَى أَنْ أَثْخَنُوهُ جَرَا حًا، فَسَقَطَ عَنْ فَرَسِهِ إِلَى الْأَرْضِ وَنَزَلُوا وَحَزُوا
رَأْسَهُ. (قِيلَ) الَّذِي قَتَلَهُ سَنَانُ بْنُ أَنْسِ النَّخْعِيِّ، وَقِيلَ الشُّمْرُ بْنُ
ذِي الْجَوْشَنِ، وَالصَّحِيحُ الْمَنْقُولُ عَنِ السَّدِيِّ أَنَّ الَّذِي قَتَلَهُ سَنَانُ،
وَأَرْسَلَ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ بِالرَّأْسِ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ مَعَ سَنَانِ بْنِ أَنْسِ النَّخْعِيِّ،
فَلَمَّا وَضَعَ الرَّأْسَ الشَّرِيفَ بَيْنَ يَدَيْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ قَالَ:

امْلَأْ رِكَابِي فِصَّةً وَذَهَبًا قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أَمَّا وَأَبَا
إِنِّي قَتَلْتُ السَّيِّدَ الْمُحَبَّبَا وَخَيْرَهُمْ إِذْ يَذْكُرُونَ نَسَبَا

فَعَضَبَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ وَقَالَ: إِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ فَلِمَ قَتَلْتَهُ وَاللَّهِ
لَا نَلَتْ مِنِّي خَيْرًا وَلَا لِحَقْنِكَ بِهِ ثُمَّ ضَرَبَ عُنُقَهُ. وَفِي أَسَدِ الْغَابَةِ:
وَلَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ ﷺ أَرْسَلَ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ رَأْسَهُ وَرُؤُوسَ أَصْحَابِهِ

إلى ابن زياد، فجمع الناس وأحضر الرؤوس وجعل ينكت بقضيب بين ثنيتي الحسين، فلما رآه زيد بن أرقم لا يرفع قضيبه قال له: «أَعْلُ بهذا القضيب فوالله الذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله ﷺ على هاتين الشفتين يقبلهما» ثم بكى، فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت لضربت عنقك، فخرج وهو يقول: «أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم الحسين بن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم»، انتهى.

وفي ذلك قال أبو الأسود الديلي:

أَقُولُ وَذَاكَ مِنْ جَزَعٍ وَوَجْدٍ أَزَالَ اللَّهُ مُلْكَ بَنِي زِيَادٍ
وَأَبْعَدَهُمْ بِمَا عَدَرُوا وَخَانُوا كَمَا بَعَدَتْ ثُمُودُ وَقَوْمُ عَادٍ

ثم إن القوم ساقوا الحريم والأطفال كما تُساق الأسارى حتى أتوا الكوفة فخرج الناس فجعلوا ينظرون إليهم ويبكون، وكان علي بن الحسين زين العابدين معهم قد أنهك جسمه المرض فجعل يقول: «إن هؤلاء ييكون من أجلنا فمن قتلنا؟!»، فلما دخلوا بهم على عبيد الله بن زياد أرسل بهم ورأس الحسين معهم إلى الشام إلى يزيد بن معاوية مع شخص يُقال له زجر بن قيس ومعه جماعة هو مقدمهم، وأرسل بالنساء والصبيان على أقتاب ومعه علي بن الحسين وقد جعل ابن زياد الغل في يده وعنقه، ولم يزالوا سائرين بهم على تلك الحالة إلى أن وصلوا إلى الشام، فتقدم زجر بن قيس فدخل على يزيد فقال له: هات ما وراءك، قال: أبشري يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره ورد علينا الحسين بن علي في ثمانية عشر من أهل بيته وستين من شيعته، فسرنا إليهم وسألناهم النزول على حكم الأمير

عبيد الله بن زياد أو القتال، فاختاروا القتال، فغَدَوْنَا عليهم مع شروق الشمس، فأحطنا بهم من كل ناحية حتى إذا أخذت السيوف مأخذها من هام القوم، جعلوا يهربون إلى غير وَرَرٍ، ويلوذون بالآكام والحفر كما لا ذ الحمايم من عقاب أو صقر، فوالله ما كان إلا نحر جَزُور أو نَوْمَةٌ قَائِلٍ، حتى أتينا على آخرهم، فهاتيك أجسادهم مجردة، وثيابهم بدمائهم مضرجة، وخدودهم في التراب معفرة، تصهرهم الشمس، وتسفي عليهم الريح، زُوَّارُهُم العُقَاب والرَّخَم في سَبَسَبٍ من الأرض، قال: فدمعتُ عيناً يزيد وقال: كنتُ أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، لعن الله ابن سمية والله لو كنت صاحبه لعفوت عنه فرحم الله الحسين، وأخرجه من عنده لم يَصْلُهُ بشيء. ثم إنهم دخلوا بالرأس فوضعوها بين يدي يزيد، وكان في يده قضيب فجعل ينكت به في ثغره ثم قال: ما أنا وهذا إلا كما قال الحصين:

أبى قومنا أن ينصفونا وأنصفت قواضب في أيماننا تقطر الدما
يفلقن هاما من رؤوس أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما
فقال أبو بردة الأسلمي وكان حاضراً: «أنتك بقضيبك في ثغره
أما إنني قد رأيت رسول الله يرشفه، ورضيت يا يزيد أن يجيء عبيد
الله بن زياد شفيحك يوم القيامة ويجيء هذا ومحمد ﷺ شفيعه» ثم
قام من المجلس، فقال يزيد: والله لو أني صاحبه ما قتلته، ثم قال:
أتدرون من أين أتى هذا؟ أما إنه ليقول أبي خير من أبيه وأمي فاطمة
خير من أمه وجدي رسول الله ﷺ خير من جده وأنا خير من يزيد
وأحق بالأمر منه؛ فأما قوله أبوه خير من أبي فقد تحتاج أبي وأبوه
إلى الله تعالى وعلم الناس أيهما حكم له، وأما قوله أمي خير من

أمه فلعمرى فاطمة بنت رسول الله ﷺ خير من أمي، وأما قوله جدي خير من جده فلعمرى ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله ﷺ فينا عديلاً ولا ندأ، وأتى هذا من قبل فقهه ولم يقرأ ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾⁽⁹⁶⁾، ثم إنه أدخل نساء الحسين والرأس بين يديه، فجعلت فاطمة وسكينة تتطاوولان لتنظراه، وجعل يزيد يستره عنهما، فلما رأيته صحنَ وأعولنَ بالبكاء، فبكى لبكائهن نساء يزيد وبنات معاوية فولولن وأعولن، فقالت فاطمة وكانت أكبر من سكينة: «بنات رسول الله ﷺ سبايا أسرك هذا يا يزيد»، فقال: والله ما سرني وإني لهذا كاره وما أتى عليكن أعظم مما أخذ منكن، ثم قال: أدخلوهن إلى الحريم، فلما دخلن على حريمه، لم تبق امرأة من آل يزيد إلا أتهن وأظهرت التوجع والحزن على ما أصابهن وعلى ما نزل بهن، وأضعفن لهن جميع ما أخذ منهن من الحلبي والثياب وزيادة، وكانت سكينة تقول: «ما رأيت كافراً بالله خيراً من يزيد»، ثم أمر بعلي زين العابدين فدخل عليه مغلولاً فقال علي: «يا يزيد لو رأنا رسول الله ﷺ مغلولين لفكه عنا»، قال: صدقت وأمر بفكه، فقال: «ولو رأنا رسول الله ﷺ على بُعد لأحب أن يُقربنا»، فأمر به ففرّبه، ثم قال له يزيد: يا علي أبوك الذي قطع رحمي، وجهل حقي، ونازعني سلطاني، فنزل به ما رأيت. فقال علي: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (22) لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا

⁽⁹⁶⁾ سورة آل عمران: 26.

فَاتَكُمُ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٩٧﴾. فقال له يزيد: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ ﴿٩٨﴾، ثم إن يزيد أمر بإنزال علي وإنزال حرمه في دار تخصصهم بمفردهم، وأجرى لهم كل ما يحتاجون إليه، وكان لا يتغدى ولا يتعشى حتى يحضر علي بن الحسين، فدعاه ذات يوم ومعه عمر بن الحسين وهو صبي صغير، فقال يزيد لعمر: أتقاتل خالدًا، يعني خالد بن يزيد وكان في سنه، فقال: «أعطني سكينًا وأعطه سكينًا حتى أقاتله»، فضمه يزيد إليه وقال:

شِنْشَنَةٌ أَعْرَفُهَا مِنْ أَخْزَمٍ ^(٩٩) وهل تلد الحية إلا حوية

ثم إن يزيد بعد ذلك أمر النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم إلى المدينة الشريفة، وسير معهم رجلاً أميناً من أهل الشام في خيل سيرها صحبتهم، وودّع يزيد علي بن الحسين وقال له: لعن الله ابن مرجانة لو كنت حاضر الحسين ما سألتني خصلةً إلا كنت أعطيتها إياها وَلَدَفَعْتُ عَنْهُ الْحَتْفَ بكل ما استطعت ولكن قضاء الله غالب، يا علي كاتبني بكل حاجة كانت لك أقضها لك إن شاء الله تعالى، وأوصى بهم الرسول الذي سيره صحبتهم، وكان يسايرهم وهو وخيله التي معهم فيكون الحريم قدام بحيث إنهم لا يفوتون، فإذا نزلوا تَحَيَّ عنهم ناحية هو وأصحابه، وكانوا حولهم كهيئة الحرس، وكان يسألهم عن حالهم ويتلطف بهم في جميع أمورهم

^(٩٧) سورة الحديد: 22-23.

^(٩٨) سورة الشورى: 30.

^(٩٩) الشِنْشَنَةُ: الطبيعة والعادة، والأخزم: الذَّكْر، وهو مثال يُضرب في قُرْب الشَّبه.

ولا يشق عليهم في مسيرهم، إلى أن دخلوا المدينة فقالت فاطمة بنت الحسين لأختها سكينه: «قد أحسن هذا الرجل إلينا فهل لك أن تصليه بشيء»، فقالت: «والله ما معنا ما نصله به إلا ما كان من هذا الحلي»، قالت: «فافعلي»، فأخرجتا له سوارين ودملجين وبعثتا بهما إليه، فردّهما وقال: «لو كان الذي صنعتَه رغبةً في الدنيا لكان في هذا مقنع بزيادة كثيرة، ولكني والله ما فعلته إلا لله ولقرابتكم من رسول الله ﷺ»، وكان من جملة من كان معهم: أم سكينه بنت الحسين بن علي وهي الرباب بنت امرئ القيس. (ولما) بلغ أهل المدينة قتل الحسين خرجت ابنة عقيل بن أبي طالب في نساء من بني هاشم وهي حاسرة تلوي ثوبها وتقول:

مَاذَا تَقُولُونَ إِنْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ مَاذَا فَعَلْتُمْ وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ
بِعِزَّتِي وَحَرِيْمِي بَعْدَ مُفْتَقِدِي مِنْهُمْ أَسَارَى وَقَتْلَى ضُرْجُوا بِدَمِ
مَا كَانَ هَذَا جَزَائِي إِذْ نَصَحْتُ لَكُمْ أَنْ تَخْلُفُونِي بِسُوءٍ فِي ذَوِي رَحِمِي

حكى الشيخ نصر الله بن يحيى وكان من الثقات الخيرين، قال: رأيت في المنام علي بن أبي طالب فقلت يا أمير المؤمنين تقولون يوم فتح مكة: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ثم يتم على ولدك الحسين بكر بلاء منهم ما يتم، فقال لي كرم الله وجهه: أتعرف أبيات ابن الصفي التميمي في هذا المعنى؟ فقلت: لا، فقال: اذهب إليه واسمعها منه، فاستيقظت من نومي مفكرًا ثم اني ذهبت إلى دار ابن الصفي وهو الحيص بيص، الشاعر الملقب بشهاب الدين، فطرقت عليه الباب فخرج إليّ فقصصْتُ عليه الرؤيا، فشهِق وأجهش بالبكاء وحلف بالله إن سمعها مني أحد وإن أكون نظمْتُها إلا في ليلتي هذه

ثم أنشد لي:

مَلَكْنَا فَكَانَ الْعَفْوُ مِنَّا سَجِيَّةً فَلَمَّا مَلَكَتُمْ سَالَ بِالْدَمِّ أَبْطَحُ
وَحَلَلْتُمْ قَتْلَ الْأَسَارَى وَطَالَ مَا غَدَوْنَا عَلَى الْأَسْرَى نَعْفُ وَنَصْفَحُ
وَحَسْبُكُمْ هَذَا التَّفَاوْتُ بَيْنَنَا وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ

أورد ذلك الشيخ نور الدين بن علي بن محمد الصباغ المالكي المكي المتوفى سنة خمس وخمسين وثمانمائة في كتابه الفصول المهمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: رأيت النبي في المنام نصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم، قلت: يا رسول الله ما هذا، قال: دم الحسين وصحبه أرفعه إلى الله عز وجل، فجاء الخبر بعد أيام أنه قتل ذلك اليوم وتلك الساعة. رواه البيهقي، وسمعتُ الجن تنوح عليه، كما أخرجهُ أبو نعيم وغيره، وذكر غير واحد أنهم لما ساروا بالرأس الشريف إلى يزيد بن معاوية نزلوا في الطريق بدير ليقيلوا به فوجدوا مكتوباً على بعض جدرانهِ:

أَتَرْجُو أُمَّةً قَتَلَتْ حُسَيْنًا شَفَاعَةَ جَدِّهِ يَوْمَ الْحِسَابِ

وفي الخطط للمقرزي ما نصه: لما قُتل الحسينُ بكَّت السماءُ وبكاؤها حمرتها؛ وعن عطاء في قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾⁽¹⁰⁰⁾ قال بكاؤها حمرة أطرافها، وعن الزُّهري: بَلَّغْنِي أَنَّهُ لَمْ يُقْلَبْ حَجَرٌ مِنْ أَحْجَارِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ يَوْمَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ إِلَّا وَجَدَ تَحْتَهُ دَمَ عَيْطٍ، وَيُقَالُ إِنَّ الدُّنْيَا أَظْلَمَتْ يَوْمَ قَتْلِ ثَلَاثًا، وَأَصَابُوا إِبِلًا فِي عَسْكَرِ الْحُسَيْنِ يَوْمَ قُتِلَ فَنَحَرُوهَا وَطَبَخُوهَا فَصَارَتْ مِثْلَ الْعَلَقِ وَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَسِغُوا مِنْهَا شَيْئًا. وروي أن

⁽¹⁰⁰⁾ سورة الدخان: 29.

السماء أمطرت دمًا فأصبح كل شيء لهم مملوءًا دمًا، انتهى. وعن الزهري: أنه لم يبق أحدٌ ممن قتل الحسين إلا عُوقب في الدنيا قبل الآخرة إما بالقتل أو سواد الوجه أو تغيير الخلقة أو زوال الملك في مدة يسيرة، وروى سبط ابن الجوزي أن شيخًا حضر قتله فقط فعمي فسئل عن سببه فقال: رأيت النبي ﷺ حاسرًا عن ذراعيه ويده سيف ويده نطع وعليه عشرة ممن قتلوا الحسين مذبحين ثم لعني وسبني ثم أكحلني بمرود من دم الحسين فأصبحت أعمى، وأخرج أيضًا أن شخصًا علق رأس الحسين في لبب فرسه فرؤي بعد أيام ووجهه أشد سوادًا من القار ومات على أقبح حالة، ويقال إن رجلًا أنكر ذلك فوثبت النار على جسده فحرقته.

(وكان) اليوم الذي قتل فيه الحسين يوم الجمعة عاشر محرم سنة إحدى وستين من الهجرة، وكان عمره إذ ذاك خمسًا وخمسين سنة وقيل غير ذلك، ووُجد به ثلاث وثلاثون ضربة. قال ابن الصباغ: ودُفن بأرض كربلاء بالعراق ومشهده بها معروف يُزار من جميع الآفاق. وكانت عدة القتلى التي حملت رؤوسها إلى عبيد الله بن زياد صحبة رأس الحسين سبعين، انتهى.

ودُفن أهل العامرية - وهم قوم من بني عامر من بني أسد - الحسين وأصحابه ﷺ أجمعين بعد قتلهم بيوم.

فصل اختلفوا في رأس الحسين

بعد مسيره إلى الشام إلى أين سار وفي أي موضع استقر، فذهب طائفة إلى أن يزيد أمر أن يطاف به في البلاد فطيف به حتى انتهى به إلى عسقلان فدفنه أميرها بها، فلما غلب الفرنج على عسقلان افتداه منهم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمال جزيل، ومشى إلى لقائه من عدة مراحل، ووضع في كيس حرير أخضر على كرسي من الآبنوس وفرش تحته المسك والطيب وبنى عليه المشهد الحسيني المعروف بالقاهرة قريبا من خان الخليلي.

وقيل دُفن بالبقيع عند قبر أمه وأخيه الحسن، وهو قول ابن بكار والعلامة الهمداني وغيرهما. وذهبت الإمامية إلى أنه أعيد إلى الجثة ودفن بكربلاء بعد أربعين يوما من القتل. واعتمد القرطبي الثاني، والذي عليه طائفة من الصوفية أنه بالمشهد القاهري.

قال المناوي في طبقاته: ذكر لي بعض أهل الكشف والشهود أنه حصل له اطلاع على أنه دُفن مع الجثة بكربلاء ثم ظهر الرأس بعد ذلك بالمشهد القاهري لأن حكم الحال بالبرزخ حكم الإنسان الذي تدلى في تيار جارٍ فيطف بعد ذلك في مكان آخر، فلما كان الرأس منفصلاً طف في هذا المحل بالمشهد الحسيني المصري، وذكر أنه خاطبه منه. اهـ.

قال الشيخ علي الأجهوري في رسالة فضائل يوم عاشوراء: ذهب جمعٌ من أهل التاريخ إلى دفن الرأس بالمشهد المصري المعروف،

وكذا جمع من أهل الكشف. قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتاب طبقات الأولياء عند ذكره الحسين: دفنوا رأسه ببلاد المشرق ثم رشا عليها طلائع بن رزيك بثلاثين ألف دينار ونقلها إلى مصر وبني عليها المشهد الحسيني، وخرج هو وعسكره حفاة إلى نحو الصالحية من طريق الشام يتلقون الرأس الشريف، ثم وضعها طلائع في كيس من حرير أخضر على كرسي أبنوس وفرشوا تحتها المسك والعنبر والطيب قدر وزنها مرارًا، انتهى.

وفي المنن للشعراني ما نصه: أخبرني يعني الخَوَاص أن رأس الإمام الحسين حقيقة في المشهد الحسيني قريبًا من خان الخليلي، وأن طلائع بن رزيك نائب مصر وضعها في القبر المعروف بالمشهد في كيس من حرير أخضر على كرسي من خشب الأبنوس وفرش تحتها المسك والطيب، وأنه مشى معها هو وعسكره حفاة من ناحية قطية إلى مصر لما جاءت من بلاد العجم في قصة طويلة.

وفي المنن أيضًا في موضع آخر: قال زرتُ مرة رأس الحسين بالمشهد أنا والشيخ شهاب الدين بن الجلي الحنفي وكان عنده توقف في أن رأس الإمام الحسين في ذلك المكان، فثقلتُ رأسه فنام فرأى شخصًا كهية النقيب طلع من عند الرأس وذهب إلى رسول الله ﷺ، وما زال بصره يتبعه حتى دخل الحجرة النبوية فقال: يا رسول الله أحمد بن الجلي وعبد الوهاب زارا قبر رأس ولدك الحسين، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم تقبل منهما واغفر لهما»، ومن ذلك اليوم ما ترك الشيخ شهاب الدين زيارة الرأس إلى أن مات وكان يقول: آمَنْتُ بأن رأس الحسين هنا، انتهى.

وهذا مما يشهد للقول الأول ويعضده أيضًا ما ذكره الشيخ عبد الفتاح بن أبي بكر بن أحمد الشهير بالرسام الشافعي الخلوتي في رسالته نور العين بقوله: ومن ذلك ما لأهل الكشف والاطلاع في مقرها ما ذكره خاتمة الحفاظ والمحدثين شيخ الإسلام والمسلمين نجم الدين الغيطي نقلًا عن شيخ الإسلام الشيخ شمس الدين اللقاني شيخ السادة المالكية في عصره رحمه الله تعالى: أنه كان يومًا جالسًا بالجامع الأزهر مع القطب الكبير الشيخ أبي المواهب التونسي يتحدث معه وإذا بالشيخ أبي المواهب قام مستعجلًا وذهب إلى نحو باب المدرسة الجوهريّة التي بالجامع وخرج منها، فتبعه الشيخ شمس الدين المذكور وهو لا يشعر به إلى أن وصل إلى المشهد المبارك وهو خلفه، فلما دخل المسجد وجد إنسانًا واقفًا على باب الضريح الشريف وبيده مبسوطتان وهو يدعو، فلما فرغ الرجل من الدعاء ومسح على وجهه بيده رجع الشيخ اللقاني إلى الجامع الأزهر، وإذا بالشيخ أبي المواهب التونسي رجع فقال له الشيخ اللقاني: يا مولانا رأيتك ذهبت مستعجلًا من باب الجوهريّة وها أنت رجعت، فقال: كنت في مصلحة وكنتم عنه القضية، فقال له: ذهبت إلى المسجد الحسيني، قال: نعم فما الذي أعلمك بذلك؟ قال: كنت معك فيه، قال: فما رأيت؟ قال: رأيت إنسانًا واقفًا على باب الضريح يدعو ووقفت أنت خلفه ووقفت أنا خلفكما أدعو أيضًا، فقال: أبشر يا شمس الدين فإن جميع ما دعوت به استجيب لك في ذلك الوقت، قلت: يا سيدي ومن هذا الرجل؟ قال: القطب الغوث الجامع يأتي كل يوم -أو قال كل يوم الثلاثاء- فيزور هذا المشهد، فلما وقع

عندي مجيئه في ذلك الوقت قمت إليه وحضرت معه الزيارة وقبّلت يده، فالزم ذلك يحصل لك خير، فما زال الشيخ اللقاني يزور ذلك المكان إلى أن مات رحمه الله تعالى. (ومن) ذلك ما نُقل عن الشيخ الجليل أبي حسن التمار أنه كان يأتي إلى هذا المكان للزيارة ثم إذا دخل إلى الضريح يقول: السلام عليكم، فيسمع الجواب: وعليك السلام يا أبا الحسن، فجاء يوماً من الأيام فسَلَّمَ فلم يسمع الجواب برَدِّ السلام فزار ورجع، ثم جاء مرة أخرى وسَلَّمَ فسمع الجواب يرد السلام فقال: يا سيدي جئت بالأمس وسلمت فما سمعت جواباً، فقال: يا أبا حسن لك المعذرة كنت أتحدث مع جدي ﷺ فلم أسمع كلامك، وهذه كرامة جليّة لأبي الحسن التمار. (ومن) ذلك أيضاً ما أخبر به العلامة الشيخ فتح الدين أبو الفتح الغمري الشافعي أنه كان يتردد إلى الزيارة غالباً فجلس يوماً يقرأ الفاتحة ودعا فلما وصل في الدعاء إلى قوله: «واجعل ثواباً مثل ذلك» فأراد أن يقول: «في صحائف سيدنا الحسين ساكن هذا الرمس» فحصلت له حالة فنظر فيها إلى شخص جالس على الضريح وقع عنده أنه السيد الحسين، فقال: «في صحائف هذا» وأشار بيده إليه، فلما أتمَّ الدعاء ذهب إلى الشيخ الجليل الشيخ عبد الوهاب الشعراني فأخبره بذلك فقال له الشيخ: صدقت وأنا وقع لي مثل ذلك، ثم ذهب إلى الشيخ كريم الدين الخلوتي فأخبره بذلك فقال له الشيخ كريم الدين: صدقت وأنا ما زرتُ هذا المكان إلا بإذنٍ من النبي ﷺ. انتهى هذا ما ثبت عن أرباب الكشف. وفي كتاب الخطط للمقريزي بعد كلام على مشهد الحسين ما نصه: وكان حمل الرأس الشريف إلى القاهرة من

عسقلان ووصله إليها في يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، وكان الذي وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها، والقاضي المؤتمن مسكين، وحصل في القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخرة المذكورة، ويذكر أن هذا الرأس الشريف لما أُخرج من المشهد بعسقلان وُجدَ دمه لم يَجفَّ وله ريحٌ كريح المسك، فقدم به الأستاذ مكنون في عشارى من عشاريات الخدمة، وأنزل به إلى الكافور، ثم حمل في السرداب إلى قصر الزمرد، ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة. وقال ابن عبد الظاهر: مشهد الإمام الحسين قد ذكرنا أن طلائع بن رزيك المنعوت بالصالح كان قد نقل الرأس الشريف من عسقلان لما خاف عليها من الفرنج، وبنى جامع خارج باب زويلة ليدفنه به ويفوز بهذا الفخار، فغلبه أهل القصر على ذلك وقالوا: لا يكون ذلك إلا عندنا، فعمدوا إلى هذا المكان وبنوه له ونقلوا إليه الرخام، وذلك في خلافة الفائز على يد طلائع في سنة تسع وأربعين وخمسمائة. اهـ.

(كرامتان): الأولى: اتُّهم شخصٌ من أتباع السلطان الملك الناصر بأنه يعرف الدفائن والأموال التي بالقصر فأمر بتعذيبه، وأخذه متولي العقوبة وجعل على رأسه خنافس وشدَّ عليها قرمزية، يقال إن هذه العقوبة أشدَّ العقوبات وأن الإنسان لا يطيق الصبر عليها ساعة إلا تنقب دماغه وتقتله، ففعل به ذلك مرارًا وهو لا يتأوه وتوجد الخنافس ميتة، فسألوه ما سبب هذا فقال: حملت رأس الحسين لما جاء، فعفا عنه. الثانية: روى ابن خالويه عن الأعمش عن منهال الأسدي قال: واللَّه لقد رأيت رأس الحسين حين حُمِلَ وأنا بدمشق

وبين يديه رجل يقرأ سورة الكهف حتى بلغ ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ
الْكُهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾⁽¹⁰¹⁾، فنطق الرأس وقال قتلي
أعجب من ذلك.

(غريبة) روى سليمان الأعمش قال: خرجنا ذات سنة حُجَّاجًا
لبيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه السلام، فبينا أنا أطوف بالبית
إذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم اغفر لي وما أظنك
تفعل، فلما فرغت من طوافي قلتُ: سبحان الله العظيم ما كان ذنب
هذا الرجل، فتنحيت عنه ثم مررت به مرة ثانية وهو يقول: اللهم اغفر
لي وما أظنك تفعل، فلما فرغت من طوافي قصدت نحوه فقلت: يا
هذا إنك في موقف عظيم يغفر الله فيه الذنوب العظام فلو سألت منه
عز وجل المغفرة والرحمة لرجوت أن يفعل فإنه منعم كريم، فقال:
يا عبد الله من أنت؟ فقلت: أنا سليمان الأعمش فقال: يا سليمان
إياك طلبتُ وقد كنت أتمنى مثلك، فأخذ بيدي وأخرجني من داخل
الكعبة إلى خارجها فقال لي: يا سليمان ذنبي عظيم، فقلت: يا هذا
أذنبتك أعظم أم الجبل أم السماوات أم الأرضون أم العرش؟ فقال
لي: يا سليمان ذنبي أعظم، مهلاً عليّ حتى أخبرك بعجب رأيته،
فقلت له تكلم رحمتك الله فقال لي: يا سليمان أنا من السبعين رجلاً
الذين أتوا برأس الحسين بن علي إلى يزيد بن معاوية فأمر بالرأس
فنصب خارج المدينة وأمر بإنزاله ووضع في طست من ذهب
ووضع بيت منامه، قال فلما كان في جوف الليل انتبهت امرأة يزيد
بن معاوية فإذا شعاع ساطع إلى السماء، ففرعت فزعاً شديداً وانتبه

⁽¹⁰¹⁾ سورة الكهف: 9.

يزيد من منامه فقالت له يا هذا قم فإنني أرى عجباً، فنظر يزيد إلى ذلك الضياء فقال لها اسكتي فإنني أرى كما ترين، قال فلما أصبح من الغد أمر بالرأس فأخرج إلى فسطاط هو من الديباج الأخضر وأمر بالسبعين رجلاً، فخرجنا إليه نحرسه وأمر لنا بالطعام والشراب حتى غربت الشمس ومضى من الليل ما شاء الله، ورقدنا فاستيقظت ونظرتُ نحو السماء وإذا بسحابة عظيمة ولها دويٌّ كدويِّ الجبال وخفقان أجنحة، فأقبلتُ حتى لصقت بالأرض ونزل منها رجل وعليه حُلُتان من حُلل الجنة وبيده درانك وكراسي، فسط الدرانك وألقى عليها الكراسي وقام على قدميه ونادى: انزل يا أبا البشر انزل يا آدم ﷺ، فنزل رجل أجمل ما يكون من الشيوخ شيئاً فأقبل حتى وقف على الرأس فقال: السلام عليك يا بقية الصالحين عشتَ سعيداً وقُتلت طريداً ولم تزل عطشان حتى ألحقك الله بنا رحمك الله ولا غفر لقاتلك الويل لقاتلك غداً من النار ثم زال وقعد على كرسي من تلك الكراسي، قال: يا سليمان ثم لم ألبث إلا يسيراً وإذا بسحابة أخرى أقبلت حتى لصقت بالأرض فسمعت منادياً يقول: انزل يا نبي الله انزل يا نوح وإذا برجل أتم الرجال خلقاً وإذا بوجهه صفرة وعليه حُلُتان من حُلل الجنة، فأقبل حتى وقف على الرأس فقال: السلام عليك يا عبد الله السلام عليك يا بقية الصالحين قُتلت طريداً وعشتَ سعيداً ولم تزل عطشان حتى ألحقك الله بنا غفر الله لك ولا غفر لقاتلك الويل لقاتلك غداً من النار ثم زال فقعد على كرسي من الكراسي، قال: يا سليمان ثم لم ألبث إلا يسيراً وإذا بسحابة أعظم منها فأقبلت حتى لصقت بالأرض فقام الأذان وسمعت منادياً

ينادي: انزل يا خليل الله انزل يا إبراهيم صَلَّى الله عليك وسلم، وإذا برجل ليس بالطويل العالي ولا بالقصير المتداني أبيض الوجه أملح الرجال شيباً فأقبل حتى وقف على الرأس فقال: السلام عليك يا عبد الله السلام عليك يا بقية الصالحين قتلت طريداً وعشت سعيداً ولم تنزل عطشان حتى ألحقك الله بنا غفر الله لك ولا غفر لقاتلك الويل لقاتلك غدا من النار ثم تنحى على كرسي من الكراسي، ثم لم ألبث إلا يسيراً فإذا بسحابة عظيمة فيها دوي كدوي الرعد وخفقان أجنحة فنزلت حتى لصقت بالأرض وقام الأذان فسمعت قائلاً يقول: انزل يا نبي الله انزل يا موسى بن عمران، قال: فإذا برجل أشد الناس في خلقه وأتمهم في هيئته وعليه حلتان من حلل الجنة، فأقبل حتى وقف على الرأس فقال مثل ما تقدم ثم تنحى فجلس على كرسي من تلك الكراسي، ثم لم ألبث إلا يسيراً وإذا بسحابة أخرى وإذا فيها دوي عظيم وخفقان أجنحة، فنزلت حتى لصقت بالأرض وقام الأذان فسمعت قائلاً يقول: انزل يا عيسى انزل يا روح الله، فإذا أنا برجل محمر الوجه وفيه صفرة وعليه حلتان من حلل الجنة، فأقبل حتى وقف على الرأس فقال مثل مقالة آدم ومن بعده، ثم تنحى فجلس على كرسي من تلك الكراسي، ثم لم ألبث إلا يسيراً وإذا بسحابة عظيمة فيها دوي كدوي الرعد والرياح وخفقان أجنحة، فنزلت حتى لصقت بالأرض فقام الأذان وسمعت منادياً ينادي: انزل يا محمد انزل يا أحمد صَلَّى الله عليك وسلم وإذا بالنبي ﷺ وعليه حلتان من حلل الجنة وعن يمينه صفٌّ من الملائكة والحسنُ وفاطمةُ رضي الله عنهما فأقبل حتى دنا من الرأسِ فَضَمَّهُ إلى صدره وبكى بكاءً شديداً ثم

دفعه إلى أمه فاطمة فضمته إلى صدرها وبكت بكاءً شديداً حتى علا
بكاؤها وبكى لها من سمعها في ذلك المكان، فأقبل آدم حتى دنا
من النبي ﷺ فقال: السلام على الولد الطيب السلام على الخلق
الطيب أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك في ابنك الحسين، ثم قام
نوح فقال مثل قول آدم، ثم قام إبراهيم فقال كقولهما، ثم قام موسى
عليه السلام وعيسى عليه السلام فقالا كقولهم، كلهم يُعزونه ﷺ في ابنه الحسين،
ثم قال النبي ﷺ: يا أبي آدم ويا أبي نوح ويا أخي إبراهيم ويا أخي
موسى ويا أخي عيسى اشهدوا وكفى بالله شهيداً على أمتي بما
كافتوني في ابني وولدي من بعدي، فدنا منه ملك من الملائكة فقال:
قطعت قلوبنا يا أبا القاسم أنا الملك الموكل بسماء الدنيا أمرني الله
تعالى بالطاعة لك فلو أذنت لي أنزلتها على أمتك فلا يبقى منهم
أحد، ثم قام ملك آخر فقال: قطعت قلوبنا يا أبا القاسم أنا الملك
الموكل بالبحار وأمرني الله بالطاعة لك فإن أذنت لي أرسلتها عليهم
فلا يبقى منهم أحد، فقال النبي ﷺ: يا ملائكة ربي كفوا عن أمتي فإن
لي ولهم موعداً لن أخلفه، فقام إليه آدم فقال: جزاك الله خيراً من نبي
أحسن ما جوزي به نبي عن أمته، فقال الحسن: يا جداه هؤلاء الرقود
هم الذين يحرسون أخي وهم الذين أتوا برأسه، فقال النبي ﷺ: «يا
ملائكة ربي اقتلوهم بقتلة ابني»، فوالله ما لبثت إلا يسيراً حتى رأيتُ
أصحابي قد ذُبِحوا أجمعين، قال: فلصق بي ملك ليذبحني فناديتُه:
يا أبا القاسم أجرني وارحمني يرحمك الله، فقال: كفوا عنه، ودنا
مني وقال: أنت من السبعين رجلاً، قلت: نعم، فألقى يده في منكبي
وسحبني على وجهي وقال: لا رحمك الله ولا غفر لك أحرق الله

عظامك بالنار؛ فلذلك أيسْتُ من رحمة الله، فقال الأعمش: إليك عني فإني أخاف أن أعاقب من أجلك. اهـ من شرح الشفاء للعلامة التلمساني من الفصل الرابع والعشرين فيما أطلع الله نبيه ﷺ من الغيوب من ترجمة الحسين.

(نادر تان): الأولى: أن عبيد الله بن زياد لما ظفر بالحسين وأهله صعد المنبر فقال: الحمد لله الذي أظهر الحق ونصر يزيد بن معاوية وحزبه على الكذاب حسين، فوثب عبد الله بن عفيف وكانت عينه اليسرى قد ذهبت يوم الجمل مع علي وذهبت عينه الأخرى يوم صفين وكان يلزم المسجد يصلي فيه إلى الليل فقال: يا ابن مرجانة إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي والاك، تقتلون أبناء الأنبياء وتكلمون بكلام الصديقين، فأوماً إليه ابن زياد وقال: يا عدو الله ما تقول في عثمان، فقال: عدو الله أنت، ذلك الرجل أحسن وأساء وأصلح وأفسد والله ولي خلقه يقضي في عثمان وغيره بالحق والعدل ولكن إن شئت سلني عنك وعن أبيك وعن يزيد وعن أبيه، فقال: لا أسألك حتى أذيقك الموت، فقال: دعوت الله تعالى أن يرزقني شهادة - قبل أن تلدك أمك - على يد أعدى خلق الله تعالى وأبغضهم له، فلما ذهب بصري يئست منها، فالحمد لله الذي رزقنيها على يأسِي، وعرفني الإجابة لي منه على قديم دعائي، فنزل وقتله وصلبه بالسبخة في الكوفة. انتهى من مختصر التواريخ.

الثانية: قضى الله أن قتل عبيد الله بن زياد هو وأصحابه يوم عاشوراء سنة سبع وستين، جهز إليه المختار بن عبيد جيشاً، فقتله

إبراهيم بن الأشتر في الحرب، وبعث برأسه إلى المختار، وبعث به المختار إلى ابن الزبير، فبعثه ابن الزبير إلى علي بن الحسين. (روى الترمذي «أنه لما جاء برأسه ونُصب في المسجد مع رؤوس أصحابه، جاءت حية فتخللت الرؤوس حتى دخلت في منخره فمكثت هنيهة ثم خرجت، فعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً، وكان نصبها في محل رأس الحسين» ذكره الشيخ عبد الرحمن الأجهوري في كتابه مشارق الأنوار، ومثله في أسد الغابة، وزاد ابن الأثير: هذا حديث حسن صحيح أخرجه الثلاثة.

(عجبة) قال عبد الملك بن عمير: رأيت في هذا القصر عجباً، رأيت رأس الحسين على ترس بين يدي عبيد الله بن زياد، ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار، ثم رأيت رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير، ثم رأيت رأس مصعب بين يدي عبد الملك بن مروان، وكان بين يدي عبد الملك فلما سمع ذلك أمر بهدم القصر. كذا في الكنز المدفون. (وأخرج) الحاكم في المستدرک وصححه وقال الذهبي في التلخيص على شرط مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «أوحى الله إلى محمد ﷺ إني قتلُ يحيى بن زكريا سبعين ألفاً وإني قاتلُ بابتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً».

قال الحافظ ابن حجر: ورد من طريقٍ وإيه عن علي عن المصطفى ﷺ أنه قال: قاتلُ الحسين في تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدنيا. قال الجلال السيوطي في المحاضرات والمحاوَرات: حصل بالكوفة جدري في بعض السنين عمي فيه ألف وخمسمائة من ذرية من حضروا قتل الحسين.

تتمة: في ذكر أولاده وشيء من كلامه

قال صاحب الإرشاد: أولاد الحسين بن علي ستة: علي بن الحسين الأصغر كنيته أبو محمد ولقبه زين العابدين وأمه شاه زنان بنت كسرى أنوشروان ملك الفرس، وعلي بن الحسين الأكبر قُتل مع أبيه بالطف وأمه ليلي بنت مرة بن عروة بن مسعود الثقفي، وجعفر بن الحسين وأمه قضاة مات في حياة أبيه ولا نسل له، وعبد الله بن الحسين قُتل مع أبيه صغيراً جاءه سهمٌ وهو بكر بلاء فقتله، وسكينة بنت الحسين أمها الرباب بنت امرئ القيس بن عدن الكلبية وهي أيضاً أم عبد الله بن الحسين، وفاطمة أمها أم إسحاق بنت طلحة بن عبد الله تيمية، انتهى. والذي أعقب منهم علي زين العابدين. (وفي بغية الطالب لمعرفة أولاد علي بن أبي طالب) للشيخ جمال الدين الطاهر بن حسين بن عبد الرحمن الأهدل ما نصه: وكان له يعني للحسين من الولد ست بنين وثلاث بنات وهم: علي الأكبر وأمه ليلي بنت مرة بن عروة بن مسعود الثقفي، وعلي الأوسط، وعبد الله، وعلي الأصغر زين العابدين ومنهم من يزعم أنه الأكبر، ومحمد، وجعفر، وزينب، وسكينة، وفاطمة؛ فأما محمد وجعفر فماتا في حياة أبيهما، وأما علي الأكبر وعبد الله فاستشهدا مع أبيهما بالطف، وعلي الأوسط أصابه سهم يومئذ فمات. انتهى. وزاد بعضهم: عمرو المعقب من ولد الحسين زين العابدين باتفاق، فلم يكن على وجه الأرض حسينيًّا إلا من نسله.

(ومن كلامه) «حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملُّوا النعمَ فتعودُ نقمًا»، وقال: «صاحبُ الحاجةِ لم يُكرمَ وجهُهُ عن

سؤالِك فَأَكْرَمَ وَجْهَكَ عَنْ رَدِّهِ، وقال: «الحِلْمُ زِينَةُ الْوَفَاءِ مُرُوءَةٌ وَالصِّلَةُ نِعْمَةٌ وَالِاسْتِكْثَارُ صِلَفٌ وَالْعَجَلَةُ سَفَهُ وَالسَّفَهُ ضَعْفٌ وَالْغُلُوُّ وَرَطَةٌ وَمَجَالِسَةُ أَهْلِ الدَّنَاءَةِ شَرٌّ وَمَجَالِسَةُ أَهْلِ الْفُسُوقِ رِيَّةٌ».

(لطيفة) قيل كان بين الحسين وأخيه الحسن كلام ووقفه فقليل له: اذهب إلى أخيك الحسن واسترضه وطيب خاطره فإنه أكبر منك، فقال: «سمعت جدي رسول الله يقول: «أيما اثنين بينهما كلام فطلب أحدهما رضا الآخر كان السابق سابقه إلى الجنة» وأكره أن أسبق أخي الأكبر إلى الجنة»، فبلغ قول الحسن فأتاه وترضاه. (وقال) في خطبة خطبها:

أيها الناس نافسوا في المكارم، وسارعوا في المغانم، ولا تحتسبوا بمعروف لم تعجلوه، واكتسبوا الحمد بالمنح ولا تكتسبوه بالمطل، فمهما يكن لأحد عند أحد صنعة ورأى أنه لا يقوم بشكرها فالله له بمكافأته بمكان، وذلك أجزل عطاء وأعظم أجرًا، واعلموا أن المعروف يكسب حمدًا ويُعقب أجرًا، فلو رأيتم المعروف رجلًا لرأيتموه حسنًا جميلًا يسر الناظرين، ولو رأيتم اللؤم رجلًا رأيتموه منظرًا قبيحًا تنفر منه القلوب وتغض منه الأبصار، أيها الناس من جاد ساد ومن بخل ذل، وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه، وأعف الناس من عفا عن قُدرة، وإن أوصل الناس من وصل من قطعته، ومن أراد بالصنعة إلى أخيه وجه الله تعالى كافأه الله بها وقت حاجته وصرف عنه من البلاء أكثر من ذلك، ومن نفَسَ عن أخيه كربة من كُرب الدنيا نفَسَ الله عنه كربة من كُرب الآخرة، ومن أحسن أحسن الله إليه والله يحب المحسنين.

ومن كلامه المنظوم ما نقله ابن غنم صاحب كتاب الفتوح وهو أنه لما أحاطت به جموع ابن زياد وقتلوا من قتلوا من أصحابه ومنعوه من الماء، وأصاب ولده الصغير سهم فقتله فرمّله وحفر له بسيفه وصلى عليه ودفنه قال:

غَدَرَ الْقَوْمُ وَقَدِّمًا رَغِبُوا	عَنْ ثَوَابِ اللَّهِ رَبِّ الثَّقَلَيْنِ
قَتَلُوا قَدِّمًا عَلِيًّا وَإِنِّهُ	حَسَنَ الْخَيْرِ كَرِيمِ الْأَبْوِينِ
حَسَدًا مِنْهُمْ وَقَالُوا أَقْبِلُوا	نَقْتُلُ الْآنَ جَمِيعًا لِلْحُسَيْنِ
خَيْرُهُ اللَّهُ مِنَ الْخَلْقِ أَبِي	ثُمَّ أُمِّي فَأَنَا ابْنُ الْخَيْرَتَيْنِ
فِضَّةٌ قَدْ صُفِيتُ مِنْ ذَهَبِ	فَأَنَا الْفِضَّةُ وَابْنُ الذَّهَبَيْنِ
مَنْ لَهُ جَدٌّ كَجَدِّي فِي الْوَرَى	وَكَشِيخِي فَأَنَا ابْنُ الْقَمَرَيْنِ
فَاطِمُ الزَّهْرَاءِ أُمِّي وَأَبِي	قَاصِمُ الْكُفْرِ بَبْدِرٍ وَحُنَيْنِ

ومن كلامه:

فَإِنْ تَكُنِ الدُّنْيَا تُعَدُّ نَفِيسَةً	فَإِنْ ثَوَابَ اللَّهِ أَعْلَى وَأَنْبَلُ
وَإِنْ يَكُ لَا بَدَّ مِنَ الْمَوْتِ لِلْفَتَى	فَقَتْلُ امْرِئٍ فِي اللَّهِ بِالسَّيْفِ أَجْمَلُ
وَإِنْ تَكُنِ الْأَرْزَاقُ قَسَمًا مُقَدَّرًا	فَقِلَّةُ حِرْصِ الْمَرْءِ فِي الْكَسْبِ يَجْمَلُ
وَإِنْ تَكُنِ الْأَمْوَالُ لِلتَّرِكِ جَمْعُهَا	فَمَا بَالُ مَتْرُوكٍ بِهِ الْمَرْءُ يَبْخَلُ

وقال:

إِذَا مَا عَصَّكَ الدَّهْرُ	فَلَا تَجْنَحْ إِلَى الْخَلْقِ
وَلَا تَسْأَلْ سِوَى اللَّهِ	الْمُعِثِ الْعَالِمِ الْحَقِّ
فَلَوْ عَشْتُ وَقَدْ طُفْتُ	مِنَ الْغَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ
لَمَا صَادَفْتُ مَنْ يَقْدِرُ	أَنْ يُسَعِدَ أَوْ يُشْقِي

وقال من قصيدة طويلة هذا أولها:

إذا استنصرَ المرءُ امرأً لأذيةً فناصرُهُ والخاذلونَ سواء
أنا ابنُ الذي قد تعلمونَ مكانَهُ وليسَ على الحقِّ المُبينِ طحاء
أليسَ رسولُ اللهِ جدِّي ووالدي أنا البدرُ إن حلَّ النجومُ خفاء
ألم ينزل القرآنُ خلفَ بيوتنا صباحًا ومن بعدَ الصباحِ مساء
يُنازعُني واللهِ بيني وبينه يزيدُ وليسَ الأمرُ حيثَ يشاء
فيا نُصحَاءَ اللهِ أنتم وُلأئِهِ وأنتم على أديانِهِ أمناء
بأيِّ كتابٍ أم بأيةِ سُنَّةٍ تناولها عن أهلها البُعْداء
ومن كلامه:

ذهبَ الذين أحبُّهم وبقيتُ فيمن لا أحبُّه
فيمن أراهُ يسبُّني ظهرَ المغيبِ ولا أسبُّه
أفلا يرى أن فعلَهُ مما يسيرُ إليه غبُّه
حسبي بربي كافياً مما اجتني والبغي حُسبُهُ
انتهى من الفصول المهمة.

فصل في ذكر مناقب سيدنا علي بن الحسين الملقب بزین العابدین

قال الإمام مالك: سُمِّيَ زين العابدين؛ لكثرة عبادته، وهو الإمام الرابع على مذهب الإمامية. (وُلِدَ) زين العابدين بالمدينة الشريفة يوم الخميس خامس شعبان سنة ثمان وثلثين في أيام جده علي بن أبي طالب قبل وفاته بستين. (وكنيته) المشهورة أبو الحسن وقيل أبو محمد وقيل أبو بكر. (وألقابه كثيرة) أشهرها زين العابدين وسيد العابدين والزكي والأمين وذو النفقات (وصفته) أصفر قصير نحيف. (شاعره) الفرزدق وكثير عزة. (بوابه) أبو جبلة (نقش خاتمه) وما توفيقي إلا باللّه. (ومعاصره) مروان وعبد الملك والوليد ابنه. (وأمه) سلافة ولقبها شَاهِ زَنَان، بفتح الشين المعجمة وكسر الهاء وفتح الزاي والنون الثانية بعد الألف كلمة فارسية معناها ملكة النساء، وهي بنت يَزْدَجَرْد، بفتح الياء المثناة من تحت وسكون الزاي وفتح الدال المهملة وكسر الجيم ودال مهملة بعد الراء الساكنة، ولد أَنُوشِرَوَان العادل ملك الفرس، ذكر الزمخشري في ربيع الأبرار أنه لما أُتِيَ بسبي فارس في خلافة سيدنا عمر كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد فباعوا السبايا وأمر عمر ببيع بنات يزدجرد فقال له علي: إن بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن، قال: كيف الطريق إلى العمل معهن، قال: تُقَوِّمُهُن ومهما بلغَ ثمنُهن قامَ به مَنْ يختارُهن، فقَوِّمَهُن فأخذهن علي بن أبي طالب، فدفع واحدة لولده الحسين

فولدت له علياً زين العابدين، وواحدة لعبد الله بن عمر فولدت له سالمًا، وواحدة لمحمد بن أبي بكر الصديق فولدت له القاسم، فهؤلاء الثلاثة بنو خالة، انتهى. وكان علي زين العابدين مع أبيه بكر بلاء مريضاً نائماً على الفراش فلم يُقتل، قاله ابن عمر، هذا هو الصحيح وليس قول مَنْ قال إنه كان صغيراً حينئذ فلم يُقتل بشيء. روى الحديث عن أبيه وعمه الحسن وجابر وابن عباس والمسور بن مخرمة وأبي هريرة وصفية وعائشة وأم سلمة أمهات المؤمنين قال الزهري وابن عيينة: ما رأينا قُرَشِيًّا أفضل منه، وقال الزهري: ما رأيت أفقه منه، وقال ابن المسيب: ما رأيت أروع منه. (ومناقبه) كثيرة: فعن سفيان قال: جاء رجل إلى علي بن الحسين فقال له إن فلانا قد وقع فيك بحضوري، فقال له: انطلق بنا إليه، فانطلق معه وهو يرى أنه سيتنصر لنفسه منه، فلما أتاه قال له: «يا هذا إن كان ما قلتَ في حقِّ فأنا أسأل الله أن يغفر لي، وإن كان ما قلتَ في باطلاً فالله تعالى يغفره لك» ثم ولَّى عنه. وعن أبي حمزة قال: كان علي بن الحسين يصلي في اليوم واليلة ألف ركعة.

وكان إذا توضأ للصلاة يصفّر لونه فقليل له: ما هذا الذي نراه يعتريك عند الوضوء فيقول: «أما تدرون مَنْ أريد أن أقف بين يديه». وعن طاوس قال: دخلت الحجر في الليل فإذا علي بن الحسين قد دخل فقام يصلي ما شاء الله ثم سجد سجدة فأطالها فقلت: رجل صالح من بيت النبوة لأصغينَ إليه، فسمعتَه يقول: «عبدك بفنائك مسكينك بفنائك سائلك بفنائك فقيرك بفنائك» قال طاوس: فوالله ما طلبت ودعوت بهن في كرب إلا فرج الله عني.

(فائدة استطراذية) عن علي بن أبي طالب كان إذا أهمه أمر يرفع يديه إلى السماء ثم يقول: «يا كهيعص أعوذ بك من الذنوب التي تزيل بها النعم، وأعوذ بك من الذنوب التي بها تحل النقم، وأعوذ بك من الذنوب التي بها تثير الأعداء، وأعوذ بك من الذنوب التي بها تحبس غيث السماء» وهو دعاء مجرب عند الكرب، انتهى من قرة العين في مقتل الحسين. (قال) ابن عائشة سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر إلا بعد موت علي بن الحسين. (وقال) محمد بن إسحاق: كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين معاشهم وماكلهم فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يُؤْتُونَ به ليلاً إلى منازلهم. (وكان) يحمل جراب الخبز على ظهره في الليل يتصدق به، فلما غَسَّلُوهُ جعلوا ينظرون إلى سوادٍ في ظهره فقيل ما هذا، فقال: كان يحمل جراب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة. ولما مات وجدوه كان يقوت أهل مائة بيت. قال سفيان أراد علي بن الحسين الحج فأنفذت إليه أخته سكينه ألف درهم فلحقوه بها بظهر الحرة، فلما نزل فرَّقَهَا على المساكين. وكان إذا هاجت الرياح سقط مغمى عليه. قال المناوي: دَخَلَ عَلَى عَلِيٍّ زين العابدين في مرض موته محمد بن أسامة بن زيد يبكي فقال له: ما يُبْكِيكَ، فقال له: عَلَيَّ دين خمسة عشر ألف دينار، فقال: هي عَلَيَّ، ووَفاها. (يروى) أنه مرض فدخل عليه جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ يعودونه فقالوا: كيف أصبحت يا ابن رسول الله ﷺ فذتك أنفسنا، قال: في عافية واللّه المحمودُ على ذلك، فكيف أصبحتم أنتم جميعاً، قالوا: أصبحنا واللّه لك يا ابن رسول الله ﷺ مُحِينٍ وَأَدِينٍ،

فقال لهم: مَنْ أَحَبَّنَا لِلَّهِ أَسْكَنَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّ ظَلِيلٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، وَمَنْ أَحَبَّنَا يَرِيدُ مَكَافَأَتَنَا كَافَأَهُ اللَّهُ عَنَّا الْجَنَّةَ، وَمَنْ أَحَبَّنَا لَغَرَضٍ دُنْيَا آتَاهُ اللَّهُ رِزْقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ.

(لطيفة) وفد على علي بن الحسين نفرٌ من أهل العراق فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان فلما فرغوا من كلامهم قال لهم: أَلَا تُخْبِرُونِي مَنْ أَنْتُمْ، أَنْتُمْ الْمُهَاجِرُونَ الْأُولُونَ ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ قالوا: لا، قال: فَأَنْتُمْ ﴿الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾⁽¹⁰²⁾، قالوا: لا، فقال: أما أَنْتُمْ الَّذِينَ قَدْ تَبَرَأْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنْ أَحَدِ هَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْكُمْ لَسْتُمْ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾⁽¹⁰³⁾، اخرجوا عني فَعَلَ اللَّهُ بِكُمْ وَصْنَعًا. اهـ من الفصول المهمة.

(كرامتان): الأولى عن عبد الله الزاهد قال لما ولي عبد الملك بن مروان الخلافة كتب إلى الحجاج بن يوسف: «بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى الحجاج بن يوسف، أما بعد فانظر في دماء بني عبد المطلب فاجتنبها، فإني رأيت آل أبي سفيان لما أولعوا بها لم يلبثوا إلا قليلا والسلام»

⁽¹⁰²⁾ سورة الحشر: 9.

⁽¹⁰³⁾ سورة الحشر: 10.

وأرسل بالكتاب بعد أن ختمه سرّاً إلى الحجاج وقال له: اكتب ذلك، فكوشف بذلك علي بن الحسين وأن الله قد شكر ذلك لعبد الملك، فكتب علي بن الحسين من فوره: «بسم الله الرحمن الرحيم من علي بن الحسين إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين، أما بعد فإنك كتبت في يوم كذا من شهر كذا إلى الحجاج في حقنا بني عبد المطلب بما هو كيت وكيت وقد شكر الله لك ذلك» وطوى الكتاب وختمه وأرسل به مع غلام له من يومه على ناقة له إلى عبد الملك بن مروان، وذلك من المدينة المشرفة إلى الشام، فلما وقف عبد الملك على الكتاب وتأمله وجد تاريخه موافقاً لتاريخ كتابه الذي كتبه إلى الحجاج، ووجد مخرج غلام علي بن الحسين موافقاً لمخرج رسوله إلى الحجاج في يوم واحد وساعة واحدة، فعلم صدقه وصلاحه وأنه كوشف بذلك، فأرسل إليه مع غلامه بوقر راحلته دراهم وثيابا وكسوة فاخرة، وسَيَّرَه إليه من يومه وسأله أن لا يخليه من صالح دعائه. كذا في الفصول. (الثانية) استشاره زيد ابنه في الخروج فنهاه وقال: أخشى أن تكون المقتول المصلوب، أما علمت أنه لا يخرج أحد من ولد فاطمة قبل خروج السفيناني إلا قُتل، فكان كما قال.

(نادرة) قال في درر الأصداف: إنه أي علياً زين العابدين خرج يوماً من المسجد فلقيه رجلٌ فسبَّهه وبالح في سبه وأفرط، فعاد إليه العبيد والموالي فكفَّهم عنه وأقبل عليه وقال له: ما ستر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها، فاستحيا الرجل، فألقى إليه خميصه وألقى إليه خمسة آلاف درهم، فقال: أشهد أنك من أولاد المصطفى ﷺ. ولقيه رجل فسبَّهه، فقال له: يا هذا بيني وبين جهنم عقبة إن أنا

جزتها فما أبالي بما قلت وإن لم أجزها فأنا أكثر مما تقول. (ونقل غير واحد) أن هشام بن عبد الملك حجَّ في حياة أبيه فطاف بالبيت وجهد أن يستلم الحجر الأسود فلم يصل إليه لكثرة الزحام، فنصب له منبراً إلى جانب زمزم في الحطيم وجلس عليه ينظر إليه الناس وحوله جماعة من أهل الشام، فبينما هم كذلك إذ أقبل زين العابدين علي بن الحسين يريد الطواف فلما انتهى إلى الحجر الأسود تنحَّى الناس له حتى استلم الحجر الأسود، فقال رجل من أهل الشام: مَنْ هذا الذي قد هابه الناس هذه المهابة فتتحوا عنه يميناً وشمالاً؟ فقال هشام: لا أعرفه؛ مخافة أن يرغب فيه أهل الشام، وكان الفرزدق حاضراً فقال للشامي: أنا أعرفه، فقال: مَنْ هو يا أبا فراس؟

فقال:

هذا الذي تعرفُ البطحاء وطأته	والبيت يعرفُهُ والحِجْلُ والحَرَمُ!
هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ	هَذَا التَّقِيُّ النَّفِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا	إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ
يُنَمَى إِلَى ذُرْوَةِ الْعِزِّ الَّتِي قَصُرَتْ	عَنْ نَيْلِهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ وَالْعَجَمُ
يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ	رُكْنُ الْحَاطِمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ	فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَتَسَمُّ
مَنْ جَدُّهُ دَانَ فَضْلُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُ	وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهُ الْأُمَمُ
يَشْقُ نُورُ الْهُدَى مِنْ نُورِ عُرَّتِهِ	كَالشَّمْسِ يَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الظُّلُمُ
مُسْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَبْعَتُهُ	طَابَتْ عَاصِرُهُ وَالْخَيْمُ وَالشَّيْمُ
هَذَا ابْنُ فَاطِمَةٍ إِنْ كُنْتَ جَاهِلُهُ	بِحَدِّهِ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ خُتِمُوا
اللَّهُ فَضْلُهُ قَدِمًا وَشَرَفُهُ	جَرَى بِذَاكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ

فَلَيْسَ قَوْلُكَ مِنْ هَذَا بَضَائِرِهِ
كَلْنَا يَدِيهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا
سَهْلُ الْخَلِيقَةِ، لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ
حَمَلٌ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ إِذَا فُدِحُوا
مَا قَالَ لَا قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهَدِهِ
لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ مَيِّمُونَ نَفْسِيَّتُهُ
عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ فَاَنْفَصَلَتْ
مِنْ مَعْشَرِ حُبِّهِمْ دِينَ وَبُعْضُهُمْ
إِنْ عُدَّ أَهْلُ التَّقَى كَانُوا أَتَمَّتَهُمْ
لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادٌ بَعْدَ غَايَتِهِمْ
هُمُ الْغِيُوثُ، إِذَا مَا أَرَمَتْ أَرَمَتْ
لَا يُنْقِصُ الْعُسْرُ بَسْطًا مِنْ أَكْفَهُمْ
يُسْتَدْفَعُ الشُّوْءُ وَالْبَلَاؤُ بِحُبِّهِمْ
مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ
يَأْبَى لَهُمْ أَنْ يَحِلَّ الذَّمُّ سَاخَتْهُمْ
أَيُّ الْخَلَائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ
مَنْ يَعْرِفِ اللَّهَ يَعْرِفِ أَوْلِيَّتَهُ ذَا
الْعُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ وَالْعَجَمُ
يُسْتَوَكْفَانِ وَلَا يَعْرِوهُمَا الْعَدَمُ
يَزِيئُهُ اثْنَانِ حُسْنُ الْخَلْقِ وَالْكَرَمُ
حُلُوُ الشَّمَائِلِ تَحَلُّوْا عِنْدَهُ نَعَمُ
لَوْلَا التَّشَهُدُ كَانَتْ لَأَوُّهُ نَعَمُ
رَحْبُ الْفِنَاءِ أَرِيبٌ حِينَ يَعْتَرِمُ
عَنْهُ الْقِتَارَةُ وَالْإِمْلَاقُ وَالْعَدَمُ
كُفْرٌ وَفُرْبُهُمْ مَنْجَى وَمُعْتَصَمُ
أَوْ قِلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ قِيلَ هُمْ
وَلَا يُدَانِيهِمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا
وَالْأَسْدُ أَسَدُ الشَّرِّ، وَالْبَاسُ مُحْتَدَمُ
سَيِّانِ ذَلِكَ إِنْ أَثَرُوا وَإِنْ عَدِمُوا
وَيُسْتَرَادُّ بِهِ الْإِحْسَانُ وَالنَّعَمُ
فِي كُلِّ بَدْءٍ وَمَخْتَوْمٌ بِهِ الْكَلِمُ
خَيْمٌ كَرِيمٌ وَأَيْدٍ بِاللَّيْءِ عَصَمُ
لِأَوْلِيَّتِهِ هَذَا أَوْ لَهُ نَعَمُ
وَالدِّينُ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالُهُ الْأَمُّ

فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب ثم أخذ الفرزدق وسجنه
بعسفان، فبلغ ذلك علي بن الحسين فبعث إليه بأربعة آلاف درهم،
فردّها الفرزدق وكتب إليه: إنما مدحتك بما أنت أهله، فردّها عليه
علي وكتب إليه أن خذها وتعاون بها على دهرك فإنا أهل بيت إذا

وهبنا شيئاً لا نستعيده، فقبلها منه، وفي رواية: فبعث إليه باثني عشر ألف درهم، وفي رواية بعشرة آلاف درهم وقال: اعذرنا يا أبا فراس فلو كان عندنا أكثر من هذا لوصلناك به، وجعل الفرزدق يهجو هشاماً وهو في السجن فبعث وأخرجه. ومن هجوه له كما ذكره الخطيب البغدادي وغيره من قصيدة طويلة:

أَيْحُسْنِي بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالَّتِي إِلَيْهَا قُلُوبُ النَّاسِ يَهْوِي مُنِيرُهَا
يُقَلِّبُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ وَعَيْنَ لَهُ حَوْلَاءُ بَادٍ عُيُوبُهَا

قال الشيخ عبد الجواد الشربيني في كتاب درر الأصداف في مناقب الأشراف: كان علي بن الحسين عاملاً على كتمان أسرار الله تعالى في العالم كما أشار إلى ذلك في قوله:

يَا رَبِّ جَوْهَرِ عِلْمٍ لَوْ أَبُوْحُ بِهِ لَقِيلَ لِي أَنْتَ مِمَّنْ يَعْبُدُ الْوَثْنَا
وَلَا سَتَحَلَّ رَجَالٌ مُسْلِمُونَ دَمِي يَرُونَ أَفْبَحَ مَا يَأْتُونَهُ حَسَنًا
انتهى.

(تتمة في الكلام على وفاته وأولاده وذكر شيء من كلامه)

توفي علي زين العابدين في ثاني عشر المحرم سنة أربع وتسعين من الهجرة وكان عمره إذ ذاك سبعاً وخمسين سنة، قال ابن الصباغ المالكي المكي يُقال إنه مات مسموماً وأن الذي سمه الوليد بن عبد الملك، ودُفن بالبقيع في القبر الذي دُفن فيه عمه الحسن بن علي بن أبي طالب في القبة التي فيها العباس بن عبد المطلب. (وأولاده) خمسة عشر ولداً ما بين ذكر وأنثى، أحد عشر ذكراً وأربع إناث، وهم: محمد المُكَنَّى بأبي جعفر الملقب بالباقر أمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي عم علي زين العابدين، وزيد وعمر أمهما أم

ولد، وعبد الله والحسن والحسين أمهم أم ولد، والحسين الأصغر وعبد الرحمن وسليمان أمهم أم ولد، وعلي وكان أصغر ولد علي بن الحسين وخديجة أمهما أم ولد، وفاطمة وعليه وأم كلثوم أمهن أم ولد، فهؤلاء أولاده ﷺ أجمعين. انتهى من الفصول المهمة لكن سقط منهم واحد؛ لأن المعداد في عبارته عشرة وقد قال من الذكور أحد عشر ذكرًا. هذا وفي بغية الطالب أن أولاد علي زين العابدين الذكور عشرة فقط والله أعلم. (ومن كلامه) «عجبتُ لمن يحتمي من الطعام لِمَصْرَّتِهِ ولا يحتمي من الذنب لمعرفته». وقال: «أربع عزهن ذل: البنت ولو مريم، والدين ولو درهم، والغربة ولو ليلة، والسؤال ولو كيف الطريق». وقال: «مَن قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس»، وكان يتصدق سرًّا ويقول: «صدقة السر تطفئ غضب الرب».

(موعظة) قال أبو حمزة الثمالي: أتيت باب علي بن الحسين فكرهت أن أنادي فقعدت على الباب إلى أن خرج فسلمت عليه ودعوت له، فردَّ عليّ ثم انتهى بي إلى حائط فقال: يا أبا حمزة ألا ترى إلى هذا الحائط، قلت: بلى يا سيدي، قال: فإني متكئ عليه وأنا حزين مفكر إذ دخل عليّ رجلٌ حسنُ الثياب طيبُ الرائحة ثم نظر في وجهي وقال: يا علي بن الحسين أراك كثيرًا حزينًا على الدنيا فهو رزق حاضر يأكل منه البار والفاجر، فقلت: ما عليها أحزن وإنه كما تقول، قال: فعلام حزنك، قلت: أتخوف من فتنة ابن الزبير، قال فضحك ثم قال: يا علي هل رأيت أحدًا خاف الله فلم يُنجه، قلت: لا، قال يا علي هل رأيت أحدًا سأل الله فلم يُعطه، قلت: لا،

ثم نظرت فإذا ليس قدامي أحد فعجبت من ذلك، وإذا بقائل أسمع
صوته ولا أرى شخصه يقول: يا علي بن الحسين هذا الخضر ناجاك.
كذا في الفصول المهمة.

فصل في ذكر سيدنا محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين أجمعين

قال المناوي في طبقاته سُمي باقراً؛ لأنه بقر العلم أي شقه فعرف أصله، (ولد) محمد الباقر بالمدينة في ثالث صفر سنة سبع وخمسين من الهجرة قبل قتل جده الحسين بثلاثة سنين، (وكنيته) أبو جعفر لا غير، (وألقابه) ثلاثة: الباقر والشاكر والهادي، وأشهرها الباقر. (رُوي) عن الزبير بن محمد بن مسلم المكي قال كنا عند جابر بن عبد الله فأتاه علي بن الحسين ومعه ابنه محمد وهو صبي فقال علي لابنه محمد وهو صبي: قُبِّلَ رأس عمك، فدنا محمد من جابر فقبَّلَ رأسه فقال جابر: من هذا، وكان قد كُفَّ بصره، فقال له علي بن الحسين: هذا ابني محمد، فضمه جابر إليه وقال: يا محمد، محمد رسول الله ﷺ يقرئك السلام، فقالوا كيف ذلك يا أبا عبد الله، قال: كنت عند رسول الله ﷺ والحسين في حجره وهو يلاعبه فقال: «يا جابر يُولد لابني الحسين ابنٌ يُقال له علي فإذا كان يوم القيامة ينادي مُنادٍ ليقم سيد العابدين فيقوم علي بن الحسين ويولد لعلي بن الحسين ابنٌ يُقال له محمد يا جابر إن أدركته فأقرئه مني السلام وإن لاقيته فاعلم أن بقاءك بعده قليل»، فلم يعيش جابر بعد ذلك غير ثلاثة أيام، ورُوي أن محمداً الباقر بن علي سأل جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه لما دخل عليه عن عائشة وما جرى بينها وبين علي فقال له جابر: دخلتُ عليها يوماً وقلتُ لها ما تقولين في علي بن أبي طالب، فأطرقت

رأسها ثم رفعته وقالت:

إِذَا مَا التَّبَرُّ حُكَّ عَلَى مَحَكِّ تَبَيَّنَ غِشُّهُ مِنْ غَيْرِ شَكِّ
وَفِينَا الْغُشُّ وَالذَّهَبُ الْمُصَفَّى عَلَيَّ بَيْنَنَا شَبَهُ الْمَحَكِّ

(وأم محمد الباقر) أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب
عليه السلام فهو هاشميٌّ من هاشميينِ عَلَوِيٍّ من علويين، نقش خاتمه: رب
لا تذرني فرداً، (ونقل) الثعلبي في تفسيره أن الباقر نقش في خاتمة
هذه الكلمات:

ظني بالله حسن وبالنبي المؤتمن
وبالوصي ذي المنن وبالحسين والحسن

(ومعاصره) الوليد، (وأولاده) يزيد وإبراهيم، (صفة الباقر) أسمر
معتدل، (وشاعره) الكميت والسيد الحميري، (وبوابه) جابر الجعفي.
قال صاحب الإرشاد: لم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين من
علم الدين والسنن وعلم القرآن والسير وفنون الأدب ما ظهر عن أبي
جعفر الباقر، روى عن معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين،
وسارت بذكر علومه الأخبار، وأنشدت في مدائحه الأشعار،
فمن ذلك ما قاله مالك بن أعين الجهني من قصيدة يمدحه فيها:

إِذَا طَلَبَ النَّاسُ عِلْمَ الْقُرْآنِ نَ كَانَتْ قَرِيشٌ عَلَيْهِ عِيَالَا
إِنْ فَاهُ ابْنُ بَنِيهِ النَّبِيِّ تَلَقَّتْ يَدَاكَ فِرْعَوْنًا طَوَالَا
وفيه يقول الرضي:

يَا بَاقِرَ الْعِلْمِ لِأَهْلِ التَّقَى وَخَيْرَ مَنْ لَبَّى عَلَى الْأَجَلِ
(ومناقبه كثيرة ومشهورة) حكى مولاه أفلح قال حججت مع أبي
جعفر محمد الباقر فلما دخل المسجد ونظر البيت بكى، فقلت: بأبي

أنت وأمي إن الناس ينظرون إليك فلو خفضت صوتك قليلاً، فقال: «ويحك يا أفلح ولم لا أرفع صوتي بالبكاء لعل الله ينظر إليَّ برحمةٍ منه فأفوز بها غداً»، ثم طاف بالبيت وجاء حتى ركع خلف المقام فلما فرغ إذا موضع سجوده مبتل من دموع عينيه. (وروى) عنه ابنه جعفر قال كان أبي يقول في جوف الليل في تضرعه: «أمرتني فلم أتمر ونهيتني فلم أنزجر فيها أنا عبدك بين يديك مُقَرَّرٌ لا أعتذر». قال خالد بن الهيثم قال أبو جعفر محمد الباقر: «ما اغرورقت عينٌ من خشية الله تعالى إلا حَرَّمَ الله وجه صاحبها على النار، فإن سألت على الخدين دموعه لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة، وما من شيء إلا وله جزاء إلا الدمعة فإن الله تعالى يُكفِّرُ بها بحوراً من الخطايا، ولو أن باكيًا يبكي في أمة لحرَّم الله تلك الأمة على النار».

(فائدتان): الأولى روى الزهري قال: حجَّ هشام بن عبد الملك فدخل المسجد الحرام متوكئاً على سالم مولاه ومحمد بن علي في المسجد فقال له سالم: يا أمير المؤمنين هذا محمد بن علي بن الحسين في المسجد المفتون به أهل العراق فقال اذهب إليه وقل له: يقول لك أمير المؤمنين ما الذي يأكله الناس ويشربونه إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة؟ فقال له: قل له يُحشر الناس على مثل قرص من نقى فيها أنهار متفجرة يأكلون ويشربون منها حتى يفرغوا من الحساب، قال فلما سمع هشام ذلك رأى أنه قد ظفر به فقال: الله أكبر ارجع إليه فقل له: ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذ؟ فقال محمد: قل له هم في النار ولم يشغلوا أن قالوا أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله، فسكت هشام ولم يرجع كلاماً.

(الثانية) روي أن العلاء بن عمرو بن عبيد قدم على محمد صاحب الترجمة ابن علي بن الحسين عليه السلام يمتحنه فقال له: جُعِلْتُ فداك ما معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾⁽¹⁰⁴⁾، ما هذا الرق والفتق، فقال له أبو جعفر محمد: كانت السماء رتقًا لا تنزل مطرًا وكانت الأرض رتقًا لا تخرج النبات ففتقناها بنزول المطر وخروج النبات، فسكت أبو عمرو ولم يجد اعتراضًا ثم سأله عن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾⁽¹⁰⁵⁾، ما غضب الله تعالى، فقال: طرده وعقابه يا أبا عمرو ومن ظن أن الله يغيره شيء فقد كفر. (وسئل) عن قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾⁽¹⁰⁶⁾، فقال: بصبرهم على الفقر ومصائب الدنيا. حكى سلمى مولاة أبي جعفر أنه كان يدخل عليه بعض إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب ويكسوهم في بعض الأحيان ويعطيهم الدراهم، قالت فكنت أكلمه في ذلك لكثرة عياله وتوسط حاله فيقول: «يا سلمى ما حسنة الدنيا إلا صلة الإخوان والمعارف»، فكان يصل بالخمسمائة درهم وبالستمائة إلى ألف درهم.

(كرامة) قال أبو بصير قلت يومًا للباقر: أنتم ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: نعم، قلت: ورسول الله صلى الله عليه وآله وارث الأنبياء جميعهم، قال: وارث جميع علومهم، قلت: وأنتم ورثتم جميع علوم رسول الله،

⁽¹⁰⁴⁾ سورة الأنبياء: 30.

⁽¹⁰⁵⁾ سورة طه: 81.

⁽¹⁰⁶⁾ سورة الفرقان: 75.

قال: نعم، قلت: فأنتم تقدرون أن تُحيوا الموتى وتُبرؤوا الأكمه والأبرص وتخبروا الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، قال: نعم نفعل ذلك بإذن الله تعالى، ثم قال: أدُّنْ مني يا أبا بصير، وكان أبو بصير مكفوف النظر، قال: فدنوت منه فمسح بيده على وجهي فأبصرتُ السماء والجبل والأرض، فقال: أتعجب أن تكون هكذا تبصر وحسابك على الله أو تكون كما كنت ولك الجنة، قلت: الجنة، فمسح بيده على وجهي فعدتُ كما كنت.

(لطيفة) من كتاب الصفوة لابن الجوزي عن عروة بن عبد الله قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيف فقال: لا بأس به وقد حلّى أبو بكر الصديق سيفه، فقلت: تقول الصديق، قال فوثب وثبةً واستقبل القبلة وقال: نعم الصديق ونعم الصديق فمن لم يقل الصديق فلا صدّق الله له قولاً في الدنيا ولا في الآخرة. اهـ.

(كرامتان): الأولى عن جعفر الصادق قال كان أبي في مجلس عام ذات يوم إذ أطرق برأسه إلى الأرض ثم رفعه فقال: يا قوم كيف أنتم إذا جاءكم رجل يدخل عليكم مدينتكم هذه في أربعة آلاف حتى يستعرضكم على السيف ثلاثة أيام متوالية فيقتل مقاتلكم وتلقون منه بلاء لا تقدرون عليه ولا على دفعه وذلك من قابل فخذوا حذركم واعلموا أن الذي قلت لكم هو كائن لا بدّ منه، فلم يلتفت أهل المدينة إلى كلامه وقالوا: لا يكون هذا أبداً فلما كان من قابل، تحمل أبو جعفر من المدينة بعياله هو وجماعة من بني هاشم وخرجوا منها، فجاءها نافع بن الأزرق فدخلها في أربعة آلاف واستباحها ثلاثة أيام وقتل فيها خلقاً كثيراً لا يحصون وكان الأمر على ما قال. (الثانية)

من كتاب الدلائل للحميري عن زيد بن حازم قال كنت مع أبي جعفر محمد بن علي الباقر فمرّ بنا زيد بن علي أخوه فقال أبو جعفر: أما رأيت هذا ليخرجنّ بالكوفة وليُقتلن وليُطافن برأسه، فكان كما قال.

تتمة في الكلام على وفاته وأولاده وذكر شيء من كلامه مات أبو جعفر محمد الباقر سنة سبع عشرة ومائة، وله من العمر ثلاث وستون سنة وقيل ثمان وخمسون وقيل غير ذلك، وأوصى أن يُكفّن في قميصه الذي كان يصلي فيه.

وفي درر الأصداف: مات مسموماً كأبيه ودُفن بقبة العباس بالبقيع. ومثله في الفصول المهمة عن ابنه جعفر الصادق قال كنت عند أبي في اليوم الذي قبض فيه فأوصاني بأشياء في غسله وتكفينه ودفنه ودخول القبر قال: فقلت يا أبت والله ما رأيتك منذ اشتكيت أحسن منك اليوم ولا أرى عليك أثر الموت، فقال: يا بني أما سمعت علي بن الحسين يناديني من وراء الجدار يا محمد عجّل.

وأولاده ستة وقيل سبعة وهم: أبو عبد الله جعفر الصادق وكان يُكنّى به وعبد الله أمهما أم فروة بنت القاسم بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وإبراهيم وعبد الله أمهما أم حكيم بنت أسد بن المغيرة الثقفية، وعليّ وزينب لأم ولد. نقله صاحب الإرشاد.

ومن كلامه: «ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ذلك قلّ أو كثر»، وقال: «سلاح اللئام قبح الكلام»، وكان يقول: «والله لموت عالم أحب إلى الشيطان من موت سبعين عبداً»، وقال: «شيعتنا من أطاع الله».

(موعظة) عن جابر الجعفي قال: قال لي محمد بن علي بن الحسين: يا جابر إني لمشتغل القلب، قلت: وما يشغل قلبك، قال: يا جابر إنه من يدخل قلبه دين الله الخالص شغله عما سواه، يا جابر ما الدنيا وما عسى أن تكون، هل هي إلا مركب ركبته أو ثوب لبسته أو امرأة أصبتها، يا جابر إن المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا لزوالها ولم يأمنوا الآخرة لأهوالها، وإن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة وأكثرهم لك معونة، إن نسيت ذكرك وإن ذكرت أعانوك، أليسوا قوالين لحق الله قائمين بأمر الله، فاجعل الدنيا كمنزل نزلت به وارتحلت منه، وكمال أصبته في منامك ثم استيقظت وليس معك منه شيء، واحفظ الله فيما استرعاك من دينه وحكمته. (وقال): «الغنى والفقر يجولان في قلب المؤمن فإذا وصلا إلى مكان التوكل استوطناه»، (ومن) كلامه: «الصواعق تصيب المؤمن وغيره ولا تصيب ذاكر الله عز وجل»، وقال: «ما من عبادة أفضل من عفة بطن وفرج»، وقال: «بئس الأخ يركبك غنياً ويقطعك فقيراً» (وقال لابنه) «يا بني إذا أنعم الله عليك نعمة فقل الحمد لله، وإذا أحزنك أمر فقل لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإذا أبطأ عليك الرزق فقل أستغفر الله»، (وقال): «اعرف المودة في قلب أخيك بماله في قلبك». وفي كتاب نثر الدرر لأبي سعيد منصور بن الحسين إن محمد بن زين العابدين قال لابنه جعفر الصادق: «يا بني إن الله خبأ ثلاثة أشياء في ثلاثة أشياء: خبأ رضاه في طاعته فلا تحقرن من الطاعة شيئاً ففعل رضاه فيه، وخبأ سخطه في معصيته فلا تحقرن من معصيته شيئاً ففعل سخطه فيه، وخبأ أوليائه في خلقه فلا تحقرن أحداً ففعله ذلك الولي».

فصل في ذكر مناقب سيدنا جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب

ولد جعفر الصادق بالمدينة سنة ثمانين من الهجرة وقيل سنة ثلاث وثمانين، قال بعضهم والأول أصح، وأمه الفروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأم القاسم أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، فكان يقول: «ولدني الصديق مرتين» ذكره الماوردي في الطبقات، (وكنيته) أبو عبد الله وقيل أبو إسماعيل، (وألقابه) ثلاثة: الصادق والفاضل والطاهر، وأشهرها الصادق، (صفته) معتدل آدم اللون، (وشاعره) السيد الحميري، (وبوابه) المفضل بن عمرو، (نقش خاتمه) ما شاء الله لا قوة إلا بالله أستغفر الله، (ومعاصره) أبو جعفر المنصور، (ومناقبه) كثيرة تكاد تفوت عدَّ الحاسب ويحارُّ في أنواعها فهم اليَقِظ الكاتب.

روى عنه جماعة من أعيان الأئمة وأعلامهم كيحيى بن سعيد، ومالك بن أنس، والثوري، وابن عُيينة، وأبي حنيفة، وأيوب السخيتاني وغيرهم. قال أبو حاتم: جعفر الصادق ثقة لا يُسأل عن مثله. (في درر الأصداف) قال لأبي حنيفة: بلغني أنك تقيس في الدين وأول مَنْ قاس إبليس، فقال أبو حنيفة: إنما أقيس فيما لا أجد فيه نصًّا. (قال) ابن أبي حازم كنت مع جعفر الصادق يوماً إذا سفيان الثوري بالباب فقال: ائذن له، فدخل فقال له جعفر: يا سفيان إنك

رجل يطلبك السلطان في بعض الأحيان وتحضر عنده وأنا أنقي السلطان فاخرج عني غير مطرود، فقال سفيان: حدّثني حديثاً أسمعه منك وأقوم، فقال: حدّثني أبي عن جدي عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أُنعمَ الله عليه فليحمد الله، وَمَنْ استبطأَ الرزق فليستغفر الله، ومن حزبه أمر فليقل لا حول ولا قوة إلا بالله»، فلما قام سفيان قال جعفر: خذها يا سفيان ثلاثاً وأيّ ثلاث. وفي حياة الحيوان الكبرى فائدة: قال ابن قتيبة في كتاب أدب الكاتب: وكتاب الجفر كتبه الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر عليه السلام فيه كل ما يحتاجون علمه إلى يوم القيامة، وإلى هذا الجفر أشار أبو العلاء المعري بقوله: لقد عَجِبُوا لآل البيت لَمَّا أتاهم عِلْمُهُم في جلد جَفَرٍ ومِراةُ المُنْجَم وهي صُغرى تُريه كُلَّ عامرةٍ وقَفَرٍ والجَفَر من أولاد المعز ما بلغ أربعة أشهر وانفصل عن أمه. (وفي) الفصول المهمة نقل بعض أهل العلم أن كتاب الجفر الذي بالغرب يتوارثه بنو عبد المؤمن بن علي من كلام جعفر الصادق وله فيه المنقبة السنية والدرجة التي في مقام الفضل عليه. (وكان) جعفر الصادق مجاب الدعوة إذا سأل الله شيئاً لا يتم قوله إلا وهو بين يديه.

(كرامتان): الأولى: حدّث عبد الله بن الفضل بن الربيع عن أبيه أنه قال: لما حج المنصور سنة سبع وأربعين ومائة قدم المدينة فقال للربيع: ابعث إلى جعفر بن محمد، مَنْ يأتينا به مُتعباً قتلني الله إن لم أقتله، فتغافل الربيع عنه وتناساه، فأعاد عليه في اليوم الثاني وأغلظ في القول، فأرسل إليه الربيع فلما حضر قال له الربيع: يا أبا عبد الله اذكر

اللّٰه تعالى فإنه قد أرسل لك مَنْ لا يدفع شره إلّا اللّٰه وإنّي أتخوف عليك، فقال جعفر: لا حول ولا قوة إلّا باللّٰه العلي العظيم، ثم إن الربيع دخل به على المنصور فلما رآه المنصور أغلظ له في القول وقال: يا عدو اللّٰه اتّخذك أهل العراق إمامًا يجيئون إليك زكاة أموالهم وتلحد في سلطاني وتتبع لي الغوائل قتلني اللّٰه إن لم أقتلك، فقال جعفر: يا أمير المؤمنين إن سليمان أُعطي فشكر، وإن أيوب ابتلي فصبر، وإن يوسف ظلم فغفر، وهؤلاء أنبياء اللّٰه وإليهم يرجع نسبك ولك فيهم أسوة حسنة، فقال المنصور: أجل يا أبا عبد اللّٰه ارتفع إلى هنا عندي، ثم قال: يا أبا عبد اللّٰه إن فلانًا أخبرني عنك بما قلت لك، فقال: أحضره يا أمير المؤمنين ليوافقني على ذلك، فأحضر الرجل الذي سعى به إلى المنصور فقال له المنصور: أحقًا ما حكيت لي عن جعفر؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين، فقال جعفر: استحلفه، فبادر الرجل وقال واللّٰه العظيم الذي لا إله إلّا هو عالم الغيب والشهادة الواحد الأحد وأخذ يعدد في صفات اللّٰه تعالى، فقال جعفر: يا أمير المؤمنين يحلف بما أستحلفه، فقال: حلفه بما تختار، فقال جعفر: قل برئت من حول اللّٰه وقوته والتجأت إلى حولي وقوتي لقد فعل جعفر كذا وكذا، فامتنع الرجل، فنظر إليه المنصور نظرة منكرة، فحلف بها فما كان بأسرع من أن ضرب برجله الأرض وخر ميتًا مكانه، فقال المنصور: جروا برجله وأخرجوه، ثم قال: لا عليك يا أبا عبد اللّٰه أنت البريء السّاحية والسّليم النّاحية المأمون الغائلة، عليّ بالطيب فأتي بالغالية فجعل يُغلف بها لحيته إلى أن تركها تقطر وقال: في حفظ اللّٰه وكلاءته والحقّه يا ربيع بجوائز حسنة وكسوة سنّية، قال

الربيع: فلهقه بذلك ثم قال له: يا أبا عبد الله رأيتك تحرك شفتيك وكلما حركتها سكن غضب المنصور بأي شيء كنت تحركها، قال: بدعاء جدي الحسين، قلت وما هو يا سيدي، قال:

«اللهم يا عُدتي عند شدتي، ويا غوثي عند كربتي، احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنك الذي لا يرام، وارحمني بقدرتك عليّ فلا أهلك وأنت رجائي، اللهم إنك أكبر وأجل وأقدر مما أخاف وأحذر، اللهم بك أدركني في نحره وأستعيذُ من شره إنك على كل شيء قدير»، قال الربيع: فما نزل بي شدة ودعوت به إلا فرج الله عني، قال الربيع وقلت له: منعت الساعي بك إلى المنصور من أن يحلف بيمينه وأحلفته بيمينك فما كان إلا أن أخذ لوقته ما السر فيه، قال: لأن في يمينه توحيد الله وتمجيده وتنزيهه فقلت يحلم عليه ويؤخر عنه العقوبة وأحببت تعجيلها إليه فاستحلفته بما سمعت فأخذه الله لوقته. (الثانية) روي أن داود بن علي بن عبد الله بن العباس قتل المعلى بن حسين مولى كان لجعفر الصادق وأخذ ماله، فبلغ ذلك جعفر فدخل داره ولم يزل ليله كله قائماً إلى الصباح، فلما كان وقت السحر سمع منه في مناجاته: «يا ذا القوة القوية، يا ذا المحال الشديد، يا ذا العزة التي خلقت لها ذليل، اكفنا هذه الطاغية وانتقم لنا منهم»، فما كان إلا أن ارتفعت الأصوات وقيل مات داود بن علي فجأة. (الثالثة) لما بلغ جعفر الصادق قول الحكم بن عباس الكلبي:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ولم أر مهادياً على الجذع يصلب رفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك»، فبعثه بنو أمية إلى الكوفة فافترسه الأسد في الطريق، فبلغ ذلك

جعفرًا فخرًا ساجدًا لله تعالى وقال: الحمد لله الذي أنجزنا ما وعدنا.
(الرابعة) عن إبراهيم بن عبد الحميد قال: اشتريت بردة من مكة وآليت على نفسي أن لا تخرج من ملكي حتى تكون كفني، فخرجت بها إلى عرفة فوقفت فيها الموقف ثم انصرفت إلى المزدلفة فبعد أن صليت فيها المغرب والعشاء رفعتها وطويتها ووضعتها تحت رأسي ونمت، فلما انتبهت لم أجدها فاغتممت لذلك غمًا شديدًا، فلما أصبحت صليت وأفضت مع الناس إلى منى فوالله إني لفي مسجد الخيف إذ أتاني رسول أبي عبد الله جعفر الصادق يقول لي يقول لك أبو عبد الله: تأتينا في هذه الساعة، فقمتم مسرعًا حتى دخلت على أبي عبد الله وهو في فسطاط فسلمت وجلست فالتفت إلي وقال: يا إبراهيم تحب أن نعطيك بردة تكون لك كفنًا، قلت: والذي يُحلف به لقد كان معي بردة معها لذلك ولقد ضاعت مني بالمزدلفة، فأمر غلامه فأتى ببردة فناولنيها فإذا هي بردتي بعينها فقلت: بردتي يا سيدي، فقال: خذها فقد جمعها الله عليك يا إبراهيم.

(فوائد الأولى): قال جعفر الصادق صاحب الترجمة: لما رفعت إلى أبي جعفر المنصور بعد قتل محمد بن عبد الله بن الحسن نهرني وكلمني بكلام غليظ ثم قال: يا جعفر قد علمت بفعل محمد بن عبد الله الذي تسمونه النفس السنية وما نزل به وإنما أنتظر الآن أن يتحرك منكم أحد فألحق الصغير بالكبير، قال: قلت يا أمير المؤمنين حدثني محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام أن رسول الله قال: «إن الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين فيصله الله إلى ثلاث وثلاثين سنة وإن الرجل ليقطع رحمه

وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثون سنة فينزلها الله إلى ثلاث سنين»، قال: فقال الله سمعت هذا من أبيك، فقلت: والله لقد سمعتها منه، فرددها عليّ ثلاثاً ثم قال انصرف. (الثانية) روي عن جعفر الصادق أنه قال لعلامة ناقد: يا ناقد إذا كتبت كتاباً في حاجة وأردت أن تنجح حاجتك التي تريد فاكتب في رأس الورقة: «بسم الله الرحمن الرحيم وعد الله الصابرين المخرج مما يكرهون والرزق من حيث لا يحتسبون جعلنا وإياكم من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» قال ناقد: فكنتم أفعل فتنجح حوائي. (الثالثة) قال جعفر الصادق: «للصدقة خمس شروط، فمن كانت فيه فانسبوه إليها ومن لم تكن فيه فلا تنسبوه إلى شيء منها وهي: أن يكون زين صديقه زينه وسريته له كعلانيته، وأن لا يغيره عليه مال، وأن يراه أهلاً لجميع مودته ولا يسلمه عند النكبات».

(تتمة) في الكلام على وفاته وأولاده وذكر شيء من كلامه قال ابن الصباغ مات جعفر الصادق بن محمد سنة ثمان وأربعين ومائة، في شوال وله من العمر ثمان وستون سنة يقال إنه مات بالسقم في أيام المنصور ودفن بالبقيع في القبر الذي دفن فيه أبوه وجده وعم جده، فله دره من قبر ما أكرمه وأشرفه، انتهى. (وأولاده) كانوا سبعة وقيل أكثر، ستة ذكور وبنت واحدة وهم: إسماعيل ومحمد وعلي وعبد الله وإسحاق وموسى الكاظم والبنت اسمها فروة كذا في الفصول المهمة، (وفي الملل والنحل للشهرستاني) كان لجعفر الصادق خمسة أولاد: محمد وإسماعيل وعبد الله وموسى وعلي، وأسقط إسحاق والبنت، (وفي بغية الطالب) أن أولاد جعفر تسعة إلا

أنه لم يسردهم بالعد جميعهم إنما عدَّ ما في الفصول المهمة واقتصر ولم يذكر البنت.

(ومن كلامه) «لا يتم المعروف إلا بثلاث: تعجيله وتصغيره وستره»، وقال: «ما كل مَنْ رأى شيئاً قدر عليه، ولا كل مَنْ قدر على شيء وُفق له، ولا كل مَنْ وُفق أصاب له موضعاً، فإذا اجتمعت النية والمقدرة والتوفيق والإصابة فهناك السعادة»، وقال: «تأخير التوبة اغترار، وطول التسويف حيرة، والاعتلال على الله هلكة، والإصرار على الذنب من مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون». وقال: «أربعة أشياء القليل منها كثير: النار والعداوة والفقر والمرض»، وسُئِلَ لم سمي البيت العتيق، قال: لأن الله تعالى عتقه من الطوفان، وقال: «صحبة عشرين يوماً قرابة»، وقال: «كفارة عمل الشيطان الإحسان إلى الإخوان»، وقال: «إذا دخلت منزل أخيك فاقبل الكرامة ما خلا الجلوس في الصدور»، وقال: «البنات حسنات والبنون نعم والحسنات يثاب عليها والنعم مسئول عنها»، وقال: «من لم يستح عند العيب ويرعو عند الشيب ويخش الله بظهر الغيب فلا خير فيه»، وقال: «إياكم وملاحاة الشعراء فإنهم يضمنون بالمدح ويجودون بالهجاء»، وكان يقول: «اللهم إنك بما أنت له أهل من العفو أولى بما أنا له أهل من العقوبة»، وقال: «مَنْ أكرمك فأكرمه ومَنْ استخفَّ بك فأكرم نفسك عنه»، وقال: «منع الجود سوء ظن بالمعبود»، وقال: «دعا الله الناس في الدنيا بآبائهم ليتعارفوا، ودعاهم في الآخرة بأعمالهم ليجازوا فقال: يا أيها الذين آمنوا، يا أيها الذين كفروا»، وقال: «إن عيال المرء أسراؤه فمن أنعم الله عليه نعمة

فليوسع على أسرائه فإن لم يفعل يوشك أن تزول تلك النعمة عنه»، وقال: «ثلاثة لا يزيد الله بها الرجل المسلم إلا عزاً: الصّبح عمن ظلمه، والإعطاء لمن حرمه، والصلة لمن قطعه»، وقال: «المؤمن إذا غضب لم يخرج به غضبه عن حق، وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل»، (قال) بعض شيعة جعفر الصادق دخلت عليه وموسى ولده بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية فحفظتها فكان مما أوصى به أن قال: «يا بني اقبل وصيتي واحفظ مقالتي فإنك إن حفظتها تعيش سعيداً وتمت حميداً، يا بني إنه من قنع بما قسم الله له استغنى، ومن مدّ عينيه إلى ما في يد غيره مات فقيراً، ومن لم يرصّ بما قسم الله له اتهم ربه في قضائه، ومن استصغر زلة نفسه استصغر زلة غيره، يا بني من كشف حجاب غيره انكشفت عورته، ومن سلّ سيف البغي قُتل به، ومن احتقر لأخيه بئراً سقط فيها، ومن داخل السفهاء حقر، ومن خالط العلماء وقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم، يا بني قل الحق لك أو عليك، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال، يا بني إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه، فإن للجود معادن، وللمعادن أصولاً، وللأصول فروعاً، وللفروع ثمرًا، ولا يطيب ثمر إلا بفروع الأصل، ولا أصل ثابت إلا بمعدن طيب، يا بني إذا زرت فرّ الأخيّار ولا تزر الأشرار؛ فإنهم صخرة لا يتفجر ماؤها وشجرة لا يخضر ورقها وأرض لا يظهر عشبها». (قال) أحمد بن عمر بن مقdam الرازي: وقع الذباب على وجه المنصور فذبّه فعاد حتى أضجره، وكان عنده جعفر بن محمد في ذلك الوقت فقال له المنصور: يا أبا عبد الله لم خلق الله الذباب، قال: ليدل به الجبابرة،

فسكت المنصور. قال سفيان الثوري سمعت جعفرًا الصادق يقول: «عزَّت السلامة حتى لقد خفي مطلبها، فإن تكُ في شيء فيوشك أن تكون في الخمول، وإن طُلبت في الخمول فلم توجد فيوشك أن تكون في العزلة والخلوة، فإن لم توجد في العزلة والخلوة فيوشك أن تكون في كلام السلف، والسعيد من وجد في نفسه خلوة تشغله عن الناس». روى محمد بن حبيب عن جعفر الصادق بن محمد عن أبيه عن جده ورفعاه قال: «ما من مؤمن أدخل على قوم سرورًا إلا خلق الله من ذلك السرور ملكًا يعبد الله يحمده ويمجّده فإذا صار المؤمن في لحده أتاه ذلك السرور الذي أدخله على أولئك ملكًا فيقول أنا اليوم أونسٌ وحشتك وألقنك وأثبتك بالقول الثابت وأشهد بك مشاهد القيامة وأشفع بك إلى ربك وأريك منزلتك في الجنة» كذا في الفصول المهمة.

فصل في ذكر مناقب سيدنا موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بين محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب

أمه أم ولد يقال لها حميدة البربرية، ولد موسى الكاظم بالأبواء سنة ثمان وعشرين ومائة من الهجرة، (وكنيته) أبو الحسن، (وألقابه) كثيرة أشهرها الكاظم ثم الصابر والصالح والأمين، (صفته) أسمر عتيق، (شاعره) السيد الحميري، (بوابه) محمد بن الفضل، (نقش خاتمه) الملك لله وحده، (معاصره) موسى الهادي وهارون الرشيد، قال بعض أهل العلم، الكاظم هو الإمام الكبير القدر، الأوحد الحجة الحبر، الساهر ليله قائمًا، القاطع نهاره صائمًا، المسمّى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظمًا، وهو المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج إلى الله؛ وذلك لنجح قضاء حوائج المتوسلين به، (ومناقبه) كثيرة شهيرة، يُحكى أن الرشيد سأله يومًا فقال: كيف قلتُم نحن ذرية رسول الله ﷺ وأنتم بنو علي وإنما يُنسب الرجل إلى جده لأبيه دون جده لأمه، فقال الكاظم: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى ﴿⁽¹⁰⁷⁾﴾ وليس لعيسى أب وإنما ألحق بذرية الأنبياء من قَبْل أمه وكذلك ألحقنا بذرية النبي ﷺ من قَبْل أمنا فاطمة، وزيادة

(107) الأنعام: 84-85.

أخرى يا أمير المؤمنين قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾⁽¹⁰⁸⁾ ولم يدع ﷺ عند مباهلة النصارى غير علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ وهم الأبناء».

روى موسى الكاظم صاحب الترجمة عن آبائه مرفوعاً قال: قال رسول الله ﷺ: «نظر الولد إلى والديه عبادة»، وعن إسحاق بن جعفر قال سألت أخي موسى الكاظم بن جعفر قلت: أصلحك الله أ يكون المؤمن بخيلاً؟ قال: نعم، قال: فقلت أ يكون خائناً؟ قال: لا ولا يكون كذاباً، ثم قال حدثني أبي جعفر الصادق عن آبائه ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل خَلَّةٍ يُطَوَّى المؤمن عليها ليس الكذب والخيانة».

(كراماته): الأولى قال حسام بن حاتم الأصم قال لي شقيق البلخي: «خرجت حاجاً سنة ست وأربعين ومائة فنزلت بالقادسية فيبينما أنا أنظر الناس في مخرجهم إلى الحج وزيتهم وكثرتهم إذ نظرتُ إلى شاب حسن الوجه، شديد السمرة، نحيف، فوق ثيابه ثوب صوف، مشتمل بشملة، وفي رجليه نعلان، وقد جلس منفرداً، فقلت في نفسي: هذا الفتى من الصوفية ويريد أن يخرج مع الناس فيكون كلاً عليهم في طريقهم، والله لأَمْضِينَ إليه ولأَوْبِخَنَهُ، فدنوتُ منه فلما رآني مقبلاً نحوه قال: يا شقيق ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾⁽¹⁰⁹⁾، ثم تركني وولى فقلت في نفسي: إن هذا

⁽¹⁰⁸⁾ آل عمران: 61.

⁽¹⁰⁹⁾ سورة الحجرات: 12.

لأمر عجيب، تكلم بما في خاطري ونطق باسمي، هذا عبد صالح، لألحقته وأسألته الدعاء وأتحلله بما ظننت فيه، فغاب عني ولم أره، فلما نزلنا وادي فضة فإذا هو قائم يصلي فقلت: هذا صاحبي امض إليه واستحله، فصبرت حتى فرغ من صلاته فالتفت إلي وقال: يا شقيق ﴿اتْلُ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾⁽¹¹⁰⁾، ثم قام ومضى وتركني فقلت: هذا الفتى من الأبدال قد تكلم على سري مرتين، فلما نزلنا بالأبواء إذا أنا بالفتى قائم على البئر وأنا أنظر إليه ويده ركوة فيها ماء، فسقطت من يده في البئر فرمق إلى السماء بطرفه وسمعته يقول:

أنت شربي إذا ظمئت من الماء ء وقوتي إذا أردت طعاماً
ثم قال: «إلهي وسيدي ما لي سواك فلا تعدمنيها»، فوالله لقد رأيت الماء قد ارتفع إلى رأس البئر والركوة طافية عليه، فمد يده فأخذها فتوضأ منها وصلى أربع ركعات، ثم مال إلى كتيب رمل فجعل يقبض بيديه ويجعل في الركوة ويحركها ويشرب، فأقبل نحوه وسلمت عليه، فرد علي السلام، فقلت: أطعمني من فضل ما أنعم الله به عليك، فقال: يا شقيق لم تزل نعم الله علي ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك، ثم ناولني الركوة فشربت منها فإذا فيها سويق بسكر، فوالله ما شربت قط أذ منه ولا أطيّب، فشربت ورويت حتى شبع، فأقمت أياماً لا أشتهي طعاماً ولا شراباً، ثم لم أره حتى نزلنا بمكة، فرأيت ليلة إلى جنب قبة الشراب نصف الليل وهو قائم يصلي بخشوع وأنين وبكاء، فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر ثم قام

⁽¹¹⁰⁾ سورة طه: 82.

إلى حاشية المطاف فرقع ركعتي الفجر هناك ثم صلّى الصبح مع الناس، ثم دخل المطاف فطاف إلى بعد شروق الشمس ثم صلّى خلف المقام، ثم خرج يريد الذهاب فخرجت خلفه أريد السلام عليه، وإذا بجماعة أحاطوا به يميناً وشمالاً ومن خلفه ومن أمامه، وخدم وحشم وأتباع خرجوا معه، فقلت لأحدهم: من هذا الفتى يا سيدي؟ فقال: هذا موسى الكاظم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وهذه الكرامة رواها جماعة من أهل التأليف، ورواها ابن الجوزي في كتابه مشير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن، ورواها الجنابذي في معالم العترة النبوية، والرامهرمزي في كتابه كرامات الأولياء، وهي كرامة اشتملت على كرامات.

(الثانية) من كتاب الدلائل للحميري: روى أحمد بن محمد عن أبي قتادة عن أبي خالد الزبالي قال: قدم علينا أبو الحسن موسى الكاظم زباله، ومعه جماعة من أصحاب المهدي بعثهم في إحضاره لديه إلى العراق من المدينة، وذلك في مسكنه الأولى، فأتيته فسلمت عليه، فسُرَّ برؤيتي وأوصاني بشراء حوائج وبتبقيتها عندي له، فرآني غير منبسط فقال: ما لي أراك منقبضاً، فقلت: كيف لا أنقبض وأنت سائر إلى هذه الفئة الطاغية ولا آمن عليك، فقال: يا أبا خالد ليس عليّ بأس، فإذا كان في شهر كذا في اليوم الفلاني منه فانتظرني آخر النهار مع دخول الليل فإني أوافيك إن شاء الله تعالى، قال أبو خالد: فما كان لي همٌّ إلا إحصاء تلك الشهور والأيام إلى ذلك اليوم الذي وعدني المجيء فيه، فخرجت غروب الشمس فلم أرَ أحداً، فلما كان دخول الليل إذا بسواد قد أقبل من ناحية العراق

فقصدته فإذا هو على بغلة أمام القطار، فسلمت عليه وسررت بمقدمه وتخلصه، فقال لي: أَدْخَلَكَ الشُّكُّ يَا أَبَا خَالِدٍ، فقلت: الحمد لله الذي خَلَّصَكَ مِنْ هَذِهِ الطَّاعِيَةِ، فقال: يَا أَبَا خَالِدٍ إِنْ لَهُمْ إِلَيَّ عَوْدَةٌ لَا أَتَخْلَصُ مِنْهَا.

(الثالثة) عن عيسى المدائني قال: خرجت سنةً إلى مكة فأقمت بها مجاوراً، ثم قلت أذهب إلى المدينة فأقيم بها سنة مثلما أقمت بمكة فهو أعظم لثوابي، فقدمت المدينة فنزلت طرف المصلى إلى جنب دار أبي ذر، وجعلت أختلف إلى سيدنا موسى الكاظم فينا أنا عنده في ليلة ممطرة إذ قال لي: عيسى قم فقد انهدم البيت على متاعك، فقممت فإذا البيت قد انهدم على المتاع، فاكرتيت قومًا كشفوا عن متاعي واستخرجت جميعه ولم يذهب لي غير سطل للوضوء، فلما أتيته من الغد قال: هل فقدت شيئاً من متاعك فدعو الله لك بالخلف، فقلت: ما فقدت غير سطل كان لي أتوضأ منه، فأطرق رأسه ملياً ثم رفعه فقال: قد ظننت أنك أنسيته قبل ذلك، فأت جارية رب الدار فاسألها عنه وقل لها أنسيْتُ السطل في بيت الخلاء فرُدِّيه، قال فاسألها عنه فردته.

(الرابعة) عن عبد الله بن إدريس عن ابن سنان قال: حمل الرشيد في بعض الأيام إلى علي بن يقطين ثياباً فاخرة أكرمه بها، ومن جملتها دراعة منسوجة بالذهب سوداء من لباس الخلفاء، فأنفذها علي بن يقطين لموسى الكاظم، فردّها وكتب إليه: احتفظ عليها ولا تخرجها عن يديك فسيكون لك بها شأن تحتاج معه إليها، فارتاب علي بن يقطين لرُدّها عليه ولم يدر ما سبب كلامه ذلك، ثم إنه احتفظ

بالدراعة وجعلها في سفظ وختم عليها، فلما كان بعد مدة يسيرة تغير علي بن يقطين على بعض غلمانه ممن كان يختص بأموره ويطلع عليها، فصرفه عن خدمته وطرده لأمر أوجب ذلك منه، فسعى الغلام بعلي بن يقطين إلى الرشيد وقال له: إن علي بن يقطين يقول بإمامة موسى الكاظم وأنه يحمل إليه كل سنة زكاة ماله والهدايا والتحف وقد حمل إليه في هذه السنة ذلك وصحبته الدراعة السوداء التي أكرمتها بها يا أمير المؤمنين في وقت كذا، فاستشاط الرشيد لذلك غيظاً وقال: لأكشفن عن ذلك فإن كان الأمر على ما ذكرت أزهدت روحه وذلك من بعض جزائه، فأنفذ في الوقت والحين من أحضر علي بن يقطين، فلما مثل بين يديه قال: ما فعلت بالدراعة السوداء التي كسوتُكها واختصصتُك بها من مدة من بين سائر خواصي؟ قال: هي عندي يا أمير المؤمنين في سفظ فيه طيب مختوم عليها، فقال: أحضرها الساعة، قال: نعم يا أمير المؤمنين السمع والطاعة، واستدعى بعض خدمه فقال: امض وخذ مفتاح البيت الفلاني من داري وافتح الصندوق الفلاني وأتني بالسفظ الذي فيه على حالته بختمه، فلم يلبث الخادم إلا قليلاً حتى عاد وصحبته السفظ مختوماً، فوضع بين يدي الرشيد فأمر بفك ختمه وفك وفتح السفظ وإذا بالدراعة فيه مطوية على حالها لم تلبس ولم تدنس ولم يصبها شيء من الأشياء، فقال لعلي بن يقطين: رُدّها إلى مكانها وخذها وانصرف راشداً فلن نصدق بعدها عليك ساعياً، وأمر أن يتبع بجائزة سنوية، وتقدم بأن يُضرب الساعي ألف سوط، فضرب فلما بلغوا الخمسمائة سوط مات تحت الضرب قبل الألف.

(الخامسة) روى إسحاق بن عمار قال: لما حبس هارون الرشيد موسى الكاظم، دخل الحبس ليلاً أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحباً أبي حنيفة، فسلماً عليه وجلسا عنده وأرادا أن يختبرا بالسؤال لينظرا مكانه من العلم، فجاء بعض الموكلين به فقال له: إن نوبتي قد فرغت وأريد الانصراف من غد إن شاء الله تعالى فإن كان لك حاجة تأمرني أن آتيك بها غداً إذا جئت، فقال: ما لي حاجة انصرف، ثم قال لأبي يوسف ومحمد بن الحسن: إني لأعجب من هذا الرجل يسألني أن أكلفه حاجة يأتيني بها معه غداً إذا جاء وهو ميت في هذه الليلة، فأمسكاً عن سؤاله وقاما ولم يسألاه عن شيء، وقالوا: أردنا أن نسأله عن الفرض والسنة فأخذ يتكلم معنا في علم الغيب، والله لنرسلن خلف الرجل من بيت على باب داره وينظر ماذا يكون من أمره، فأرسلنا شخصاً من جهتهما جلس على باب ذلك الرجل، فلما كان أثناء الليل وإذا بالصراخ والناعية ف قيل لهم: ما الخبر؟ فقالوا: مات صاحب البيت فجأة، فعاد إليهما الرسول وأخبرهما فتعجبا من ذلك غاية العجب.

اهـ من الفصول المهمة.

(كان موسى الكاظم) أعبد أهل زمانه وأعلمهم، وأسخاهم كفاً وأكرمهم نفساً، وكان يتفقد فقراء المدينة فيحمل إليهم الدراهم والدنانير إلى بيوتهم ليلاً وكذلك النفقات، ولا يعلمون من أي جهة وصلهم ذلك ولم يعلموا بذلك إلا بعد موته.

(وكان) كثيراً ما يدعو باللهم إني أسألك الراحة عند الموت والعفو عند الحساب.

تتمة: في الكلام على وفاته وأولاده:

رَوَى أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِمَارٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ النَّوْفَلِيِّ قَالَ: كَانَ السَّبَبُ فِي اخْتِذَاكَ الرَّشِيدَ لِمُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ وَحَبْسِهِ إِيَّاهُ أَنَّهُ سَعَى بِهِ جَمَاعَةٌ وَقَالُوا: إِنَّ الْأَمْوَالَ تُحْمَلُ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ وَالزَّكَاةُ وَالْأَخْمَاسُ، وَأَنَّهُ اشْتَرَى ضَيْعَةً وَسَمَّاها السَّيْرِيَّةَ بِثَلَاثَةِ آلَافِ دِينَارٍ، فَخَرَجَ الرَّشِيدُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ يَرِيدُ الْحَجَّ وَبَدَأَ بِدُخُولِهِ الْمَدِينَةَ، فَلَمَّا أَتَاهَا اسْتَقْبَلَهُ مُوسَى الْكَاضِمُ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَشْرَافِ، فَلَمَّا دَخَلَهَا وَاسْتَقَرَّ وَمَضَى كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى سَبِيلِهِ، ذَهَبَ مُوسَى عَلَى جَارِي عَادَتِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَأَقَامَ الرَّشِيدُ إِلَى اللَّيْلِ وَسَارَ إِلَى قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرٍ أُرِيدُ فَعَلُهُ وَهُوَ أَنْ أَمْسَكَ مُوسَى الْكَاضِمَ فَإِنَّهُ يَرِيدُ التَّشْغِيبَ بَيْنَ أَمْتِكَ وَسَفْكَ دِمَائِهِمْ وَإِنِّي أُرِيدُ حَقْنَهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِهِ فَأُخِذَ مِنَ الْمَسْجِدِ فَدُخِلَ بِهِ إِلَيْهِ، فَقَيَّدَهُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ وَاسْتَدْعَى بِقَبْتَيْنِ فَجَعَلَ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى بَغْلٍ وَسَتَرَهُمَا بِالسَّقْلَاطِ، وَجَعَلَهُ فِي إِحْدَى الْقَبْتَيْنِ وَجَعَلَ مَعَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا خِيَالًا، وَأَرْسَلَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى طَرِيقِ الْبَصْرَةِ وَبِوَاحِدَةٍ عَلَى طَرِيقِ الْكُوفَةِ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ الرَّشِيدُ لِيُعْمِيَ عَلَى النَّاسِ أَمْرَهُ، وَكَانَ مُوسَى الْكَاضِمُ بِالْقُبَةِ الَّتِي أَرْسَلَهَا بِطَرِيقِ الْبَصْرَةِ، وَأَوْصَى الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ أَنْ يَسْلُمُوهُ إِلَى عِيسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الْمَنْصُورِ، وَكَانَ عَلَى الْبَصْرَةِ يَوْمَئِذٍ وَالْيَا، فَسَلَّمُوهُ لَهُ وَحَبَسَهُ عِنْدَهُ سَنَةً، فَبَعْدَ السَّنَةِ كَتَبَ إِلَيْهِ الرَّشِيدُ فِي سَفْكَ دَمِهِ وَإِرَاحَتِهِ مِنْهُ، فَاسْتَدْعَى عِيسَى بْنَ جَعْفَرٍ بَعْضَ خَوَاصِهِ وَثِقَاتِهِ النَّاصِحِينَ لَهُ، فَاسْتَشَارَهُمْ بَعْدَ أَنْ أَرَاهُمْ مَا كَتَبَهُ لَهُ الرَّشِيدُ فَقَالُوا: نَشِيرُ عَلَيْكَ بِالْإِسْتِعْفَاءِ مِنْ ذَلِكَ وَأَنْ لَا تَقَعَ

فيه، فكتب عيسى بن جعفر للرشيد يقول: يا أمير المؤمنين كتبت إليك في هذا الرجل وقد اختبرته طول مقامه في حبسي فلم يكن منه سوء قط، ولم يذكر أمير المؤمنين إلا بخير، ولم يكن عنده تطلع للولاية ولا خروج ولا شيء من أمر الدنيا، ولا دعا قط على أمير المؤمنين ولا على أحد من الناس، ولا يدعو إلا بالمغفرة والرحمة له ولجميع المسلمين مع ملازمته للصيام والصلاة والعبادة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني من أمره ويأمر بتسليمه مني وإلا سرحت سبيله فإنني منه في غاية الحرج. فلما بلغ الرشيد كتاب عيسى بن جعفر كتب إلى السندي بن شاهك أن يتسلم موسى الكاظم بن جعفر من عيسى بن جعفر وأمره فيه بأمره، فكان الذي تولى به السندي قتله أن جعل له سُمًّا في طعام وقدمه له وقيل في رطب، فأكل منه موسى الكاظم ثم إنه أقام مُوعكًا ثلاثة أيام ومات رحمه الله تعالى، ولما مات أدخل السندي الفقهاء ووجوه أهل بغداد وفيهم الهيثم بن عدي وغيره ينظرون إليه أنه ليس به أثر من جرح أو قتل أو خنق وأنه مات حتف أنفه. (رُوي) أنه لما حضرته الوفاة سأل ابن السندي أن يحضر مولى له مدنيًا ينزل عند دار العباس بن محمد ليتولى غسله ودفنه وتكفينه، فقال له السندي: أنا أقوم لك بذلك على أحسن شيء وأتمه، فقال: «إنا أهل بيتٍ مهورٌ نسائنا، وحجٌ مبرورنا، وكفنٌ موتانا وجهازنا، من خالص أموالنا وأريد أن يتولى ذلك مولاي»، هذا فأجابه إلى ذلك وحضره له فوصاه بجميع ما يفعل، فلما مات تولى ذلك مولاه المذكور.

كذا في الفصول المهمة.

(ومن) كتاب الصفوة لابن الجوزي قال: بعث موسى بن جعفر الكاظم إلى الرشيد من الحبس برسالة كتب فيها بأنه: «لم ينقض عني يوم من البلاء إلا انتفى معه يوم عنك من الرخاء، حتى نمضي جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء، هناك يخسر المبطلون». وقد كان قوم من الشيعة زعموا أن موسى الكاظم هو القائم المنتظر، وجعلوا حبسه هو الغيبة المذكورة للقائم فأمر هارون الرشيد يحيى بن خالد أن يضعه على الجسر ببغداد وأن ينادي هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنه لا يموت فانظروا إليه ميتاً، ففعل ونظر الناس إليه ثم حمل، ودفن موسى الكاظم في مقابر قریش بباب التين ببغداد. كذا في كتاب الأنساب وغيره، وكانت وفاته لخمس بقين من شهر رجب سنة ثلاثة وثمانين ومائة وله من العمر خمس وخمسون سنة. (وأما أولاده) ففي الفصول المهمة كان له سبعة وثلاثون ولداً ما بين ذكر وأنثى وهم: علي الرضا والعباس والقاسم وإسماعيل وجعفر وهارون والحسن وعبد الله وإسحاق وعبد الله وزيد والحسن وأحمد ومحمد والفضل وسليمان وفاطمة الكبرى وفاطمة الصغرى ورقية وحليمة وأم أسماء ورقية الصغرى وأم كلثوم وميمونة اهـ. ولكنه لم يستوفِ العدد المذكور.

ومن أولاد الكاظم كما في بُغية الطالب: عون، وإليه يرجع نسب سيدنا ومولانا الشيخ الكبير، الولي المقرب، جامع الشرفين: شرف النسب وشرف المعرفة بالله والأدب، ذي الكرامات الظاهرة والغارات المتظاهرة، أبي الحسن وأبي الأشبال علي الأهدل؛ لأنه علي بن عمر بن محمد بن سليمان بن عبيد بن عيسى بن علوي بن

محمد بن حمحام بن عون بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن
محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب
(رضوان الله عليهم أجمعين).

وقد نظم ذلك بعض الفضلاء فقال:

علي بن فاروق أبو محمد	ثم سليمان الرضا المُسدد
عُبَيْد عيسى علوي محمد	حمحام عون كاظم المؤيد
جعفر الصادق قل محمد	زين حسين وعلي السيد

والأهدل لقب شريف؛ قال بعضهم: معناه الأدنى الأقرب، يُقال
هدل الغصن إذا دنا وقرب ولان بثمره، قال بعض أهل المعرفة:
سُمي علي بالأهدل؛ لأنه على الإله دَلٌّ، وناهيك به من لقب حسن
رائق، وله على كلا القولين دليل على المعنى مطابق، وفيه سر لطيف
عجيب يفهمه العاقل المنصف اللبيب. اهـ من بغية الطالب.

فصل في ذكر مناقب سيدنا علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب

(ولد) علي بن موسى بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة من
الهجرة، وقيل سنة ثلاث وأربعين ومائة، وأمه أم ولد يُقال لها أم
البنين واسمها أروى، (وكنيته) أبو الحسن، (وألقابه) الرضا والصابر
والزكي والولي، وأشهرها الرضا، (صفته) أسود معتدل؛ لأن أمه
كانت سوداء، دخل يوماً حماماً فينما هو في مكان من الحمام إذ
دخل عليه جندي فأزاله عن موضعه وقال: صُب على رأسي يا
أسود، فصب على رأسه، فدخل من عرفه فصاح: يا جندي هلك
أستخدم ابن بنت رسول الله ﷺ، فأقبل الجندي يُقبّل رجله ويقول:
هلاً عصيتني إذ أمرتك، فقال: إنها لمثوبة وما أردت أن أعصيك فيما
أُثاب عليه، ثم أنشأ يقول:

ليس لي ذنبٌ ولا ذنبَ لمن قال لي يا عبدٌ أو يا أسودُ
إنما الذنبُ لمن ألبسني ظلّمة وهو الذي لا يُحمَدُ

كذا في تاريخ الفرمانى. (شاعره) دعبل الخزاعي، (بوابه) محمد
بن الفرات، (نقش خاتمه) حسبي الله، (معاصره) الأمين والمأمون.
قال الشيخ كمال الدين بن طلحة: تقدّم أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب كرم الله وجهه وزين العابدين علي بن الحسين وجاء علي
الرضا هذا ثالثهما. عن محمد بن يحيى الفارسي قال: نظر أبو نواس

إلى علي بن موسى الكاظم ذات يوم وقد خرج من عند المأمون على بغلة فارهة، فدنا منه وسلّم وقال: ابن رسول الله ﷺ قلتُ فيك أبياتاً أحب أن تسمعها مني، فقال له: قل، فأنشأ أبو نواس يقول:

مُطَهَّرُونَ نَقِيَّاتٌ ثِيَابُهُمْ تَجْرِي الصَّلَاةُ عَلَيْهِمْ أَيْنَمَا ذُكِرُوا
مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَوِيًّا حِينَ تَنْسُبُهُ فَمَا لَهُ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ مَفْتَخَرُ
أُولَئِكَ الْقَوْمُ أَهْلُ الْبَيْتِ عِنْدَهُمْ عِلْمُ الْكِتَابِ وَمَا جَاءَتْ بِهِ السُّورُ

قال: قد جئنا بأبيات ما سبقك إليها أحد، ما معك يا غلام من فاضل نفقاتنا؟ قال: ثلاثمائة دينار، قال: ادفعها إليه، ثم بعد أن ذهب إلى البيت قال: لعله يَسْتَقِلُّهَا سُقُ يَا غلام إليه البغلة. ونقل الطوسي في كتابه عن أبي الصلت الهروي قال: دخل دعبل الخزاعي على علي بن موسى بمرو فقال: يا ابن رسول الله ﷺ إني قلتُ فيكم أهل البيت قصيدة، وآليتُ على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك، وأحب أن تسمعها مني، فقال له علي الرضا بن موسى: هات قل فأنشأ يقول:

ذَكَرْتُ مَحَلَّ الرَّبْعِ مِنْ عَرَافَاتٍ فَأَجْرِيْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ بِالْعَبَرَاتِ
وَقَلَّ عَرَى صَبْرِي وَهَاجَتْ صَبَابَتِي رُسُومُ دِيَارٍ أَقْفَرَتْ وَعِرَاتِ
مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ عَنْ تِلَاوَةٍ وَمَنْزُلٌ وَحْيٍ مُقْفَرِ الْعَرَصَاتِ
لَا لِرَسُولِ اللَّهِ بِالْخِيفِ مِنْ مَنَى وَبِالْبَيْتِ وَالتَّعْرِيفِ وَالْجَمَرَاتِ
دِيَارُ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ وَجَعْفَرٍ وَحُمَزَةُ وَالسَّجَادِ ذِي الثَّنَاتِ⁽¹¹¹⁾
دِيَارُ لَعْبَدِ اللَّهِ وَالْفَضْلِ صَنْوِهِ نَجِيَّ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْخُلُواتِ
مَنَازِلُ كَانَتْ لِلصَّلَاةِ وَلِلتَّقَى وَلِلصَّوْمِ وَالتَّطَهِيرِ وَالْحَسَنَاتِ

⁽¹¹¹⁾ قيل لعلي بن الحسين: ذو الثَّنَاتِ؛ لأنَّ أَعْضَاءَ السَّجُودِ مِنْهُ غَظُظَتْ وَصَلَبَتْ مِنْ كَثَرَةِ صَلَاتِهِ.

مَنَازِلُ جَبْرِيلَ الْأَمِينُ يَحُلُّهَا
مَنَازِلُ وَحْيِ اللَّهِ مَعْدُنُ عِلْمِهِ
فَأَيْنَ الْأُولَى شَطَطَتْ بِهِمْ غُرْبَةُ النَّوَى
أَحَبُّ قَصِي الدَّارِ مِنْ أَجْلِ حُبِّهِمْ
وَهُمْ أَهْلُ مِيرَاثِ النَّبِيِّ إِذَا انْتَمَوْا
مَطَاعِيمُ فِي الْإِعْسَارِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
أَثَمَةٌ عَدْلٍ يُقْتَدَى بِفَعَالِهِمْ
فَيَا رَبِّ زِدْ قَلْبِي هُدًى وَبَصِيرَةً
لَقَدْ أَمِنْتُ نَفْسِي بِهِمْ فِي حَيَاتِهَا
أَلَمْ تَرَ أَنِّي مُذْ ثَلَاثِينَ حِجَّةً
أَرَى فَيْئَهُمْ فِي غَيْرِهِمْ مُتَقَسِّمًا
إِذَا وَتَرُوا مَدُّوا إِلَى أَهْلِ وَتَرَهُمْ
وَأَلْ رَسُولَ اللَّهِ نَحَفُ جُسُومَهُمْ
سَابِكِيهِمْ مَا ذَرَّ فِي الْأُفُقِ شَارِقُ
وَمَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَحَانَ غُرُوبُهَا
دِيَارُ رَسُولِ اللَّهِ أَصْبَحْنَ بَلَقَعًا
وَأَلْ زِيَادُ فِي الْقُصُورِ مَصُونَةٌ
فَلَوْلَا الَّذِي أَرْجُوهُ فِي الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ
خُرُوجُ إِمَامٍ لَا مَحَالَةَ خَارِجُ
يُمَيِّزُ فِينَا كُلَّ حَقٍّ وَبَاطِلٍ
فَيَا نَفْسُ طَيِّبِي ثُمَّ يَا نَفْسُ فَاصْبِرِي

مِنَ اللَّهِ بِالتَّسْلِيمِ وَالرَّحْمَاتِ
سَبِيلُ رَشَادٍ وَاضِحُ الطُّرُقَاتِ
فَأُمْسِنَ فِي الْأَفْطَارِ مُقْتَرِفَاتِ
وَأَهْجُرُ فِيهِمْ أَسْرَتِي وَبَنَاتِي
وَهُمْ خَيْرُ سَادَاتٍ وَخَيْرُ حُمَاةٍ
لَقَدْ شَرَّفُوا بِالْفَضْلِ وَالْبَرَكَاتِ
وَتُؤَمِّنُ مِنْهُمْ زَلَّةُ الْعَثَرَاتِ
وَزِدْ حُبَّهُمْ يَا رَبِّ فِي حَسَنَاتِي
وَإِنِّي لِأَرْجُو الْأَمْنَ بَعْدَ وَفَاتِي
أَرْوَحُ وَأَغْدُو دَائِمَ الْحَسَرَاتِ
وَأَيَّدِيهِمْ مِنْ فَيْئِهِمْ صَفَرَاتِ
أَكْفَأُ عَنِ الْأَوْتَارِ مُنْقَبِضَاتِ
وَأَلْ زِيَادُ غُلَطُ الْقَصَرَاتِ
وَنَادَى مُنَادِي الْخَيْرِ بِالصَّلَوَاتِ
وَبِاللَّيْلِ أَبْكِيهِمْ وَبِالْغَدَوَاتِ
وَأَلْ زِيَادُ تَسْكُنُ الْحُجَرَاتِ
وَأَلْ رَسُولُ اللَّهِ فِي الْفَلَوَاتِ
لَقَطَعَ نَفْسِي إِثْرَهُمْ حَسَرَاتِ
يَقُومُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ بِالْبَرَكَاتِ
وَيَجْزِي عَلَى النِّعْمَاءِ وَالنِّقْمَاتِ
فَعَبْرُ بَعِيدِ كُلِّ مَا هُوَ آتِ

وهي قصيدة طويلة عدة أبياتها مائة وعشرون بيتاً، ولما فرغ دعبل من إنشادها نهض أبو الحسن علي الرضا وقال: لا تبرح، فأنفذ إليه صرة فيها مائة دينار واعتذر إليه، فردّها دعبل وقال: واللّه ما لهذا جئت، وإنما جئت للسلام عليه وللتبرك بالنظر إلى وجهه الميمون، وإني لفي غنى، فإن رأى أن يعطيني شيئاً من ثيابه للتبرك فهو أحب إليّ، فأعطاه علي الرضا جُبَّةً ورَدَّ عليها الصرة وقال للغلام: قل له خذها ولا تردّها فإنك ستصرفها أحوج ما تكون إليها، فأخذها وأخذ الجبة، ثم أقام بمرو مدة فتجهزت قافلة تريد العراق، فتجهز دعبل صحبتها فخرجت عليهم اللصوص في الطريق ونهبوا القافلة عن آخرها وأمسكوا جماعة من جملتهم دعبل، فكَتَّفُوهم وأخذوا ما معهم فساروا بهم غير بعيد، ثم جلسوا يقسمون أموالهم، فتمثل مقدم اللصوص بقوله:

أَرَى فَيَنَّهُمْ فِي غَيْرِهِمْ مُتَقَسِّمًا وَأَيِّدِيَهُمْ مِنْ فَيَنَّهُمْ صَفَرَاتٍ
ودعبل يسمعه فقال: أتعرف هذا البيت لمن؟ قال: وكيف لا أعرفه هو لرجل من خزاعة يُقال له دعبل شاعر أهل البيت قاله في قصيدة مدحهم بها، فقال دعبل: أنا واللّه هو وأنا صاحب القصيدة وقائلها، فقال: ويلك انظر ما تقول، فقال: واللّه الأمر أشهر من ذلك واسأل أهل القافلة وهؤلاء الممسكون معكم يخبرونكم بذلك، فسألوهم فقالوا بأسرهم: هذا دعبل الخزاعي شاعر أهل البيت المعروف الموصوف، ثم إن دعبلاً أنشدهم القصيدة من أولها إلى آخرها عن ظهر قلب، فقالوا: قد وجب حقك علينا وقد أطلقنا القافلة ورددنا جميع ما أخذناه منها كرامة لك يا شاعر أهل البيت، ثم إنهم

أخذوا دعبلاً معهم وتوجهوا به إلى قم ووصلوه بمال وسألوه في بيع الجبة التي أعطاهما له أبو الحسن الرضا ودفعوا له فيها ألف دينار، فقال: والله لا أبيعها وإنما أخذتها للتبرك من أثره، ثم ارتحل عنهم من قم بعد ثلاثة أيام، فلما صار خارج البلد على نحو ثلاثة أميال خرج عليه قوم من أحداثهم فأخذوا الجبة منه، فرجع إلى قم وأخبر كبارهم بذلك فأخذوا الجبة منهم وردوها عليه ثم قالوا: نخشى أن تؤخذ هذه الجبة منك ويأخذها غيرنا ثم لا ترجع عليك فبالله إلا ما أخذت الألف منا وتركتها، فأخذ الألف منهم وأعطاهم الجبة ثم ارتحل عنهم. وعن أبي الصلت الهروي قال: قال دعبل الخزاعي: لما أنشدت مولاي الرضا هذه القصيدة وانتهيت فيها إلى قولي:

خُرُوجُ إِمَامٍ لَا مَحَالَةَ خَارِجٌ يَقُومُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ بِالْبَرَكَاتِ
يُمَيِّزُ فِينَا كُلَّ حَقٍّ وَبَاطِلٍ وَيَجْزِي عَلَى النِّعَمَاءِ وَالنَّقَمَاتِ

بكى الرضا ثم رفع رأسه إليّ وقال: يا خزاعي لقد نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين. قال إبراهيم بن العباس: ما رأيت الرضا سُئِلَ عن شيء إلا علمه، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقت عصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيبه الجواب الشافي، وكان قليل النوم كثير الصوم لا يفوته صوم ثلاثة أيام من كل شهر ويقول: ذلك صيام الدهر، وكان كثير المعروف والصدقة وأكثر ما يكون ذلك منه في الليالي المظلمة، وكان جلوسه في الصيف على حصير وفي الشتاء على مسح. قال إبراهيم بن العباس سمعت الرضا يقول وقد سأله رجل يكلف الله العباد ما لا يطيقون، فقال: هو أعدل من ذلك، قال: فيقدرون على

كل ما يريدون، قال: هم أعجز من ذلك. وعن ياسر الخادم قال سمعت عليّاً الرضا بن موسى يقول: «أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواضع: يوم يولد إلى الدنيا ويخرج المولود من بطن أمه فيرى الدنيا، ويوم يموت فيعابن الآخرة وأهلها، ويوم يُبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا؛ وقد سلّم الله تعالى على يحيى في هذه الثلاثة المواطن وأمنّ روعته فقال: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾⁽¹¹²⁾، وقد سلّم عيسى ابن مريم على نفسه في هذه الثلاثة المواطن فقال: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾⁽¹¹³⁾.

(فائدة) أورد صاحب كتاب تاريخ نيسابور أن عليّاً الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين لما دخل نيسابور كان في قبة مستورة على بغلة شهباء وقد شق بها السوق، فعرض له الإمامان الحافظان أبو زرعة وأبو مسلم الطوسي ومعهما من أهل العلم والحديث ما لا يحصى فقالا: يا أيها السيد الجليل ابن السادة الأئمة بحق آبائك الأطهرين وأسلافك الأكرمين إلا ما أرينا وجهك الميمون ورويت لنا حديثاً عن آبائك عن جدك نذكرك به، فاستوقف غلمانه وأمر بكشف المظلة وأقر عيون الخلائق برؤية طلّعه وإذا له ذؤابتان معلقتان على عاتقه، والناس قيام على طبقاتهم ينظرون ما بين باكٍ وصارخٍ ومتمرغٍ في التراب ومُقبِّلٍ حافر بغلته، وعلا الضجيج فصاحت الأئمة الأعلام: معاشر الناس أنصتوا

⁽¹¹²⁾ سورة مريم: 15.

⁽¹¹³⁾ سورة مريم: 33.

واسمعوا ما ينفعكم ولا تؤذونا بصرا خكم، وكان المستملي أبا زرة ومحمد بن مسلم الطوسي، فقال علي الرضا: حدثني أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين عن أبيه شهيد كربلاء عن أبيه علي المرتضى قال حدثني حبيبي وقرة عيني رسول الله ﷺ قال حدثني جبريل قال حدثني رب العزة سبحانه وتعالى قال: «كلمة لا إله إلا الله حصني فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي»، ثم أرخى الستار على المظلة وسار، قال فعد أهل المحابر وأهل الدواوين الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً، قال: لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق من جنونه.

وقال أبو القاسم القشيري: اتصل هذا الحديث بهذا السند ببعض أمراء السامانية فكتبه بالذهب وأوصى أن يدفن معه في قبره، فرؤي في المنام بعد موته فقيل ما فعل الله بك فقال: غفر لي بتلفظي بلا إله إلا الله وتصديقي أن محمداً رسول الله. أوردته المناوي في شرحه الكبير على الجامع الصغير وغيره. وعن علي الرضا بن موسى عن آبائه عن النبي ﷺ أنه قال: «من لم يؤمن بحوضي فلا أوردته الله تعالى حوضي ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي ثم قال إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي فأما المحسنون فما عليهم من سبيل». وعن علي الرضا بن موسى عن آبائه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لما أسري به: «ولا يكون إلى يوم القيامة مؤمن إلا وله جار يؤذيه». وعن علي الرضا أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «الشيب في مقدم الرأس يُمن وفي العارضين سخاء وفي

الذوائب شجاعة وفي القفا شؤم». وعنه عن آبائه عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: لما أسري بي السماء رأيت رحماً معلقة بالعرش تشكو رحماً إلى ربها أنها قاطعة لها قلت كم بينك وبينها من أب قالت نلتقي في أربعين أباً». وعنه أنه قال: «مَنْ صام من شعبان يوماً واحداً ابتغاء ثواب الله دخل الجنة، ومَنْ استغفر الله تعالى في كل يوم منه سبعين مرة حشر يوم القيامة في زمرة النبي ﷺ ووجبت له من الله الكرامة، ومَنْ تصدق في شعبان بصدقة ولو بشقة تمره حرم الله جسده على النار».

وعن علي الرضا بن موسى أنه قال: «مَنْ صام أول يوم من رجب رغبة في ثواب الله وجبت له الجنة، ومَنْ صام يوماً من وسطه شفع في مثل ربعة ومُضر، ومَنْ صام يوماً في آخره جعله الله من أملاك الجنة وشفَّعه الله في أمه وأبيه وإخوانه وأعمامه وعماته وأخواله وخالاته ومعارفه وجيرانه وإن كان فيهم مَنْ هو مستوجب النار». قال صاحب كتاب نثر الدرر: سأل الفضل بن سهل علياً الرضا بن موسى في مجلس المأمون فقال: يا أبا الحسن الخلق مجبرون، قال: الله تعالى أعدل من أن يُجبر ثم يُعذب، قال: فمطلقون، قال: الله تعالى أحكم من أن يُهمل عبده ويكله إلى نفسه. وعن أبي الحسن القرظي عن أبيه قال: حضرنا مجلس أبي الحسن الرضا فجاء رجل فشكا إليه أخاه فأنشأ الرضا يقول:

وَاسْتُرْ وَغَطَّ عَلَى عُيُوبِهِ	اعْذُرْ أَخَاكَ عَلَى ذُنُوبِهِ
وَلِلزَّمانِ عَلَى خُطُوبِهِ	وَاصْبِرْ عَلَى سَفِهِ السَّيفِ
وَكَلِ الظُّلُومَ إِلَى حَسِيهِ	وَدَعْ الْجَوَابَ تَفْضُّلاً

(لطيفة) دخل على عليّ بن موسى بنيسابور قومٌ من الصوفية فقالوا: إن أمير المؤمنين المأمون نظر فيما ولّاه الله تعالى من الأمور ثم نظر فراكم أهل البيت أولى مَنْ قام بأمر الناس، ثم نظر في أهل البيت فراك أولى الناس بالناس من كل واحد منهم، فردّ هذا الأمر إليك، والناس تحتاج إلى مَنْ يأكل الخشن ويلبس الخشن ويركب الحمار ويعود المريض ويشيع الجنائز، قال وكان علي الرضا متكئاً فاستوى جالساً ثم قال: كان يوسف بن يعقوب نبياً فلبس أقبية الديباج المزررة بالذهب، والقباطي المنسوجة بالذهب، وجلس على متكآت آل فرعون، وحكم وأمر ونهى، وإنما يُراد من الإمام القسط والعدل، إذا قال صدق، وإذا حكم عدل، وإذا وعد أنجز، إن الله لم يُحرّم ملبوساً ولا مطعوماً وتلا قوله تعالى: قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ⁽¹¹⁴⁾.

⁽¹¹⁴⁾ سورة الأعراف: 23.

فصل في ذكر ولاية العهد من المأمون للرضا

ذكر جماعة من أهل السير ورواة الأخبار بأيام الخلفاء أن المأمون لما أراد ولاية العهد للرضا وحدث نفسه بذلك وعزم عليه أحضر الفضل بن سهل وأخبره بما عزم عليه وأمره بمشاورة أخيه الحسن في ذلك، فاجتمعوا وحضروا عند المأمون فجعل الحسن يعظم ذلك عليه ويعرفه ما في خروج الأمر عن أهل بيته، فقال المأمون: إني عاهدت الله تعالى إن ظفرت بالمخلوع سلمت الخلافة إلى أفضل بني المطلب وهو أفضلهم ولا بد من ذلك، فلما رأيا تصميمه وعزيمته على ذلك أمسكا عن معارضته، فقال: تذهبان الآن إليه وتخبرانه بذلك عني وتلزمانه به، فذهبا إلى علي الرضا وأخبراه بذلك وألزمناه، فامتنع فلم يزالا به حتى أجاب على أنه لا يأمر ولا ينهى ولا يعزل ولا يولي ولا يتكلم بين اثنين في حكومته ولا يغير شيئا مما هو قائم على أصله، فأجابه المأمون إلى ذلك، ثم إن المأمون جلس مجلسا خاصا لخواص أهل دولته من الأمراء والوزراء والحُجَّاب والكتاب وأهل الحِلِّ والعقد، وكان ذلك في يوم الخميس لخمس خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين، وأحضرهم فلما حضروا قال للفضل بن سهل: أخبر الجماعة الحاضرين برأي أمير المؤمنين في الرضا علي بن موسى وأنه ولّاه عهده، وأمرهم بلبس الخضرة والعود لبيعته في الخميس الثاني، فحضروا وجلسوا على مقادير طبقاتهم ومنازلهم كل في موضعه، وجلس المأمون ثم جيء بالرضا فجلس

بين وسادتين عظيمتين وُضعتا له وهو لابس الخضرة وعلى رأسه
 عمامة متقلد بسيف، فأمر المأمون ابنه العباس بالقيام إليه ومبايعته
 أول الناس، فرفع الرضا يده وجعلها من فوق، فقال المأمون: ابسط
 يدك، فقال له الرضا: هكذا كان يبايع رسول الله ﷺ يده فوق أيديهم،
 فقال: افعل ما ترى، ثم وُضعت بدر الدراهم والدنانير وبقج الثياب
 والخلع، وقام الخطباء والشعراء وذكروا ما كان من أمر المأمون من
 ولاية عهده للرضا وذكروا فضل الرضا، وفُرقت الصلوات والجوائز
 على الحاضرين على قدر مراتبهم، وأول من بُدئ به العلويون ثم
 العباسيون ثم باقي الناس على قدر منازلهم ومرتبتهم، ثم إن المأمون
 قال للرضا: قم فاخطب الناس، فقام وحمد الله وأثنى عليه وثنى
 بذكر نبيه محمد ﷺ فصلى عليه وقال: «أيها الناس إن لنا عليكم
 حقاً برسول الله ﷺ ولكم علينا حقٌّ به فإذا أدبتم إلينا ذلك وجب
 لكم علينا الحكم والسلام»، ولم يُسمع منه في هذا المجلس غير
 هذا، وخطب للرضا بولاية العهد في كل بلد، وخطب عبد الجبار
 بن سعيد في تلك السنة على منبر رسول الله ﷺ بالمدينة فقال في
 الدعاء للرضا وهو على منبر ولي عهد المسلمين علي بن موسى بن
 جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي وأنشد:

سنةً أبأؤهم أمهاتهم أَكْرَمَ مَنْ يَشْرَبُ صَوْبَ الْعَمَامِ

(ذكر المدائني) قال لما جلس الرضا ذلك المجلس وهو لابس
 تلك الخلع والشعراء والخطباء يتكلمون وتلك الألوية تخفق على
 رأسه، نظر الرضا بعض مواليه الحاضرين ممن كان يختص به
 وقد داخله من السرور ما لا مزيد عليه وذلك لما رأى، فأشار إليه

الرضا فدنا منه فقال له في أذنه سرًا: لا تشغل قلبك بشيء مما ترى من هذا الأمر ولا تستبشر به فإنه لا يتم. وهذه صورة مختصرة من كتاب العهد الذي كتبه المأمون للرضا اختصره صاحب الفصول لطوله وهو: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب كتبه عبد الله بن هارون الرشيد لعلي بن موسى بن جعفر ولي عهده، أما بعد: فإن الله عز وجل اصطفى الإسلام دينًا، واختار له من عباده رسلاً دالين عليه وهادين إليه، يبشر أولهم بآخرهم، ويصدق تاليهم ماضيهم، حتى انتهت نبوة الله تعالى إلى محمد ﷺ على فترة من الرسل، ودروس من العلم، وانقطاع من الوحي، واقتراب من الساعة، فختم الله بالنبيين، وجعله شاهدًا عليهم ومهيمنًا، وأنزل عليه كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فلما انقضت النبوة وختم الله بمحمد ﷺ الرسالة، جعل قوام الدين ونظام المسلمين في الخلافة ونظامها والقيام بشرائعها وأحكامها، ولم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة وحمل مشاقها وخبر مرارة طعمها وذاقها، مُسهرًا لعينه مُنصبًا لبدنه مُطيلًا لفكره فيما فيه عز الدين وقمع المشركين وصلاح الأمة وجمع الكلمة ونشر العدل وإقامة الكتاب والسنة، ومنعه ذلك من الخفض والدعة ومهنأ العيش؛ محبة أن يلقي الله سبحانه وتعالى مناصحًا له في دينه وعباده، ومُختارًا لولاية عهده ورعاية الأمة من بعده أفضل من يقدر عليه في دينه وورعه، وأرجاهم للقيام في أمر الله وحقه، مناجيًا لله تعالى بالاستخارة في ذلك، ومسألته إلهامه ما فيه رضا وطاعته في آناء ليله ونهاره، مُعملاً فكره ونظره في طلبه والتماسه

في أهل بيته من ولد عبد الله بن العباس وعلي بن أبي طالب عليهما السلام،
مقتصرًا ممن علم حاله ومذهبه منهم على علمه، وبالغًا في المسألة
ممن خفي عليه أمره جهده وطاقته، حتى استقصى أمورهم معرفةً،
وابتلى أخبارهم مشاهدةً، واستبرأ أحوالهم معاينةً، وكشف ما
عندهم مساءلةً، وكانت خيرته بعد استخارة الله تعالى وإجهاده نفسه
في قضاء حقه في عباده وبلاده في الفئتين جميعًا: علي بن موسى بن
جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام؛ لما
رأى من فضله البارِع، وعلمه الذائع، وورعه الظاهر الشائع، وزهده
الخالص النافع، وتخليه عن الدنيا، وتفرده عن الناس، وقد استبان
له مَنْ لم تزل الأخبار عليه منطبقة، والألسنة عليه متفقة، والكلمة
فيه جامعة، والأخبار واسعة، ولما لم يزل يُعرف به من الفضل يافعًا
وناشئًا وحدثًا وكهلاً؛ فلذلك عقد له بالعهد والخلافة من بعده، واثقًا
بخيرة الله في ذلك إذ علم الله تعالى أنه فعَلَهُ إيثارًا له وللدِّين، ونظرًا
للإسلام والمسلمين، وطلبًا للسلامة وثبات الحجة والنجاة في
اليوم الذي تقوم فيه الناس لرب العالمين، ودعا أمير المؤمنين ولده
وأهل بيته وخاصته وقواده وخدمته فبايعه الكل مطيعين مسارعين،
عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعة الله على الهوى في ولده وغيره
ممن هو أشبك رحمًا وأقرب قرابة، وسماه الرضا إذ كان مَرْضِيًّا
عند الله تعالى وعند الناس، وقد أثر طاعة الله تعالى والنظر لنفسه
وللمسلمين، والحمد لله رب العالمين. كتبه بيده في يوم الاثنين
لسبع خلون من شهر رمضان المعظم سنة إحدى ومائتين، (وصورة
ما على ظهر العهد) مكتوبًا بخط الإمام علي بن موسى الرضا: «بسم

الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الفَعَّال لما يشاء، لا مُعَقَّب لحكمه
 ولا رادَّ لقضائه، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وصلاته
 على نبيه محمد ﷺ خاتم النبيين وآله الطيبين الطاهرين، أقول وأنا
 علي بن موسى بن جعفر إن أمير المؤمنين عضده الله بالسداد ووفقه
 للرشاد عرف من حقنا ما جهله غيره فوصل أرحامًا قطعت، وأَمَّنَ
 نفوسًا فزعت، بل أحيّاها بعد أن كانت من الحياة أيست، فأغناها بعد
 فقرها، وعرفها بعد نكرها؛ مبتغيًا بذلك رضا رب العالمين، لا يريد
 جزاءً من غيره وسيجزي الله الشاكرين، ولا يضيع أجر المحسنين،
 وأنه جعل إليَّ عهده والإمرة الكبرى إن بقيت بعده، فَمَنْ حَلَّ عقدةً
 أمر الله بشدها أو فصم عروةً أحب الله اتساقها فقد أباح حريمه
 وأحل محرمه؛ إذ كان بذلك زاريًا على الإمام متتهكًا حرمة الإسلام،
 وخوفًا من شتات الدين واضطراب أمر المسلمين، وحذر فرصة
 تُنتهز وعلقة تُبتدر؛ جعلت لله تعالى على نفسي عهدًا إن استرعاني
 أمر المسلمين وقلدني خلافة العمل فيهم عامة وفي بني العباس بن
 عبد المطلب خاصة، أن أعمل فيهم بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ
 ولا أسفك دمًا ولا أبيع فرجًا ولا مالا إلا ما سفكته حدوده وأباحته
 فرائضه، وأن أتحرى الكفاة جهدي وطاقتي، وجعلت بذلك على
 نفسي عهدًا مؤكدًا يسألني الله عنه؛ فإنه عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَأَوْفُوا
 بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾⁽¹¹⁵⁾، وإن أحدثت أو غيرت أو بدلت
 كنتُ للعزل مُستَحِقًّا وللنكال مُتَعَرِّضًا، وأعوذ بالله من سخطه،
 وإليه أرغب في التوفيق لطاعته، والحوّل بيني وبين معصيته في

⁽¹¹⁵⁾ سورة الإسراء: 34.

عافية، وللمسلمين والجامعة والجفر يدلان على ضد ذلك، ﴿وَمَا
أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾⁽¹¹⁶⁾، ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقَّ
وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾⁽¹¹⁷⁾، لكنني امتثلت أمر أمير المؤمنين وآثرت
رضاه، واللّه تعالى يعصمني وإياه، وأشهدت اللّه تعالى على نفسي
بذلك، وكفى باللّه شهيداً، وكتبت بخطي بحضرة أمير المؤمنين
أطال اللّه بقاءه والحاضرين من أولياء نعمته وخواص دولته هم:
الفضل بن سهل، وسهل بن الفضل، والقاضي يحيى بن أكثم، وعبد
اللّه بن طاهر، وثمامة بن الأشرس، وبشر بن المعتمر، وحماد بن
النعمان، وذلك في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين». (صورة رقم
شهادة القاضي يحيى بن أكثم) شهد يحيى بن أكثم على مضمون هذا
المكتوب ظهره وبطنه، وهو يسأل اللّه تعالى أن يعرف أمير المؤمنين
وكافة المسلمين بركة هذا العهد والميثاق، وكتب بخطه في التاريخ
المبين فيه. (صورة رقم شهادة عبد اللّه بن طاهر) أثبت شهادته فيه
بتاريخه عبد اللّه بن طاهر. (صورة رقم شهادة حماد) شهد حماد بن
النعمان بمضمونه ظهراً وبطناً وكتبه بيده في تاريخه. (صورة شهادة
ابن المعتمر) شهد بمثل ذلك بشر بن المعتمر، وعلى الجانب الأيسر
بخط الفضل بن سهل رسم أمير المؤمنين بقراءة هذه الصحيفة التي
هي صحيفة العهد والميثاق ظهراً وبطناً بحرم سيدنا رسول اللّه ﷺ
بين الروضة والمنبر على رؤوس الأشهاد بمرأى ومسمع من وجوه
بني هاشم وسائر الأولياء والأجناد بعد أخذ البيعة عليهم واستيفاء

(116) الأحقاف: 9.

(117) الأنعام: 57.

شروطها بما أوجبه أمير المؤمنين من العهد لعلي بن موسى الرضا لتقوم به الحجة على جميع المسلمين ولتبطل الشبهة التي كانت اعترضت لآراء الجاهلين وما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه. (وزوجه المأمون) ابنته أم حبيب في أول سنة اثنتين ومائتين والمأمون متوجه إلى العراق.

(حُكي) أن المأمون وجد في يوم عيد انحرافَ مزاج أحدث عنده ثقلاً عن الخروج إلى الصلاة فقال لأبي الحسن علي الرضا: قم يا أبا الحسن فاركب وصل بالناس العيد، فامتنع وقال: قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط فاعفني من الصلاة، فقال المأمون: إنما أريد أن أنوه بذكرك ويشتهر أمرُك بأنك ولي عهدي والخليفة من بعدي، وألح عليه في ذلك فقال له الرضا: إن أعفيتني من ذلك كان أحب إليّ، وإن أبيت إلا أن أخرج للصلاة فإنما أخرج للصلاة على الصفة التي كان النبي ﷺ يخرج عليها، فقال المأمون: افعل كيفما أردت، وأمر المأمون القواد والجند وأعيان دولته بالركوب في خدمته إلى المصلّى، فركب الناس إلى بيته وحضر القراء والمؤذنون والمكبرون إلى بابه ينتظرون أن يخرج، فخرج إليهم الرضا وقد اغتسل ولبس أفخر ثيابه وتعمم بعمامة وألقى طرفاً منها على عاتقه ومسّ طيباً وأخذ عكازاً في يده وخرج ماشياً ولم يركب وقال لمواليه وأتباعه: افعلوا كما فعلت، ففعلوا كفعله وساروا بين يديه عند شروق الشمس رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير، فلما رآه القواد والجند على تلك الحالة لم يسعهم إلا أن نزلوا عن خيولهم ومراكبهم وساروا بين يديه، وتركوا دوابهم مع غلمانهم خلف الناس، وكان كلما كبر الرضا

كَبَّرَ النَّاسَ بِتَكْبِيرِهِ، وَكَلَّمَا هَلَّلَ هَلَّلُوا بِتَهْلِيلِهِ وَهُمْ سَائِرُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ، حَتَّى خُيِّلَ لِلنَّاسِ أَنَّ الْحَيَّطَانَ وَالْجُدْرَانَ تَجَاوَبَهُمُ بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ، وَارْتَفَعَ الْبُكَاءُ وَالصَّرَاحُ فَبَلَغَ ذَلِكَ الْمَأْمُونُ فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ: إِنْ بَلَغَ الرِّضَا الْمَصْلَى افْتَتَنَ بِهِ النَّاسُ وَخَفْنَا عَلَى دِمَائِنَا وَأَرْوَاحِنَا وَعَلَيْكَ فِي نَفْسِكَ فَا بَعَثْ إِلَيْهِ وَرَدَّهُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ: قَدْ كَلَّفْنَاكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ وَلَا نَحِبُ أَنْ تَلْحَقَكَ مَشَقَّةٌ، ارْجِعْ إِلَى بَيْتِكَ وَيَصْلِي بِالنَّاسِ مَنْ كَانَ يَصْلِي بِهِمْ مِنْ قَبْلُ، فَرَجَعَ عَلِيٌّ إِلَى بَيْتِهِ، وَرَكِبَ الْمَأْمُونُ فَصَلَّى بِالنَّاسِ أَهْلَ مِنَ الْفُصُولِ الْمَهْمَةِ.

(فائدة) قَالَ الْمَأْمُونُ لِعَلِيِّ الرِّضَا أَنْشَدْنَا أَحْسَنَ مَا رُوِيَ فِي السَّكُوتِ عَنِ الْجَاهِلِ وَعَتَابِ الصَّدِيقِ فَقَالَ:

إِنِّي لِيَهْجُرْنِي الصَّدِيقُ تَجَنُّبًا	فَأَرَى بَأْنَ لِيَهْجُرِهِ أَسْبَابًا
وَأَرَاهُ إِنْ عَاتَبْتُهُ أَغْرَبْتُهُ	فَأَرَى لَهُ تَرْكَ الْعِتَابِ عِتَابًا
فَإِذَا بُلِيتُ بِجَاهِلٍ مُتَحَكِّمٍ	يَجِدُ الْأُمُورَ مِنَ الْمُحَالِ صَوَابًا
أَوَّلَيْتُهُ مِنِّي السُّكُوتَ وَرُبَّمَا	كَانَ السُّكُوتُ عَنِ الْجَوَابِ جَوَابًا

أَهْلُ مِنَ دُرِّ الْأَصْدَافِ.

(كرامات): الْأَوَّلَى لِمَا جَعَلَهُ الْمَأْمُونُ وَلِيَّ عَهْدِهِ وَأَقَامَهُ خَلِيفَةً بَعْدَهُ، كَانَ فِي حَاشِيَةِ الْمَأْمُونِ أَنْاسٌ كَرِهُوا ذَلِكَ وَخَافُوا عَلَى خُرُوجِ الْخِلَافَةِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ وَعُودِهَا لِبَنِي فَاطِمَةَ، فَحَصَلَ عَنْدهُمْ مِنْ عَلِيِّ الرِّضَا بْنِ مُوسَى نَفُورٌ، وَكَانَ عَادَةُ الرِّضَا إِذَا جَاءَ إِلَى دَارِ الْمَأْمُونِ لِيَدْخُلَ، بَادِرَ مَنْ بِالْدهْلِيزِ مِنَ الْحِجَابِ وَأَهْلِ النُّوبَةِ مِنَ الْخُدَمِ وَالْحَشَمِ بِالْقِيَامِ لَهُ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ وَيَرْفَعُونَ لَهُ السِّتْرَ حَتَّى يَدْخُلَ، فَلَمَّا حَصَلَتْ لَهُمْ هَذِهِ النُّفْرَةُ وَتَفَاوَضُوا فِي أَمْرِ هَذِهِ الْقِصَّةِ

ودخل في قلوبهم منها شيء، قالوا فيما بينهم إذا جاء يدخل على الخليفة بعد اليوم نعرض عنه ولا نرفع له الستر واتفقوا على ذلك، وبينما هم جلوس إذ جاء علي الرضا على جاري عادته فلم يملكوا أنفسهم أن قاموا وسلموا عليه ورفعوا الستر على عادتهم، فلما دخل أقبل بعضهم على بعض يتلاومون لكونهم ما فعلوا ما اتفقوا عليه وقالوا الكرة الآتية إذا جاء لا نرفعه، فلما كان في اليوم الثاني وجاء الرضا على عادته قاموا وسلموا عليه ولم يرفعوا الستر فجاءت ريح شديدة فرفعت الستر أكثر مما كانوا يرفعونه، فدخل ثم عند خروجه جاءت ريح من الجانب الآخر فرفعته له وخرج، فأقبل بعضهم على بعض وقالوا: إن لهذا الرجل عند الله منزلة وله منه عناية انظروا إلى الريح كيف جاءت ورفعت له الستر عند دخوله وعند خروجه من الجهتين ارجعوا إلى ما كنتم عليه من خدمته فهو خير لكم.

(الثانية) من كتاب أعلام الوري للطوسي قال روى الحاكم أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن محمد بن عيسى عن أبي حبيب قال: رأيت النبي ﷺ في المنام وكان قد وافى المسجد الذي كان ينزله الحجاج من بلدنا في كل سنة، وكأني مضيت إليه وسلمت عليه ووقفت بين يديه فوجدته وعنده طبق من خوص المدينة فيه تمر صيحاني، وكأنه قبض قبضة من ذلك التمر فناولنيها فعددتها فوجدتها ثمانين عشرة ثمرة، فتأولت أني أعيش بكل ثمرة سنة، فلما كان بعد عشرين يومًا وأنا في أرض لي تعمّر للزراعة إذ جاءني من أخبرني بقدم أبي الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم ونزوله بذلك المسجد، ورأيت الناس يسعون له من كل جهة يسلمون عليه، فمضيت نحوه فإذا هو

جالس في الموضع الذي رأيت النبي ﷺ جالساً فيه وتحتة حصير مثل
الحصير الذي كان تحتة ﷺ وبين يديه طبق من خوص المدينة وفيه
تمر صيحاني، فسلمت عليه فرد السلام واستدنانني وناولني قبضة من
ذلك التمر، فعددتها فإذا هي بعدد ما ناولني رسول الله ﷺ في النوم
ثمان عشرة تمرّة، فقلت: زدني، فقال: لو زادك رسول الله ﷺ لزدتُك.
(الثالثة) روى الحاكم أيضاً بإسناده عن سعيد بن سعيد أن أبا
الحسن عليّاً الرضا نظر إلى رجل فقال: يا عبد الله أوص بما تريد
واستعد لما لا بد منه، فمات الرجل بعد ثلاثة أيام.

(الرابعة) عن صفوان بن يحيى قال: لما مضى موسم الكاظم
وظهر ولده من بعده علي الرضا خفنا عليه وقلنا له: إنا نخاف عليك
من هذا؛ يعني هارون الرشيد، قال: ليجهدن جهده فلا سبيل له عليّ،
قال صفوان فحدثني ثقة أن يحيى بن خالد البرمكي قال لهارون
الرشيد: هذا علي بن موسى قد تقدّم وادّعى الأمر لنفسه، فقال
هارون: يكفيننا ما صنعنا بأبيه تريد أن نقتلهم جميعاً.

(الخامسة) عن مسافر قال كنت مع أبي الحسن علي الرضا فمر
يحيى بن خالد البرمكي وهو مغط وجهه بمنديل من الغبار فقال
الرضا: مساكين هؤلاء لا يدرون ما يحل بهم في هذه السنة، فكان
من أمرهم ما كان، قال: وأعجب من هذا أنا وهارون كهاتين؛ وضم
إصبعه السبابة والوسطى، قال مسافر: فوالله ما عرفت معنى حديثه
في هارون إلا بعد موت الرضا ودفنه إلى جانبه.

(السادسة) عن الحسين بن يسار قال: قال علي الرضا: إن عبد الله
يقتل محمداً، فقلت: عبد الله بن هارون يقتل محمد بن هارون؟ قال:

نعم عبد الله المأمون يقتل محمداً الأمين، فكان كما قال.

(السابعة) عن الحسين بن موسى قال كنا حول أبي الحسن علي الرضا بن موسى ونحن شباب من بني هاشم إذ مرَّ علينا جعفر بن عمر العلوي وهو رث الهيئة، فنظر بعضنا إلى بعض نظرٌ مُستزِرٌّ لهيئته وحالته، وقال الرضا: سترونه عن قريب كثير المال كثير الخدم حسن الهيئة، فما مضى إلا شهر واحد حتى ولي أمر المدينة وحسنت حالته وكان يمر بنا كثيراً وحوله الخدم والحشم يسرون بين يديه فنقوم له ونعظمه وندعوه له.

(الثامنة) روي عن جعفر بن صالح قال: أتيت الرضا فقلتُ امرأتي أخت محمد بن سنان - وكان من خواص شيعتهم - وبها حملٌ فادعُ الله أن يجعله ذكراً، قال: هما اثنان، فولَّيتُ وقلتُ أُسمي واحداً علياً والآخر محمداً، فدعاني فأتيته فقال: سَمِّ واحداً علياً والآخر أم عمرو، فقدمت الكوفة فولدتُ غلاماً وجارية، فسميت الذكر علياً والأنثى أم عمرو كما أمرني، وقلت لأمي: ما معنى أم عمرو، قالت: جدتك كانت تُسمَّى أم عمرو.

(التاسعة) عن حمزة بن جعفر الأرجاني قال خرج هارون الرشيد من المسجد الحرام من باب، وخرج علي بن موسى الرضا من باب، فقال الرضا وهو يعني هارون الرشيد: يا بُعد الدارِ وقرب الملتقى يا طوس ستجمعيني وإياه.

(العاشرة) عن موسى بن عمران قال: رأيت علياً الرضا بن موسى في مسجد المدينة وهارون الرشيد يخطب قال: تروني وإياه نُدفن في بيت واحد.

(تتمة: في الكلام على وفاته وأولاده) عن هرثمة بن أعين، وكان من خدم الخليفة عبد الله المأمون وكان قائمًا بخدمة الرضا قال: طلبني سيدي أبو الحسن الرضا في يوم من الأيام وقال لي: يا هرثمة إني مُطلعك على أمر يكون سرًّا عندك لا تُظهره لأحد مدة حياتي فإن أظهرته حال حياتي كنت خصمًا لك عند الله، فحلفت له أني لا أتفوه بما يقول لي لأحد مدة حياته، فقال لي: اعلم يا هرثمة أنه قد دنا رحيلي ولحوقي بآبائي وأجدادي وقد بلغ الكتاب أجله، وإني أطعم عنبًا ورمانًا مفتوتًا فأموت، ويقصدُ الخليفةُ أن يجعل قبري خلف قبر أبيه هارون الرشيد، وأن الله يقدره على ذلك، وأن الأرض تشد عليهم فلا تعمل فيها المعاول ولا يستطيعون حفرها، فاعلم يا هرثمة أن مدفني في الجهة الفلانية من اللحد الفلاني لموضع عينيَّ لي، فإذا أنا مت وجُهِزت فأعلمه بجميع ما قلت لك؛ لتكونوا على بصيرة من أمري، وقل له إذا أنا وُضعت في نعشي وأرادوا الصلاة عليَّ فلا يصل عليَّ وليتَّان قليلًا يأتكم رجلٌ عربي متلثم على ناقة له مُسرَّع من جهة الصحراء فينيخ ناقته وينزل عنها فيصلِّي عليَّ، فصلوا معه عليَّ، فإذا فرغتم من الصلاة عليَّ وحُملت إلى مدفني الذي عيّنته لك فاحفر شيئًا سيرًا من وجه الأرض تجد قبرًا مطبقًا معمورًا في قعره ماء أبيض، فإذا كشفت عنه الطبقات نضب الماء، فهذا مدفني فادفوني فيه، الله الله يا هرثمة أن تخبر بهذا، قال هرثمة: فوالله ما طالت أيامه حتى أكل الرضا عند الخليفة عنبًا ورمانًا فمات. (عن أبي الصلت الهروي) قال: دخلت على الرضا وقد خرج من عند المأمون فقال: يا أبا الصلت قد فعلوها، وجعل يوحد الله ويمجده، فأقام يومين ومات

في اليوم الثالث، قال هرثمة: فدخلت على الخليفة المأمون لما بلغه موت أبي الحسن علي الرضا فوجدت المنديل بيده وهو يبكي عليه، فقلت: يا أمير المؤمنين ثمَّ كلامٌ أتأذن لي أن أقوله لك؟ قال: قل، فقصصتُ القصة عليه التي قالها لي الرضا من أولها إلى آخرها، فتعجب المأمون من ذلك، ثم إنه أمر بتجهيزه وخرجنا بجنازته إلى المصلى وأخرنا الصلاة عليه قليلاً فإذا بالرجل العربي قد أقبل على بغيره من جهة الصحراء كما قال، فنزل ولم يكلم أحداً فصلّى عليه وصلى الناس معه، وأمر الخليفة بطلب الرجل فلم يروا له أثراً ولا لبعيره، ثم إن الخليفة قال: نحفر له من خلف قبر الرشيد لننظر ما قاله لك، فكانت الأرض أصلب من الصخر الصوان عجزوا عن حفرها، فتعجب الحاضرون من ذلك وتبيّن للمأمون صدق ما قلته له، فقال: أرني الموضع الذي أشار إليه، فجئت بهم إليه فما كان إلا أن انكشف التراب عن وجه الأرض فظهرت الطبقات فرفعناها فظهر قبر معمور فإذا في قعره ماء أبيض، وأشرف عليه المأمون وأبصره، ثم إن ذلك الماء نضب من وقته فواريناه فيه ورددنا الطبقات على حالها والتراب، ولم يزل الخليفة المأمون يتعجب مما رأى ومما سمعه مني ويتأسف عليه ويندم وكلما خلوتُ معه يقول لي: يا هرثمة كيف قال لك أبو الحسن الرضا، فأعيد عليه الحديث فيتلهف ويتأسف ويقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(وكانت وفاته) سنة ثلاث ومائتين في آخر صفر وقيل غير ذلك، وله من العمر إذ ذاك خمس وخمسون سنة، في قرية يُقال لها سنا باد من رستاق من أعمال طوس من خراسان، وقبره في قبّل قبر

هارون الرشيد. (وأما أولاده) فقد قال ابن الخشاب في كتابه مواليد أهل البيت: ولد الرضا خمسة بنين وابنة واحدة وهم: محمد القانع والحسن وجعفر وإبراهيم والحسين والبنت اسمها عائشة.

فصل في ذكر مناقب محمد الجواد بن علي الرضا ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب

أمه أم ولد يقال لها سكينه المريسية، (وكنيته) أبو جعفر كُنية جده محمد الباقر، (وألقابه كثيرة) الجواد والقانع والمرتضى وأشهرها الجواد، (صفته) أبيض معتدل، (شاعره) حماد، (بوابه) عمر بن الفرات، (نقش خاتمه) نعم القادر الله، (معاصره) المأمون والمعتصم، وُلد أبو جعفر محمد الجواد بالمدينة تاسع عشر شهر رمضان المعظم سنة خمس وتسعين ومائة من الهجرة، قال صاحب كتاب مطالب السؤل في مناقب آل الرسول ﷺ: هذا محمد أبو جعفر الثاني؛ فإنه قد تقدم في آبائه أبو جعفر محمد الباقر بن علي، فجاء هذا باسمه وكنيته واسم أبيه فُعرف بأبي جعفر الثاني، وإن كان صغير السن فهو كبير القدر رفيع الذكر، ومناقبه كثيرة (نقل) غير واحد أن والده علياً الرضا لما تُوفي وقدم المأمون ببغداد بعد وفاته بسنة، اتفق أن المأمون خرج يوماً يتصيد فاجتاز بطريق البلد وثُمَّ صبيان يلعبون ومحمد الجواد واقف عندهم، فلما أقبل المأمون فرَّ الصبيان ووقف محمد وعمره إذ ذاك تسع سنين، فلما قرب منه الخليفة نظر إليه فألقى الله على قلبه حبه فقال له: يا غلام ما منعك من الانصراف كأصحابك؟ فقال له محمد مسرعاً: يا أمير المؤمنين لم يكن بالطريق ضيقٌ فأوسعه لك، وليس لي جُرم فأخشاك، والظن بك حسن أنك لا

تضر من لا ذنب له، فأعجبه كلامه وحسن صورته فقال له: ما اسمك واسم أبيك؟ فقال: محمد بن علي الرضا، فترحم على أبيه وساق جواده إلى مقصده وكان معه بزة⁽¹¹⁸⁾ الصيد، فلما بعد عن العمران أرسل بازاً على دراجة فغاب عنه ثم عاد من الجو وفي منقاره سمكة صغيرة فيها بقايا الحياة، فتعجب من ذلك غاية العجب ورجع فرأى الصبيان على حالهم ومحمد عندهم ففروا إلا محمداً، فدنا منه وقال له: يا محمد ما في يدي؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى خلق في بحر قدرته سمكاً صغيراً تصيده بازات الملوك والخلفاء كي يختبر بها سلالة بني المصطفى ﷺ كرامةً له، فقال له: أنت ابن الرضا حقاً، وأخذه معه وأحسن إليه وقربه وبالع في إكرامه ولم يزل مشغولاً به لما ظهر له بعد ذلك من فضله وعلمه وكمال عقله وظهور براهينه مع صغر سنه، وعزم على تزويجه بابنته أم الفضل وصمم على ذلك فمنعه العباسيون من ذلك؛ خوفاً من أن يعهد إليه كما عهد إلى أبيه، فلما ذكر لهم أنه إنما اختاره لتمييزه عن كافة أهل الفضل علماً ومعرفة وحلماً مع صغر سنه، نازعوه في اتصاف محمد بذلك ثم تواعدوا على أن يرسلوا إليه من يختبره، فأرسلوا إلى يحيى بن أكثم ووعدوه بشيء كثير إن قطع لهم محمداً وخجله، فحضر الخليفة وخواص الدولة ومعهم يحيى بن أكثم فأمر المأمون بفراش حسن لمحمد فجلس عليه، وسأله يحيى مسائل فأجاب عنها بأحسن جواب وأوضحه، فقال له الخليفة: أحسنت يا أبا جعفر فإن أردت أن تسأل يحيى ولو مسألة واحدة، فقال يحيى: يسأل فإن كان عندي جواب

(118) بُزاة: نوع من الصقور.

أجبت به وإلا استفتدت الجواب واللّه أسأل أن يرشدني للصواب، فقال له أبو جعفر محمد الجواد: ما تقول في رجل نظر إلى امرأة في أول النهار بشهوة فكان نظره إليها حراماً عليه فلما ارتفع النهار حلّت له فلما زالت الشمس حرمت عليه فلما كان وقت العصر حلت له فلما غربت الشمس حرمت عليه فلما دخل وقت العشاء الآخر حلت له فلما انتصف الليل حرمت عليه فلما طلع الفجر حلت له، فبماذا حلّت هذه المرأة لهذا الرجل وبماذا حرمت عليه في هذه الأوقات؟ فقال يحيى بن أكثم: لا أدري فإن رأيت أن تفيد الجواب فذلك، فقال أبو جعفر: هذه أمة لرجل نظر لها شخص في أول النهار بشهوة وذلك حرام عليه فلما ارتفع النهار ابتاعها من صاحبها فحلت له، فلما كان وقت الظهر أعتقها فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء كفر عن الظهار فحلت له، فلما كان نصف الليل طلقها طليقة واحدة فحرمت عليه، فلما كان وقت الفجر راجعها فحلت له، فأقبل المأمون على من حضر من أهل بيته فقال: هل فيكم أحد يستحضر أن يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب؟ فقالوا: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فقال: قد عرفتم الآن ما تنكرون، وظهر في وجه القاضي يحيى الخجل والتغير وعرف ذلك كل من بالمجلس فقال المأمون: الحمد لله على ما منّ به عليّ من السداد في الأمر والتوفيق في الرأي، وأقبل على أبي جعفر وقال: إني مُزوَّجك ابنتي أم الفضل وإن رغم لذلك أنوف قوم، فاخطب لنفسك فقد رضيتك لنفسي وابنتي، فقال أبو جعفر: الحمد

لله إقرارًا بنعمته، ولا إله إلا الله إخلاصًا بوحدايته، وصلى الله على سيدنا محمد سيد بريته والأصفياء من عترته؛ أما بعد فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام فقال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾⁽¹¹⁹⁾، ثم إن محمد بن علي بن موسى خطب إلى أمير المؤمنين عبد الله المأمون ابنته أم الفضل وقد بذل لها من الصّدق مهر جدته فاطمة بنت رسول الله ﷺ وله خمسمائة درهم جياذ فهل زوّجتنّي يا أمير المؤمنين إياها على هذا الصّدق؟ فقال المأمون: زوّجتك ابنتي أم الفضل على هذا الصّدق المذكور، فقال أبو جعفر: قبلت نكاحها لنفسي على هذا الصّدق المذكور، (قال) الرمالى وأخرج الخدم مثل السفينة من الفضّة مطلية بالذهب فيها الغالية مضروبة بأنواع الطيب والماورد والمسك فتطيّب منها الحاضرون على قدر منازلهم، ثم وُضعت موائد الحلواء فأكل الحاضرون، وفُرقت عليهم الجوائز على قدر رتبهم، ثم انصرف الناس وتقدم المأمون بالصدقة على الفقراء والمساكين وأهل الأربطة والخوانيق والمدارس ولم يزل عنده محمد الجواد معظمًا مكرمًا إلى أن توجه بزوجه أم الفضل إلى المدينة الشريفة، (رُوي) أن أم الفضل بعد توجهها مع زوجها إلى المدينة كتبت إلى أبيها المأمون تشكو أبا جعفر وتقول إنه يتسرّى عليّ، فكتب إليها أبوها يقول: يا بنية إنا لم نزوّجك أبا جعفر لتحرّمي عليه حلالًا فلا تعاوديني بذكر شيء مما ذكرت.

⁽¹¹⁹⁾ سورة النور: 32.

(كرامتان): الأولي عن أبي خالد قال كنت بالعسكر فبلغني أن هناك رجلاً محبوباً أُنِي به من الشام مُكَبَّلاً بالحديد وقالوا إنه تنبأ، قال فأُتيت باب السجن ودفعت شيئاً للسجَّان حتى دخلت عليه فإذا برجل ذو فهم وعقل ولب، فقلت يا هذا ما قصتك؟ فقال: إني كنت رجلاً بالشام أعبد الله تعالى في الموضع الذي يُقال إنه نُصب فيه رأس الحسين فبينما أنا ذات ليلة في موضعي مقبلاً على المحراب أذكر الله تعالى إذ رأيت شخصاً بين يدي فنظرت إليه فقال لي: قم، فقمتم معه فمشى قليلاً فإذا أنا في مسجد الكوفة، فقال لي: تعرف هذا المسجد؟ فقلت: نعم هذا مسجد الكوفة، قال: فصل، فصليت معه ثم انصرف فانصرفت معه قليلاً فإذا نحن بمكة المشرفة، فطاف بالبيت فطفت معه، ثم خرج فخرجت معه فمشى قليلاً فإذا أنا بموضعي الذي كنت فيه عبد الله تعالى بالشام ثم غاب عني، فبقيت متعجباً حوَّلاً مما رأيت، فلما كان العام المقبل إذ ذاك الشخص قد أقبل عليّ فاستبشرت به، فدعاني فأجبت ففعل معي كما فعل بالعام الماضي، فلما أراد مفارقتي قلت له: بحق الذي أقدرك على ما رأيتُ منك إلا ما أخبرتني مَنْ أنت؟ فقال: أنا محمد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر، فحدَّثْتُ بعض مَنْ كان يجتمع بي في ذلك الموضع، فرفع ذلك إلى محمد بن عبد الملك الزيات فبعث إليَّ مَنْ أخذني من موضعي وكبَّلني بالحديد وحملني إلى العراق وحبسني كما ترى وادَّعى عليَّ بالمحال، فقلت له: أفأرفع قصتك إلى محمد بن عبد الملك الزيات، قال: افعل، فكتبت عنه قصته وشرحت فيها أمره ورفعتها إلى محمد بن عبد الملك، فوَقَّعَ على ظهرها: قُلْ للذي

أخرجك من الشام إلى هذه المواضع التي ذكرتها يخرجك من السجن، قال أبو خالد: فاعتممت لذلك وسقط في يدي وقلت إلى غد آتيه وأمره بالصبر وأعدّه من الله الفرج وأخبره بمقالة هذا الرجل المتجبر، فلما كان من الغد قال باكرتُ إلى السجن فإذا أنا بالحرس والموكلين بالسجن في هرج فسألت ما الخبر؟ فقل لي إن الرجل المتنبي المحمول من الشام فقد البارحة من السجن وحده بمفرده وأصبحت قيوده والأغلال التي كانت في عنقه مرماة في السجن لا ندري كيف خلص منها، وطلب فلم يوجد له أثر ولا خبر ولا يدرون أنزل في الأرض أم عُرج به إلى السماء، فتعجبت من ذلك وقلت في نفسي استخفاف ابن الزيات بأمره واستهزاؤه بقصته خلصه من السجن. كذا نقله ابن الصباغ.

(الثانية) نقل بعض الحفاظ أن امرأة زعمت أنها شريفة بحضرة المتوكل، فسأل عمن يخبره بذلك فدل على محمد الجواد فأرسل إليه فجاء فأجلسه معه على سريريه وسأله فقال: إن الله حرم لحم أولاد الحسين على السّباع؛ فتلقى للسّباع، فعرض عليها ذلك فاعترفت المرأة بكذبها، ثم قيل للمتوكل: ألا تجرب ذلك فيه، فأمر بثلاثة من السّباع فجيء بها في صحن قصره ثم دعا به فلما دخل من الباب أغلقه والسّباع قد أصمّت الأسماع من زئيرها، فلما مشى في الصحن يريد الدرجة مشى إليه وقد سكنت فتمسحت به ودارت حوله وهو يمسحها بكفه ثم ربطت، فصعد للمتوكل فتحدث معه ساعة ثم نزل، ففعلت معه كفعلها الأول حتى خرج، فأتبعه المتوكل بجائزة عظيمة، وقيل للمتوكل: افعل كما فعل ابن عمك،

فلم يجسر عليه وقال: تريدون قتلي ثم أمرهم أن لا يفشوا ذلك، انتهى. لكن نقل المسعودي أن صاحب هذه القصة: علي أبو الحسن العسكري ولده، وهو وجيه؛ لأن المتوكل لم يكن معاصراً لمحمد الجواد بل لولده.

(الثالثة) حُكي أنه لما توجه أبو جعفر محمد الجواد إلى المدينة الشريفة خرج معه الناس يشيعونه للوداع، فسار إلى أن وصل إلى باب الكوفة عند دار المسيب، فنزل هناك مع غروب الشمس ودخل إلى مسجد قديم مؤسس بذلك الموضع ليصلي فيه المغرب، وكان في صحن المسجد شجرة نبق لم تحمل قط، فدعا بكوز فيه ماء فتوضأ في أصل الشجرة وقام ليصلي، فصلَّى معه الناس المغرب ثم تنفل بأربع ركعات وسجد بعدهن للشكر، ثم قام فودَّع الناس وانصرف، فأصبحت النبقة وقد حملت من ليلتها حملاً حسناً، فرآها الناس وقد تعجبوا من ذلك غاية العجب.

(تتمة: في الكلام على وفاته وأولاده وذكر شيء من كلامه) توفي أبو جعفر محمد الجواد ببغداد، وكان سبب وصوله إليها إشخاص المعتصم له من المدينة، فقدم بغداد ومعه زوجته أم الفضل بنت المأمون ليلتين بقيتا من المحرم سنة عشرين ومائتين، وكانت وفاته في آخر ذي القعدة من السنة المذكورة، ودفن في مقابر قريش في قبر جده أبي الحسن موسى الكاظم، ودخلت امرأته أم الفضل إلى قصر المعتصم وكان له من العمر يومئذ خمس وعشرون سنة، ويُقال إنه مات مسموماً؛ يُقال إن أم الفضل بنت المأمون سقته بأمر أبيها. (وخلف) من الولد علياً وموسى وفاطمة وأمامة.

(ومن كلامه كما في الفصول المهمة) «إن لله عبادةً يخصصهم بدوام النعم فلا تزال فيهم ما بذلوها، فإن منعوها نزعها الله عنهم وحولها إلى غيرهم»، (وقال) «ما عظمت نعمة الله على أحد إلا عظمت إليه حوائج الناس، فمن لم يتحمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال» (وقال) «أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه؛ لأن لهم أجره وفخره وذكره، فمهما اصطنع الرجل من معروف فإنما يبتدئ فيه بنفسه»، (وقال) «مَنْ أَجَلَ إنساناً هابه، ومَنْ جهل شيئاً عابه، والفرصة خلسة، ومَنْ كثر همه سقم جسمه، وعنوان صحيفة المسلم حسن خلقه، وفي موضع آخر عنوان صحيفة المسلم السعيد حسن الثناء عليه»، (وقال) «مَنْ استغنى بالله افتقر الناس إليه، ومَنْ اتقى الله أحبه الناس»، (وقال) «الجمال في اللسان والكمال في العقل»، (وقال) «العفاف زينة الفقر، والشكر زينة البلاء، والتواضع زينة الحسب، والفصاحة زينة الكلام، والحفظ زينة الرواية، وخفض الجناح زينة العلم، وحسن الأدب زينة الورع، وبسط الوجه زينة القناعة، وترك ما لا يعني زينة الورع»، (وقال) «حَسْبُ المرء من كمال المروءة أن لا يلقى أحداً بما يكره، ومَنْ حُسِّنَ خُلُقُ الرجل كُفِّ أذاه، ومَنْ سخائه بره بَمَنْ يجب حقه عليه، ومَنْ كرمه إثارة على نفسه، ومَنْ إنصافه قبول الحق إذا بان له، ومَنْ نصحه نهيه عما لا يرضاه لنفسه، ومَنْ حفظه لجوارك تركه توبيخك عند ذنب أصابك مع علمه بعيوبك، ومَنْ رفقه تركه عذلك بحضرة مَنْ تكره، ومَنْ حُسِّنَ صحبته لك إسقاطه عنك مؤنة التحفظ، ومَنْ علامة صداقته كثرة موافقته وقلة مخالفته، ومَنْ شكره معرفة

إحسان مَنْ أحسن إليه، وَمِنْ تواضعه معرفته بقدره، وَمِنْ سلامته قلة حفظه لعيوب غيره وعنايته بصلاح عيوبه»، (وقال) «العامل بالظلم والمعين عليه والراضي به شركاء»، (وقال) «مَنْ أخطأ وجوه المطالب خذلته الحيل، والمطامع في وثاق الذل، وَمَنْ طلب البقاء فليُعد للمصائب قلبًا صبورًا»، (وقال) «العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم»، (وقال) «الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت»، (وعنه) «ثلاث يبلغن بالعبد رضوان الله: كثرة الاستغفار ولين الجانب وكثرة الصدقة، وثلاث مَنْ كن فيه لم يندم: ترك العجلة والمشورة والتوكل على الله عند العزم»، (وقال) «لو سكت الجاهل ما اختلف الناس»، (وقال) «مقتل الرجل بين فكيه، والرأي مع الأناة، وبئس الظهير الرأي الفطير»، (وقال) «ثلاث خصال تجتلب بهن المودة: الإنصاف في المعاشرة، والمواساة في الشدة، والانطواء على قلب سليم». (وقال) «الناس أشكال وكل يعمل على شاكلته، والناس إخوان فَمَنْ كانت أخوته في غير ذات الله فإنها تعود عداوة وذلك قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾»⁽¹²⁰⁾، (وقال) «مَنْ استحسن قبيحًا كان شريكًا فيه»، (وقال) «كفر النعمة داعية المقت، وَمَنْ جازاك بالشكر فقد أعطاك أكثر مما أخذ منك»، (وقال) «لا تفسد الظن على صديق قد أصلحك اليقين له، وَمَنْ وعظ أخاه سرًّا فقد زانه، وَمَنْ وعظه علانية فقد شانه»، (وقال) «لا يزال العقل والحق يتغالبان على الرجل إلى أن يبلغ ثماني عشرة سنة فإذا بلغها غلب عليه أكثرها فيه، وما أنعم الله عز وجل على عبد نعمة فعلم

⁽¹²⁰⁾ سورة الزخرف: 67.

أنها من الله إلا كتب الله على اسمه شكرها له قبل أن يحمدّه عليها، ولا أذنب عبدٌ ذنباً فعلم أن الله مُطلع عليه وأنه إن شاء عذبه وإن شاء غفر له إلا غفر له قبل أن يستغفره»، (وقال) «الشريف كل الشريف من شرفه علمه، والسؤدد كل السؤدد لمن اتقى الله ربه»، (وقال) «لا تعجلوا الأمر قبل بلوغه فتندموا، ولا يطولن عليكم الأمل فتفسو قلوبكم، وارحموا ضعفاءكم واطلبوا الرحمة من الله بالرحمة منكم» (وقال) «من أمل فاجراً كان أدنى عقوبته الحرمان»، (وقال) «موت الإنسان بالذنوب أكبر من موته بالأجل، وحياته بالبركة أكبر من حياته بالعمر»، (وقال) «من استفاد أحاً في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة»، (وعنه) «لو كانت السماوات والأرض رتقاً على عبد ثم اتقى الله تعالى لجعل الله له منها مخرجاً» (وعنه) أنه قال لبشر بن سعد لما قدم مصر: «يا بشر إن للمحن أخريات لا بد أن تنتهي إليها، فيجب على العاقل أن ينام لها إلى إدبارها؛ فإن مكابذتها بالحيلة عند إقبالها زيادة فيها» (وعنه) «من وثق بالله وتوكل على الله نجاه الله من كل سوء وحرز من كل عدو، والدين عز، والعلم كنز، والصمت نور، وغاية الزهد الورع، ولا هدم للدين مثل البدع، ولا أفسد للرجال من الطمع، وبالراعي تصلح الرعية، وبالدعاء تُصرف البلية، ومن ركب مركب الصبر اهتدى إلى مضمار النصر، ومن غرس أشجار التقى اجتنى ثمار المنى». وفي هذا القدر كفاية، وفقنا الله للعمل المرضي والمسلمين بجاه سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ.

فصل في ذكر مناقب سيدنا علي الهادي
ابن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم
ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر
ابن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب

قال ابن الخشاب في كتابه مواليد أهل البيت: (وُلد) أبو الحسن علي الهادي بالمدينة في رجب سنة أربع عشرة ومائتين للهجرة، (وأمه) أم ولد يُقال لها سمانة المغربية وقيل غير ذلك، (وكنيته) أبو الحسن لا غير، (وألقابه) الهادي والمتوكل والناصح والمتقي والمرتضى والفيّء والأمين والطيب، وأشهرها الهادي، وكان ينهي أصحابه عن تلقيبه بالمتوكل؛ لكونه لقباً للخليفة جعفر المتوكل بن المعتصم، (صفته) أسمر اللون، (شاعراه) العوفي والديلمي، (بوابه) عثمان بن سعيد، (نقش خاتمه) الله ربي وهو عصمتي من خلقه، (معاصره) الواثق ثم المتوكل ثم أخوه ثم ابنه المنتصر ثم المستعين ابن أخي المتوكل، (ومناقبه) كثيرة قال في الصواعق: كان أبو الحسن العسكري وارث أبيه علماً ومنحاً، وفي حياة الحيوان: سُمي العسكري؛ لأن المتوكل لما كثرت السعاية فيه عنده أحضره من المدينة وأقرّه بسرٍّ مَنْ رَأَى، على صيغة المبني للمفعول، وتسمى العسكر؛ لأن المعتصم لما بناها انتقل إليها بعسكره ف قيل لها العسكر. وفي تاريخ القرمانى ما نصه: سُرَّ مَنْ رَأَى هِي سَامِرًا، وهي مدينة عظيمة كانت على شرقي دجلة بين تكريت وبغداد، بناها المعتصم

سنة إحدى وعشرين ومائتين، وسكن بها بجنوده حتى صارت أعظم بلاد الله، وهي اليوم خراب وبها أناس قلائل كالقرية، انتهى. (نقل) غير واحد أن أبا الحسن علياً العسكري خرج يوماً من سر من رأى إلى قرية لمهم، فجاء رجل من بعض الأعراب يطلبه في داره فلم يجده وقيل له إنه ذهب إلى الموضع الفلاني، فقصده إلى ذلك الموضع فلما وصل إليه قال له: ما حاجتك، فقال له: أنا رجل من أعراب الكوفة المستمسكين بولاء جدك علي بن أبي طالب وقد ارتكبتني الديون وأثقلت ظهري بحملها ولم أرَ مَنْ أقصده لقضائها، فقال له أبو الحسن: كم دينك، فقال: نحو عشرة آلاف درهم، فقال: طُب نفساً وقرّ عيناً يُقضى دينك إن شاء الله تعالى، ثم أنزله فلما أصبح قال: يا أخا العرب أريد منك حاجة لا تعصيني فيها ولا تخالفني، والله الله فيما أمرك به وحاجتك تُقضى إن شاء الله تعالى، فقال الأعرابي: لا أخالفك في شيء مما تأمرني به، فأخذ أبو الحسن ورقة وكتب فيها بخطه ديناً عليه للأعرابي بالمبلغ المذكور وقال له: خذ هذا الخط معك فإذا حضرت إلى سر من رأى فتراني أجلس مجلساً عاماً، فإذا حضر الناس واحتفل المجلس فتعال إليّ بالخط وطالبني وأغلظ عليّ في القول والطلب ولا عليك، والله الله أن تخالفني في شيء مما أوصيتك به، فلما وصل أبو الحسن إلى سر من رأى جلس مجلساً عاماً وحضره جماعة من وجوه الناس وأصحاب الخليفة المتوكل، فجاء الأعرابي وأخرج الورقة وطالبه بالمبلغ وأغلظ عليه في الكلام، فجعل أبو الحسن يعتذر له ويُطيب نفسه بالقول ويَعِدُه بالخلاص وكذلك الحاضرون، وطلب منه المهلة ثلاثة أيام،

فلما انفك المجلس نُقل ذلك للخليفة المتوكل فأمر لأبي الحسن على الفور بثلاثين ألف درهم، فلما حُمِلت إليه تركها إلى أن جاء الأعرابي فقال له: خذها جميعها، فقال الأعرابي: يا ابن رسول الله والله إن العشرة بلوغ مطلبي ونهاية أربي، فقال أبو الحسن: والله لتأخذن ذلك جميعه وهو رزقك ساقه الله لك ولو كان أكثر من ذلك ما نقصناه، فأخذ الأعرابي الثلاثين ألف درهم وانصرف وهو يقول: **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ.**

(كرامة) عن الأسباطي قال: قدمت على أبي الحسن علي بن محمد المدينة الشريفة من العراق فقال لي: ما خبر الوائق عندك، فقلت: خلفته في عافية وأنا من أقرب الناس به عهداً وهذا مقدمي من عنده وتركته صحيحاً، فقال: إن الناس يقولون إنه قد مات، فلما قال لي إن الناس يقولون إنه قد مات فهمتُ أنه يعني نفسه فسكت ثم قال: ما فعل ابن الزيات؟ قلت: الناس معه والأمر أمره، فقال: أما إنه شؤم عليه، ثم قال: لا بد أن تجري مقادير الله وأحكامه، يا جيران مات الوائق، وجلس جعفر المتوكل وقتل ابن الزيات، فقلت: متى؟ قال: بعد مخرجك بستة أيام، فما كان إلا أيام قلائل حتى جاء قاصد المتوكل إلى المدينة فكان كما قال. (حُكي) أن سبب شخوص أبي الحسن علي بن محمد من المدينة إلى سُر من رأى أن عبد الله بن محمد كان ينوب عن الخليفة المتوكل في الحرب والصلاة بالمدينة، فسعى بأبي الحسن إلى المتوكل وكان يقصده بالأذى، فبلغ أبا الحسن سعائته إلى المتوكل فكتب إلى المتوكل يذكر تحامل عبد الله بن محمد عليه وقصده له بالأذى، فكتب إليه المتوكل كتاباً

يعتذر له فيه ويلين له القول ودعاه فيه إلى الحضور إليه على حيل من القول والفعل، ولما وصل الكتاب إلى أبي الحسن تجهز للرحيل وخرج، وخرج معه يحيى بن هرثمة بن أعين مولى أمير المؤمنين ومن معه من الجند حافين به إلى أن وصل إلى سر من رأى، فنزل في خان يُعرف بخان الصعاليك فأقام فيه يومه، ثم إن المتوكل أفرد له دارًا حسنة وأنزله بها، فأقام أبو الحسن مدة مقامه بسر من رأى مكرماً مُعظماً مُبجلاً في ظاهر الحال، والمتوكل يتتبع له الغوائل في باطن الأمر، فلم يقدره الله تعالى عليه. (وفي) تاريخ ابن خلكان وغيره أنه سعي به إلى المتوكل بأن في منزله سلاحاً وكتباً من شيعته وأنه يطلب الأمر لنفسه، فبعث إليه جماعته فهجموا على منزله فوجدوه على الأرض مستقبلاً القبلة يقرأ القرآن، فحملوه على حاله إلى المتوكل والمتوكل يشرب، فأعظمه وأجله وقال له: أنشدني، فقال له: إني قليل الرواية للشعر، فقال لا بدّ، فأنشده:

بَاثُوا عَلَى قُلُلِ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ غُلِبَ الرِّجَالِ فَلَمْ تَنْفَعَهُمُ الْقُلُلُ
وَاسْتَنْزَلُوا بَعْدَ عِزٍّ مِنْ مَعَاظِلِهِمْ وَأُودِعُوا حُفْرًا يَا بِسْمًا نَزَلُوا
نَادَاهُمْ صَارُخٌ مِنْ بَعْدِ مَا رَحَلُوا أَيْنَ الْأَسْرَةُ وَالتَّيْجَانُ وَالْحُلُلُ
فَأَفْصَحَ الْقَبْرِ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَ لَهُمْ تِلْكَ الْوُجُوهُ عَلَيْهَا لِدُودٌ يَفْتَتِلُ
يَا طَالَمَا أَكَلُوا وَمَا شَرَبُوا فَأَصْبَحُوا بَعْدَ ذَلِكَ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا

قال فبكى المتوكل والحاضرون، وقال له المتوكل: يا أبا الحسن هل عليك دين؟ قال: نعم أربعة آلاف درهم، فأمر له بها وصرفه معظماً مكرماً. وهذه الأبيات من قصيدة وجدت على قصر سيف

بن ذي يزن الحميري، وكان يسمى عمدان، وكان سيفاً من الملوك العادلة، وكانت مكتوبة بالقلم المسند فعربت فإذا هي أبيات جليلة وموعظة بليغة وأولها:

أُنْظِرْ ماذا ترى أيها الرَّجُلُ وَكُنْ على حذرٍ مِنْ قَبْلِ تَنْتَقِلُ
وَقَدِّمِ الزَّادَ مِنْ خَيْرِ تُسَرُّ بِهِ فَكُلْ ساكِنِ دارٍ سوف يَرْتَحِلُ
وانظُرْ إلى معشرٍ باتوا على دعةٍ فأصبحوا في الثَّرَى رَهْنًا بما عَمِلُوا
بنوا فلم يَنْفَعِ البِنايَ وادَّخَرُوا ما لَمْ يَكُنْ لِيُغْنِهِمْ لَمَّا انْقَضَى الْأَجَلُ
بَاتُوا على قُلُلِ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ... الأبيات اهـ.

وَوُجِدَ مكتوباً على قصره أيضاً هذه الأبيات الثلاثة وهي:

مَنْ كَانَ لَا يَطَأُ التُّرابَ بِرِجْلِهِ وَطِئَ التُّرابَ بِصَفْحَةِ الْخَدِّ
مَنْ كَانَ بَيْنَكَ فِي التُّرابِ وَبَيْنَهُ شَبْرَانِ كَانَ بَغَايَةِ الْبُعْدِ
لو بَعَثَ النَّاسُ الثَّرَى وَرَأَوْهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا الْمَوْلَى مِنَ الْعَبْدِ

اهـ من الكنز المدفون.

(تتمة في الكلام على وفاته وأولاده) تُوفي أبو الحسن علي الهادي المعروف بالعسكري ابن محمد الجواد بِسَرٍّ مَنْ رَأَى وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ أَرْبَعُونَ سَنَةً، يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِحَمْسِ لَيَالٍ بَقِيَتْ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةٌ أَرْبَعٌ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَدُفِنَ فِي دَارِهِ بِسَرٍّ مَنْ رَأَى، يُقَالُ إِنَّهُ مَاتَ مَسْمُومًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ. (وأولاده) محمد والحسن ومحمد أبو جعفر، وله ابنة اسمها عائشة.

فصل في ذكر مناقب الحسن الخالص بن علي الهادي
ابن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم
ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين
العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب

أمه أم ولد يقال لها حديث، وقيل سوسن، (وكنيته) أبو محمد،
(واللقابه) الخالص والسراج والعسكري، (صفته) بين السمرة
والبياض، (شاعره) ابن الرومي، (بوابه) عثمان بن سعد، (نقش
خاتمه) سبحان من له مقاليد السموات والأرض، (معاصره) المعترز
والمهتدي والمعتمد، (ولد) أبو محمد الخالص بالمدينة لثمان
خلت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين من الهجرة،
(ومناقبه) كثيرة؛ ففي درر الأصداف وقع للبهلول معه أنه رآه وهو
صبي يبكي والصبيان يلعبون فظن أنه يتحسر على ما بأيديهم فقال
له: أشتري لك ما تلعب به، فقال: يا قليل العقل ما للعب خُلِقنا، فقال
له فلماذا خُلِقنا؟ قال: للعلم والعبادة، فقال له: من أين لك ذلك؟
فقال من قوله تعالى: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا
تُرْجَعُونَ⁽¹²¹⁾، ثم سأله أن يعظه فوعظه بأبيات ثم خرَّ الحسن مغشيًا
عليه، فلما أفاق قال له: ما نزل بك وأنت صغير ولا ذنب لك؟ فقال:
إليك عني يا بهلول إني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار فلا
تتقد إلا بالصغار وإني أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم اهـ.

⁽¹²¹⁾ سورة المؤمنون: 115.

(كرامات): الأولى هي جامعة الكرامات؛ حدّثَ أبو هاشم داود بن قاسم الجعفري قال: كنت في الحبس الذي فيه الجوسق أنا والحسن بن محمد ومحمد بن إبراهيم العمري وفلان وفلان خمسة أو ستة، إذ دخل علينا أبو محمد الحسن بن علي العسكري وأخوه جعفر، فحففنا بأبي محمد وكان المتولي للحبس صالح بن يوسف الحاجب، وكان معنا في الحبس رجل أعجمي، فالتفت إلينا أبو محمد وقال لنا سرّاً: لولا أن هذا الرجل فيكم لأخبرتكم متى يفرج الله عنكم، وهذا الرجل قد كتب فيكم قصة إلى الخليفة يخبره فيها بما تقولون فيه وهي معه في ثيابه يريد الحيلة في إيصالها إلى الخليفة من حيث لا تعلمون فاحذروا شره، قال أبو هاشم: فما تمالكنا أن تحاملنا جميعاً على الرجل ففتشناه فوجدنا القصة مدسوسة معه في ثيابه وهو يذكّرنا فيها بكل سوء، فأخذناها منه وحذّرناه، وكان الحسن يصوم في السجن فإذا أفطر أكلنا معه من طعامه، قال أبو هاشم: فكنت أصوم معه فلما كان ذات يوم ضعفت عن الصوم فأمرتُ غلامي فجاء لي بكعك، فذهبت إلى مكان خالٍ في الحبس فأكلت وشربت ثم عدت إلى مجلسي مع الجماعة ولم يشعر بي أحد، فلما رآني تبسم وقال: أفطرت، فخجلت فقال: لا عليك يا أبا هاشم إذا رأيت أنك قد ضعفت وأردت القوة فكل اللحم فإن الكعك لا قوة فيه، وقال: عزمْتُ عليك أن تُفطر ثلاثاً فإن البنية إذا أنهكها الصوم لا تتقوى إلا بعد ثلاث، قال أبو هاشم: ثم لم تَطُلْ مدة أبي محمد الحسن بن علي في الحبس بسبب أن قحط الناس بسُرٍّ مَنْ رَأَى قحطاً شديداً فأمر الخليفة المعتمد على الله بن المتوكل بخروج الناس إلى الاستسقاء،

فخرجوا ثلاثة أيام يستسقون فلم يُسَقَوْا، فخرج الجاثليق في اليوم الرابع إلى الصحراء وخرج معه النصارى والرهبان وكان فيهم راهب كلما مَدَّ يده إلى السماء هطلت بالمطر، ثم خرجوا في اليوم الثاني وفعلوا كفعلهم أول يوم فهطلت السماء بالمطر، فعجب الناس من ذلك وداخل بعضهم الشك وصبأ بعضهم إلى دين النصرانية، فشَقَّ ذلك على الخليفة فأنفذ إلى صالح بن يوسف أن أخرج أبا محمد الحسن من الحبس واثَّني به.

فلما حضر أبو محمد الحسن عند الخليفة قال له: أَذْرِكُ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ فيما لحقهم من هذه النازلة العظيمة، فقال أبو محمد: دعهم يخرجون غداً اليوم الثالث، فقال له: قد استغنى الناس عن المطر واستكفوا فما فائدة خروجهم، قال: لأُرِيلَ الشكَّ عن الناس وما وقعوا فيه، فأمر الخليفة الجاثليق والرهبان أن يخرجوا أيضاً في اليوم الثالث على جاري عادتهم وأن يخرج الناس، فخرج النصارى وخرج معهم أبو محمد الحسن ومعه خلق من المسلمين، فوقف النصارى على جاري عادتهم يستسقون وخرج راهب معهم ومدَّ يديه إلى السماء ورفعت النصارى والرهبان أيديهم أيضاً كعادتهم فغيمت السماء في الوقت ونزل المطر.

فأمر أبو محمد الحسن بالقبض على يد الراهب وأخذ ما فيها فإذا ما بين أصابعه عظم آدمي، فأخذه أبو محمد الحسن ولفَّه في خرقة وقال لهم: استسقوا، فانقشع الغيم وطلعت الشمس، فتعجب الناس من ذلك وقال الخليفة: ما هذا يا أبا محمد؟ فقال: هذا عظم نبي من الأنبياء ظفر به هؤلاء من قبور الأنبياء؛ وما كُشف عن عظم نبي من

الأنبياء تحت السماء إلا هطلت بالمطر، فاستحسنوا ذلك وامتنحونه فوجدوه كما قال، فرجع أبو محمد الحسن إلى داره بسرَّ مَنْ رأى وقد أزال عن الناس هذه الشبهة، وسرَّ الخليفة والمسلمون بذلك، وكلم أبو محمد الحسن الخليفة في إخراج أصحابه الذين كانوا معه في السجن فأخرجهم وأطلقهم من أجله، وأقام أبو محمد بمنزله مُعْظَمًا مُكرِّمًا وصلات الخليفة وإنعاماته تصلُّ إليه في كل وقت. نقله غير واحد.

(الثانية) عن علي بن إبراهيم بن هشام عن أبيه عن عيسى بن الفتح قال لما دخل علينا أبو محمد الحسن الحبس قال لي: يا عيسى لك من العمر خمس وستون سنة وشهر ويومان، قال وكان معي كتاب فيه تاريخ ولادتي فنظرت فيه فكان كما قال، ثم قال: هل رُزقت ولدًا، قلت لا، فقال: اللهم ارزقه ولدًا يكون له عضدًا فنعم العضد الولد ثم أنشد:

مَنْ كَانَ ذَا عَضِدٍ يُدْرِكُ ظِلَامَتَهُ⁽¹²²⁾ إِنَّ الدَّلِيلَ الَّذِي كَيْسَتْ لَهُ عَضْدُ
فقلت: يا سيدي وأنت لك ولد، فقال: إني والله سيكون لي ولدٌ يملأ الأرض قسطًا وعدلاً وأما الآن فلا.

(الثالثة) عن إسماعيل بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس عليه السلام قال قعدت لأبي محمد الحسن على باب دارٍ حتى خرج فقمت في وجهه وشكوت إليه الحاجة والضرورة وأقسمت إني لا أملك الدرهم الواحد فما فوقه، فقال: تُقسم وقد دفنت مائتي دينار؟! وليس قولي هذا دفعًا لك عن العطية، أعطه يا غلام ما معك، فأعطاني مائة

⁽¹²²⁾ ظِلَامَتُهُ: مَظْلَمَتُهُ.

دينار، فشكرت له وولَّيتُ، فقال: ما أخوفني أن تفقد المائتي دينار أحوج ما تكون إليها، فذهبت إليها فافتقدتها فإذا هي في مكانها فنقلتها إلى موضع آخر ودفنتها ولم يطلع عليها أحد، ثم قعدت مدة طويلة فاضطرت إليها فجئتُ أطلبها في مكانها فلم أجدها، فحزنتُ وشقَّ ذلك عليَّ فوجدتُ ابنًا لي قد عرف مكانها وقد أخذها وأنفذهها ولم أحصل منها على شيء وكان كما قال.

(الرابعة) عن محمد بن حمزة الدوري قال كتبت على يدي أبي هاشم داود بن القاسم وكان مؤاخياً لأبي محمد الحسن أسأله أن يدعو الله لي بالغنى وكنت قد أملت وخفت الفضيحة، فخرج الجواب على يده: أبشر فقد أتاك الغنى من الله تعالى؛ مات ابن عمك يحيى بن حمزة وخلفَ مائة ألف درهم ولم يترك وارثاً سواك وهي واردة عليك عن قريب، فاشكر الله وعليك الاقتصاد وإياك والإسراف، فورد عليَّ المال والخبر بموت ابن عمي كما قال عن أيام قلائل، وزال عني الفقر وأدَّيت حق الله تعالى فيه، وبررت إخواني، وتماسكت بعد ذلك وكنت قبل ذلك مبذراً.

(فائدة) عن أبي هاشم قال سمعت أبا محمد الحسن يقول: «إن في الجنة باباً يُقال له المعروف لا يدخل منه إلا أهل المعروف»، فحمدت الله في نفسي وفرحت بما أتكلف من حوائج الناس، فنظر إليَّ وقال: «يا أبا هاشم دُم على ما أنت عليه فإن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة». (وعنه أيضاً) قال سمعت أبا محمد يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها».

(تتمة في الكلام على وفاته وولده) في الفصول المهمة.
ولما ذاع خبر وفاته ارتجت سُرَّ مَنْ رأى وقامت صيحة واحدة
وعُطِّلَت الأسواق وغُلِّقت الدكاكين، وركب بنو هاشم والقوَّاد
والكتَّاب والقضاة والمعدلون وسائر الناس إلى جنازته، فكانت سُرَّ
مَنْ رأى يومئذ شبيهة بالقيامة، فلما فرغوا من تجهيزه بعث الخليفة
إلى أبي عيسى بن المتوكل ليصلي عليه، فصلّى عليه ودُفِن في البيت
الذي دُفِن فيه أبوه من دارهما بَسْرَ مَنْ رأى، وكانت وفاة أبي محمد
الحسن بن علي في يوم الجمعة لثمانِ خلون من شهر ربيع الأول سنة
ستين ومائتين، وخلف من الولد ابنه محمداً.

فصل في ذكر مناقب محمد بن الحسن الخالص
ابن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا
ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر
ابن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب

(أمه) أم ولد وله يقال لها نرجس، وقيل صقيل، وقيل سوسن،
(وكنيته) أبو القاسم، ولقبه الإمامية بالحُجَّة والمَهديّ والخلفِ
الصالح والقائم والمُنتظر وصاحب الزمان، وأشهرها المهدي،
(صفته) شابُّ مربوع القامة حسن الوجه والشعر، يسيل شعره على
منكبيه، أفتى الأنف⁽¹²³⁾ أجلى الجبهة⁽¹²⁴⁾، (بوابه) محمد بن عثمان،
(معاصره) المعتمد، كذا في الفصول المهمة، وهو آخر الأئمة الاثني
عشر على ما ذهب إليه الإمامية، وفي الفصول المهمة قيل إنه غاب
في السرداب والحرس عليه وذلك في سنة ست وستين ومائتين، وفي
الصواعق ويسمى القائم المنتظر؛ قيل لأنه ستر بالمدينة وغاب فلم
يُعلم أين ذهب اهـ. وذكر العلامة الشيخ محمد بن بطوطة في رحلته
ما نصّه: ثم وصلت إلى مدينة الحلة وهي مستطيلة مع الفرات، وأهلها
كلهم إمامية اثني عشرية، وبها مسجد على بابهِ ستر حرير يقولون إن
محمد بن الحسن العسكري دخل هذا المسجد وغاب فيه، وهو

(123) "أقنى الأنف"، قال في التّهاية: "القنا في الأنف: طوله، ودقّة أرنبته، مع حذب في
وسطه، والأرنبة: طرف الأنف، والحذب: الارتفاع.

(124) أجلى الجبهة: مُنحسر الشّعر من مقدّم رأسه، أو واسع الجبهة.

عندهم الإمام المهدي المنتظر فيهم، كل يوم يلبس آلة الحرب مائة منهم ويأتون باب المسجد ومعهم دابة مسرجة ملجمة ومعهم الطبول والبوقات ويقولون اخرج يا صاحب الزمان فقد كثر الظلم والفساد وهذا أوان خروجك ليفرق الله بك بين الحق والباطل، ويقفون إلى الليل ثم يعودون كذلك دأبهم أبداً اهـ. وفي تاريخ ابن الوردي وُلد محمد بن الحسن الخالص سنة خمس وخمسين ومائتين وتزعم الشيعة أنه دخل السرداب في دار أبيه بُسْرَ مَنْ رَأَى وأمه تنظر إليه فلم يعد إليها وكان عمره تسع سنين، وذلك في سنة خمس وستين على خلاف فيه اهـ. قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الكنجي في كتابه البيان في أخبار صاحب الزمان: من الأدلة على كون المهدي حياً باقياً بعد غيبته وإلى الآن وأنه لا امتناع في بقاءه بقاء عيسى ابن مريم والخضر وإلياس من أولياء الله تعالى، وبقاء الأعور الدجال وإبليس اللعين من أعداء الله تعالى، وهؤلاء قد ثبت بقاؤهم بالكتاب والسنة. أما عيسى فالدليل على بقاءه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾⁽¹²⁵⁾، ولم يؤمن به مُدْ نزول هذه الآية إلى يومنا هذا أحد فلا بد أن يكون في آخر الزمان، ومن السنة ما رواه مسلم في صحيحه عن ابن سمعان في حديث طويل في قصة الدجال قال: «فينزل عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام عند المنارة البيضاء بين مَهْرُودَتَيْنِ⁽¹²⁶⁾ واضعاً كَفَّيْهِ على أجنحة ملكين». وأما الخضر وإلياس فقد قال ابن جرير الطبري: الخضر وإلياس

⁽¹²⁵⁾ سورة النساء: 159.

⁽¹²⁶⁾ مَهْرُودَتَيْنِ: تَوْبَتَيْنِ مَصْبُوعَتَيْنِ لون فيه صُفْرَة خفيفة.

باقيان يسيران في الأرض. وأما الدجال فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثاً طويلاً عن الدجال فكان فيما حدثنا أن قال: «يأتي وهو محرم عليه أن يدخل عتبات المدينة فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول الدجال إن قتلت هذا ثم أحييته أتشككون في الأمر فيقولون لا فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحييه والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن قال فيريد الدجال أن يقتله فلن يسلط عليه»، قال إبراهيم بن سعيد يُقال إن هذا الرجل هو الخضر وهذا اللفظ صحيح مسلم. وأما الدليل على بقاء اللعين إبليس فالكتاب وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾⁽¹²⁷⁾. وأما بقاء المهدي فقد جاء في تفسير الكتاب العزيز عن سعيد بن جبير في تفسير قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾⁽¹²⁸⁾، قال هو المهدي من ولد فاطمة عليها السلام. وأما من قال إنه عيسى فلا منافاة بين القولين إذ هو مساعد للمهدي، وقد قال مقاتل بن سليمان ومن تابعه من المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾⁽¹²⁹⁾، قال هو المهدي يكون في آخر الزمان وبعد خروجه تكون أمارات الساعة وقيامها اهـ. وفي درر الأصداف ما نصه: وزعمت الشيعة أن المنتظر هو محمد ابن الحنفية بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهم يقولون بالرجعة ولهم في ذلك أشعار وروايات منها قولهم: لا تقوم الساعة

⁽¹²⁷⁾ سورة الأعراف: 15.

⁽¹²⁸⁾ سورة التوبة: 33.

⁽¹²⁹⁾ سورة الزخرف: 61.

حتى يخرج المهدي وهو محمد بن علي فيملؤها عدلاً كما ثلثت جوراً، ويُحيي موتاهم فيرجعون إلى الدنيا، ويكون الناس أمة واحدة، وفي ذلك يقول شاعرهم:

أَلَا إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ وَوَلَاةَ الْحَقِّ أَرْبَعَةٌ سَوَاءٌ
عَلَيَّ وَالْثَلَاثَةُ مِنْ بَنِيهِ هُمْ الْأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خَفَاءُ
فَسَبْطُ سَبْطِ إِيْمَانٍ وَبِرٍّ وَسَبْطُ ضَمَنَتُهُ كَرْبَلَاءُ
وَسَبْطُ لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى يَقُودَ الْخَيْلَ يَقْدُمُهَا اللَّوَاءُ

أراد بالأسباط الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية عليه السلام وهو المهدي الذي يخرج آخر الزمان بزعمهم، وكان على هذا المذهب السيد الحميري وله من الأبيات:

إِمَامُ الْهُدَى قُلْ لِي مَتَى أَنْتَ آيَبُ فَمَنْ عَلَيْنَا يَا إِمَامُ بَرَجْعَةٍ
مَلَكْنَا وَطَالَ الْإِنْتِظَارُ فَجُدْ لَنَا بِحَقِّكَ يَا قُطْبَ الْوُجُودِ بِزُورَةٍ
فَأَنْتَ لِهَذَا الْأَمْرِ قَدِمًا مُعَيَّنٌ كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ أَنْتَ خَلِيفَتِي

قال وفي كتاب جامع الفنون في مبحث الجبال: جبل رضوى هو من المدينة على سبع مراحل، وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية، وهو أخضر يُرى من بعيد وبه أشجار ومياه، زعم الكيسانية أن محمد ابن الحنفية عليه السلام حيٌّ وهو مقيم به، وأنه بين أسدين يحفظانه وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل، وأنه يعود بعد الغيبة ويملا الأرض عدلاً كما ثلثت جوراً، وهو المهدي المنتظر وإنما عوقب بهذا الحبس لخروجه إلى عبد الملك وقيل إلى يزيد بن معاوية، قال وكان السيد الحميري على هذا المذهب وهو القائل:

أَلَا قُلْ لِلْوَصِيِّ فَدَتَكَ نَفْسِي أَطْلَتَ بِذَلِكَ الْجَبَلَ الْمُقَامَا
وهذه كلها أقوال فاسدة وبضائع كاسدة ليس بها فائدة؛ فإن محمد
ابن الحنفية توفي بالمدينة المنورة وقيل بالطائف كما تقدم، وإنما
ال خليفة المنتظر هو محمد بن عبد الله المهدي القائم في آخر الزمان،
وهو يُولد بالمدينة المنورة؛ لأنه من أهلها كما أخبر به وبعلاماته النبي
ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى اهـ.

(تتمة في الكلام على أخبار المهدي)

واعلم أنهم اختلفوا فيه هل من ولد الحسن السبط، وهو ما رواه
أبو داود في سننه وذهب إليه المناوي في كبيره؛ وكأن سِرَّهُ تَرَكُهُ
الخلافة لله عزَّ وجلَّ شفقةً على الأمة، أو من ولد الحسين السبط
قال بعضهم وهو الصحيح، اسمه أحمد أو محمد بن عبد الله، قال
القطب الشعراني في اليواقيت والجواهر: المهدي من ولد الإمام
الحسن العسكري بن الحسين، ومولده ليلة النصف من شعبان سنة
خمس وخمسين ومائتين بعد الألف وهو باقٍ إلى أن يجتمع بعيسى
ابن مريم، هكذا أخبرني الشيخ حسن العراقي المدفون فوق كوم
الريش المطل على بركة الرطل بمصر المحروسة، ووافقه على ذلك
سيدي علي الخواص اهـ.

(صفته) شاب أكحل العينين، أزج الحاجبين، أقنى الأنف،
كث اللحية، على خده الأيمن خال. وأخرج الروياني والطبراني
وغيرهما: «المهدي من ولدي وجهه كالكوكب الدُّري، اللون لون
عربي والجسم جسم إسرائيلي، أي طويل، يملأ الأرض عدلاً كما
مُلئت جوراً».

قال الشيخ محيي الدين في الفتوحات: واعلم أن المهدي إذا خرج يفرح به جميع المسلمين خاصتهم وعامتهم، وله رجال إلهيون يقيمون دعوته وينصرونه، هم الوزراء له يتحملون أثقال المملكة عنه ويعينونه على ما قلده الله، ينزل عليه عيسى ابن مريم بالمنارة البيضاء شرقي دمشق متكئاً على ملكين ملك عن يمينه وملك عن يساره، والناس في صلاة العصر فيتنحى له الإمام من مكانه، فيتقدم فيصلّي بالناس يؤم الناس بسنة سيدنا محمد، يكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويُقيض الله إليه المهدي طاهراً مطهراً، وفي زمانه يقتل السفّيانى عند شجرة بغوطة دمشق، ويخسف بجيشه في البیداء، فَمَنْ كان مجبوراً من ذلك الجيش مُكرهاً يُحشر على نيته اهـ.

(وهذه نبذة من الأحاديث الواردة في حقه)

عن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ قال: «لو لم يبقَ إلا يوم لبعث الله تعالى رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما مُلئت جوراً» أخرجه أبو داود في سننه. وأخرج أبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المهدي مني أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً»، زاد أبو داود: «يملك سبع سنين»، وقال الترمذي حديث ثابت صحيح، ورواه الطبراني في معجمه وغيره. وأخرج ابن شبرويه في كتاب الفردوس في باب الألف واللام عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي طاووس أهل الجنة». وعنه بإسناده عن حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ قال: «المهدي ولدي وجهه كالقمر الدري واللون منه لون عربي والجسم جسم إسرائيلي يملأ الأرض عدلاً

كما ملئت جوراً يرضى بخلافته أهل السماوات والأرض والطير في الجو يملك عشر سنين». وأخرج الحافظ أبو نعيم عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الرايات السود قد أقبلت من خراسان فأتوها ولو حبواً على الثلج فإن فيها خليفة الله المهدي»، وأخرج أبو نعيم أيضاً عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج المهدي من قرية يُقال لها كريمة». وأخرج الحافظ أبو عبد الله محمد بن ماجه القزويني في حديث طويل في نزول عيسى ابن مريم عن أبي أمانة الباهلي قال: «خطبنا رسول الله ﷺ وذكر الدجال فقال فيه: إن المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد ويُدعى ذلك اليوم يوم الخلاص، قالت أم شريك بنت أبي العسكر فأين العرب يومئذ، قال ﷺ: هم يومئذ قليل وجُلهم بيت المقدس وإمامهم المهدي وقد تقدم ليصلي بهم الصبح إذ نزل عيسى ابن مريم فرجع ذلك الإمام ينكص عن عيسى القهقري ليتقدم عيسى يصلي بالناس فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له تقدم» وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم» رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وعن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال فينزل عيسى ابن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام فيقول أميرهم صل بنا فيقول ألا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله لهذه الأمة» أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هارون العبدى، وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد وجابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال

ولا يعده عدًّا»، وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أبشركم بالمهدي يملأ الأرض قسطاً كما ملئت جوراً وظلماً يَرْضَى عنه سكان السماء والأرض يقسم المال صحاحاً، فقال رجل: ما معنى صحاحاً، قال: بالسوية بين الناس، ويملاً قلوب أمة محمد ﷺ غنى ويسعهم عدله حتى يأمر منادياً ينادي يقول مَنْ له بالمال حاجة فليقم فما يقوم من الناس إلا رجل واحد فيقول أنا فيقول له ائْتِ السادن، يعني الخازن، فقل له إن المهدي يأمرُك أن تعطيني ما لا فيحشو له في ثوبه حثوا حتى إذا صار في ثوبه يندم ويقول كنت أشجع أمة محمد ﷺ نفساً أعجز عما وسعهم فيرده إلى الخازن فلا يقبل منه ويقول إنا لا نأخذ شيئاً مما أعطينا، فيكون المهدي كذلك سبعة سنين أو ثمانياً أو تسعاً ثم لا خير في العيش بعده، أو قال ثم لا خير في الحياة بعده»، وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن رجل يُقال له المهدي عطاؤه هيناً» أخرجه أبو نعيم في الرد على مَنْ زعم أن المهدي هو المسيح، وعن علي بن أبي طالب قال: «قلت يا رسول الله أَمِنَّا آل محمد المهدي أو مِن غيرنا، فقال ﷺ: لا بل مِنَّا يَخْتَم الله له الدين كما افتتح بنا وبنا يُنْقَذون من الفتنة كما أُنْقَذوا من الشرك وبنا يُؤَلِّف الله قلوبهم بعد عداوة الفتنة كما أَلَّفَ بين قلوبهم بعد عداوة الشرك وبنا يصبحون بعد عداوة الفتنة إخواناً في دينهم»، قال بعض أهل العلم هذا حديث حسن عالٍ رواه الحفاظ في كتبهم، أما الطبراني فقد ذكره في المعجم الأوسط، وأما أبو نعيم فرواه في حلية الأولياء، وأما عبد الرحمن بن حماد فقد ساقه في عواليه. وعن

عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج المهدي وعلى رأسه غمامة فيها ملك ينادي هذا خليفة الله المهدي فاتبعوه» أخرجه أبو نعيم والطبراني وغيرهما، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي يفتح القسطنطينية وجبل الديلم ولو لم يبق إلا يوم طَوَّلَ الله ذلك اليوم حتى يفتحها» هذا سياق الحافظ أبي نعيم وقال هذا هو المهدي بلا شك وفقاً بين الروايات، وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «سيكون بعدي خلفاء ومن بعد الخلفاء أمراء ومن بعد الأمراء ملوكٌ جبابرة ثم يخرج المهدي من بيتي يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً» رواه أبو نعيم في فوائده والطبراني في معجمه، وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «تنعم أمتي في زمن المهدي نعمة لم ينعموا مثلها قط ترسل السماء عليهم مدراراً ولا تدع الأرض شيئاً من نباتها إلا أخرجته» رواه الطبراني في معجمه الكبير، وروى أبو داود عن ذر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجلٌ من أهل بيتي يُواطئ اسمه اسمي» وفي رواية «واسم أبيه اسم أبي».

(فوائد): الأولى: قال في الصواعق: الأظهر أن خروج المهدي قبل نزول عيسى وقيل بعده، (الثانية) تواترت الأخبار عن النبي ﷺ أنه من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلاً، (الثالثة) تواترت الأخبار على أنه يعاون عيسى على قتل الدجال ببابٍ لُدَّ بأرض فلسطين بالشام، (الرابعة) جاء في بعض الآثار أنه خرج في وتر السنين سنة إحدى أو ثلاث أو خمس أو سبع أو تسع، (الخامسة) أنه بعد أن تُعقد

له البيعة بمكة يسير منها إلى الكوفة ثم يفرق الجند إلى الأمصار، (السادسة) أن السنة من سنه مقدار عشر سنين، (السابعة) أن سلطانه يبلغ المشرق والمغرب تظهر له الكنوز لا يبقى في الأرض خراب إلا عمره. وهذه علامات قيام القائم مروية عن أبي جعفر قال: «إذا تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، وركبت ذوات الفروج السروج، وأمات الناس الصلوات، واتبعوا الشهوات، واستخفوا بالدماء، وتعاملوا بالربا، وتظاهروا بالزنا، وشيدوا البناء، واستحلوا الكذب، وأخذوا الرشا، واتبعوا الهوى، وباعوا الدين بالدنيا، وقطعوا الأرحام، وضنُّوا بالطعام، وكان الحِلْمُ ضعفاً، والظلم فخراً، والأمراء فجرة، والوزراء كذبة، والأمناء خونة، والأعوان ظلمة، والقراء فسقة، وظهر الجور، وكثر الطلاق، وبدأ الفجور، وقُبِلَت شهادة الزور، واستغنت النساء بالنساء، وأُتْخِذَ الْفَيْءُ مَغْنَمًا والصدقة مغرمًا، وأُتْقِيَ الأشرار مخافة ألسنتهم، وخرج السُّفْيَانِي من الشام، واليَمَانِي من اليمن، وخسف بالبيداء بين مكة والمدينة، وقتل غلام من آل محمد ﷺ بين الركن والمقام، وصاح صائح من السماء بأن الحق معه ومع أتباعه، قال: فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة واجتمع عليه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أتباعه فأول ما ينطق به هذه الآية: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾⁽¹³⁰⁾، ثم يقول: أنا بقية الله وخليفته وحجته عليكم، فلا يُسَلَمُ عليه أحدٌ إلا قال السلام عليك يا بقية الله في الأرض، فإذا اجتمع عنده العقد عشرة آلاف رجل فلا يبقى يهودي ولا نصراني ولا أحد ممن يعبد غير الله تعالى إلا آمَنَ وصدَّقَ، وتكون الملة

(130) سورة هود: 86.

واحدة ملة الإسلام، وكل ما كان في الأرض من معبود سوى الله تعالى تنزل عليه نار من السماء فتحرقه والله أعلم.

الباب الثالث في ذكر جماعة من أهل
البيت لهم في مصر القاهرة منارات مشهورة
ومساجد معمورة

حيث انجر الكلام إلى ذكر مصر القاهرة ينبغي أن نذكر طرفاً يتعلق بها فنقول:

مصر تُدَكَّر وتُؤَنَّث، وحَدُّها طَوَّلاً من برقة التي في جنوب البحر الرومي إلى أيلة ومسافة ذلك قريب من أربعين يوماً، وعَرْضُها من مدينة أسوان وما سامتها من الصعيد الأعلى إلى رشيد وما حاذها من مساقط النيل في البحر الرومي ومسافة ذلك قريب من ثلاثين يوماً، سُميت باسم مَنْ سكنها وهو مصر بن بيسر بن سام بن نوح وقيل غير ذلك؛ وسُميت القاهرة لِمَا رُوي أَنَّ جوهرًا القائد لما أراد إقامة السور، جمعَ المنجمين وأمرهم أَنْ يختاروا طالعًا لحفر الأساس وطلعا لرمي الحجارة، فجعلوا قوائم من خشب، بين القائم والقائم حبْلٌ فيه جرس، وأفهموا البنائين أَنَّ ساعة تحريك الجرس يرمون ما بأيديهم من الطين والحجارة، ووقف المنجمون لتحرير هذه الساعة وأخذ الطالع، واتفق وقوع غراب على خشبة من ذلك الخشب، فتحرَّك الأجراس فظنوا أَنَّ المنجمين حركوها، فألقوا ما بأيديهم من الحجارة والطين، فصاح المنجمون لا لا القاهرة، فوافق أَنَّ المريخ كان في الطالع وهو عند المنجمين بالقاهر. نقله بعضهم. (قال السيوطي) في كتابه حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة: وقد ذُكرت مصر في القرآن المجيد في أكثر من ثلاثين موضعًا، بعضها بطريق الصراحة وبعضها بطريق الكناية؛ فمن الصريح: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾⁽¹³¹⁾، ﴿أَنْ تَبَوَّءَ لِقَوْمِكُمْ مَا بِمِصْرَ

⁽¹³¹⁾ البقرة: 61.

بَيُوتًا ﴿١٣٢﴾، ﴿اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾ ﴿١٣٣﴾، ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ﴾ ﴿١٣٤﴾، ﴿أَلَيْسَ
 لِي مَلِكُ مِصْرَ﴾ ﴿١٣٥﴾، ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ ﴿١٣٦﴾، ﴿وَدَخَلَ
 الْمَدِينَةَ﴾ ﴿١٣٧﴾، ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ ﴿١٣٨﴾، ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى
 الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ ﴿١٣٩﴾، ﴿لَمَكَّرْ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾ ﴿١٤٠﴾، ﴿وَأَوَيْنَاهُمَا
 إِلَى رَبْوَةٍ﴾ ﴿١٤١﴾، وهي مصر؛ لأن الربا لا تكون إلا بها، ﴿اجْعَلْنِي عَلَى
 خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ ﴿١٤٢﴾، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿١٤٣﴾، ﴿وَنُرِيدُ
 أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿١٤٤﴾، ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي
 الْأَرْضِ﴾ ﴿١٤٥﴾، ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿١٤٦﴾، ﴿الْيَوْمَ
 ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿١٤٧﴾، ﴿أَوْ أَنْ يظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ﴾ ﴿١٤٨﴾،

١٣٢) يونس: 87.

١٣٣) يوسف: 21.

١٣٤) يوسف: 99.

١٣٥) الزخرف: 51.

١٣٦) يوسف: 30.

١٣٧) القصص: 15.

١٣٨) القصص: 18.

١٣٩) القصص: 20.

١٤٠) الأعراف: 123.

١٤١) المؤمنون: 50.

١٤٢) يوسف: 55.

١٤٣) القصص: 4.

١٤٤) القصص: 5.

١٤٥) القصص: 6.

١٤٦) القصص: 19.

١٤٧) غافر: 29.

١٤٨) غافر: 26.

﴿وَيَسْتَخْلِفْكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾⁽¹⁴⁹⁾، ﴿لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾⁽¹⁵⁰⁾،
 ﴿كَانُوا يُسْتَزْعَمُونَ مِشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾⁽¹⁵¹⁾، ﴿يُرِيدُ أَنْ
 يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾⁽¹⁵²⁾، ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ
 وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾⁽¹⁵³⁾، قيل المقام الكريم الفيوم، وقيل ما كان
 لهم من المناير والمجالس التي تجلس فيها الملوك، ﴿كَمْ تَرَكُوا
 مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾⁽¹⁵⁴⁾، ﴿مَبِوَأَ صِدْقٍ﴾⁽¹⁵⁵⁾،
 ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾⁽¹⁵⁶⁾، ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾⁽¹⁵⁷⁾ قيل هي
 مصر، ﴿سُوقَ الْمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾⁽¹⁵⁸⁾، ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ
 أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾⁽¹⁵⁹⁾، فجعل الشام بدوًا
 وسمّى مصر مصرًا ومدينة.

وقد ورد في مصر عدة أخبار منها ما روي عن كعب بن مالك عن
 أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا اقتحمت مصر فاستوصوا
 بأهلها خيرًا فإن لهم ذمة ورحمًا». وفي صحيح مسلم عن أبي ذر

⁽¹⁴⁹⁾ الأعراف: 129.

⁽¹⁵⁰⁾ الأعراف: 127.

⁽¹⁵¹⁾ الأعراف: 137.

⁽¹⁵²⁾ الأعراف: 110، والشعراء: 35.

⁽¹⁵³⁾ الشعراء: 57.

⁽¹⁵⁴⁾ الدخان: 25.

⁽¹⁵⁵⁾ يونس: 93.

⁽¹⁵⁶⁾ البقرة: 265.

⁽¹⁵⁷⁾ المائدة: 21.

⁽¹⁵⁸⁾ السجدة: 27.

⁽¹⁵⁹⁾ يوسف: 100.

قال: قال رسول الله ﷺ: «ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً»، وقال ﷺ: «إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا بها جنداً كثيفاً فذلك الجند خير أجناد الأرض، فقال أبو بكر: ولم يا رسول الله، قال: لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة»، أورده الشيخ عبد الله الشرقاوي في تحفة الناظرين. وفي حاشيته على التحرير ما نصه: وقد اختار الغنى مصر وتبعه الذل، واختار الكرم الشام وتبعته الشجاعة والفقر، وخص الغرب بالبخل وسوء الخلق، والحجاز بالقناعة والصبر، والعراق بالعلم والعقل. وفي حاشية البرماوي على المنهج قال بعضهم: شأنها عجيب، وسرها غريب، خلقها أكثر من رزقها، من لم يخرج منها لم يشبع. قال بعض الحكماء: نيلها عجب، وترابها ذهب، ونساؤها لعب، وصبيانها طرب، وأمرؤها جلب، وهي لمن غلب، والداخل فيها مفقود، والخارج منها مولود. وفي الحديث: «يساق إليها أقصر الناس أعماراً». رُوي أن عمر بن الخطاب كتب لكعب الأحماس أن اختبر لي المنازل كلها، فقال له: قد بلغنا أن الأشياء كلها اجتمعت، فقال السخاء: أريد اليمن، فقال حسن الخلق: وأنا معك، وقال الحياء: أريد الحجاز، فقال له الفقر: وأنا معك، وقال البأس، أي القوة والشجاعة: أريد الشام، فقال له السيف: وأنا معك، وقال العلم: أريد العراق، فقال له العقل: وأنا معك، وقال الغنى: أريد مصر، فقال له الذل: وأنا معك، فاختر لنفسك ما شئت. ورُوي مرفوعاً: «أن إبليس دخل العراق فقضى حاجته منها، ثم دخل الشام فطرد منها حتى بلغ تلمسان، ثم دخل مصر فباض فيها وفرخ

وبسط عبقرية فيها». وحُكي أن عمر بن الخطاب أرسل إلى عمرو بن العاص وهو خليفة بمصر: عرّفني عن مصر وأحوالها وما تشتمل عليه وأوجز في العبارة فأرسل إليه:

وما مصرنا مصر ولكن أرضها كجنة فردوس لمن كان يبصر فأولادها الولدان والحدود غيدها وروضتها الفردوس والنهر كوثر اهـ.

وأهل مصر الغالب عليهم الأفراح واتباع الشهوات والانهماك في اللذات وتصديق المحالات، وفي أخلاقهم رقة وعندهم بشاشة ومكر وخداع وتملق ولا ينظرون في عواقب الأمور، وعندهم قلة الصبر في الشدائد وشدة الخوف من السلطان ويخبرون بالأمر المغيبة قبل أن تقع.

(لطيفة) يوجد في مصر في كل شهر نوع من المأكول أو المشوم فيقال: رطب توت، ورماني باب، وموز هاتور، وسمك كيهك، وماء طوبة، ورميس أي خروف أمشير، ولبن برميها، وورد برمودة، ونبق بشنس، وتين بؤونة، وعسل أبيب، وعنب مسرى، والسبع زهرات التي تجتمع في أواخر الشتاء في وقت واحد ولا تجتمع في غيرها من البلاد وهي: النرجس والبنفسج والورد النصيبي والهجاني وزهر النارج والياسمين والنسرين اهـ من تحفة الناظرين.

واعلم أنه لا عبرة بالاختلاف في دفن بعض أهل البيت الذين لهم بمصر القاهرة مزارات؛ فإن الأنوار التي على أضرحتهم شاهد صدق على وجودهم بهذه الأمكنة ولا ينكر ذلك إلا من ختم الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة، (وقد قال القطب الشعراني في منته) كان

سيدي علي الخواص (رحمه الله تعالى) يقول: حُكِمَ باب البرزخ حُكْمَ التيار الذي نزل فيه إنسان فيغطس ثم يطفو من موضع آخر، كما وقع لسيدي أحمد بن الرفاعي والسيدة نفيسة، ثم إذا نفخ في الصور يوم القيامة يخرج من موضع نزل. (قال الشعراني) قال سيدي علي الخواص: وأصل دفنها يعني السيدة نفيسة كان بالمراغة قريباً من القبر الطويل في الشارع ولكن ظهرت في هذا المكان الذي كانت تتعبد فيه لتعلق قلبها به، وكان الإمام الشافعي يؤم بها فيه في صلاة التراويح، وأما سيدي أحمد بن الرفاعي (رحمه الله تعالى) فله قبر في بلده أم عبيدة وقبر آخر في الصحراء التي كان يتعبد فيها والناس يزورونهما ولكن لا يحصل لهم الهيبة والرعدة إلا عند قبره الذي في البرية، انتهى. فعرض يا أخي على ما قاله الخواص للشعراني بأسنانك واجعله نصب عينيك تسلم والله يتولى هداك. قال بعض العلماء بعد كلام يتعلق بالزيارة وصاحب المزارات: مثل هذه الأشياء تؤخذ بحسن النية فإذا كان صاحب المزار ما هو فيه فالزيارة تصل إليه أينما كان. اهـ.

(وقال الشعراني في الباب العاشر من المنن) ومما مَنَّ الله تبارك وتعالى به على زيارتي كل قليل لأهل البيت الذين دفنوا في مصر كلهم أو رؤوسهم فقط وأزورهم في السنة ثلاث مرات بقصد صلة رحم رسول الله ﷺ، ولم أرَ أحداً من أقراني يعتني لذلك إما لجهله بمقامهم وإما لدعواه عدم ثبوت كونهم دفنوا في مصر، وهذا جمود فإن الظن يكفيني في مثل ذلك، انتهى. ثم إنه ذكر في هذه المنة أيضاً أسماء جماعة من أهل البيت لهم مزارات بمصر القاهرة أخبره عنهم

سيدي علي الخواص (رحمه الله) وفي آخرها قال: فهؤلاء الذين بلغنا أنهم في مصر من أهل البيت وصححه أهل الكشف قال: وكان سيدي علي الخواص يختم زيارة أهل البيت بالإمام الشافعي فعليك يا أخي بزيارة قرابة نبيك محمد ﷺ وقدمهم على زيارة كل ولي في مصر عكس ما عليه العامة، فلا تكاد ترى أحدًا منهم يعتني بزيارة أحد ممن ذكرنا أبدًا ويعتني بزيارة بعض المجاذيب وينام في موالدهم، وهذا كله من جملة الجهل فاحذره ترشد والحمد لله رب العالمين.

(وينبغي) لكل من أراد أن يزور وليًا من أولياء الله أو من هو من أهل البيت أن يتخلق بآداب الزيارة قبل التوجه ليعود عليه المدد ممن زاره، قال الشعراني في الأنوار: وهي التشوق إلى المَزور، والجزم بفضله وطهارته من المعاصي المعنوية والحسية، والتماس بركة دعائه، وخلوص النية بأن يكون الباعث على الزيارة امتثال أمر الشارع، وحفظ اللسان من الوقوع في أعراض الناس وإن كان هذا عامًا، وإن خلت الزيارة عن هذه الآداب فلا نفع بها ولا ثواب بل هي تكلف ونفاق، وإذا زرتَه بحسن القصد وحسن الأدب والتوسل به إلى ربك إن كان من الموتى وكان من أهل الله فإنه لا بد لك من المدد الأوفر؛ فإن الله سبحانه وتعالى قد وكل بقبور الأكابر ملائكة يقضون حوائج الزائرين لأن أهل الله محل الكرم والسخاء أحياء وأمواتًا، ومن دخل بيت كريم لا يرجع من غير مدد لا سيما إذا كانوا من أهل البيت، انتهى.

فصل في ذكر مناقب السيدة سُكَيْنَةَ بنت الحسين بن علي بن أبي طالب

(أَمُّهَا الرَّبَابُ) بنت امرئ القيس بن عدي بن أوس الكلبي، كان نصرانياً فجاء إلى عمر بن الخطاب فدعا له بِرُمَحٍ وعقد له على مَنْ أسلم بالشام في قضاة، فتولى قبل أن يصلي صلاة وما أمسى حتى خطب إليه الحسين بنته الرباب فزوجه إياها فأولدها عبد الله وسكينة عليهما السلام، نقله الخطيب البغدادي ومثله في الأغاني، وسُكَيْنَةُ -بضم السين وفتح الكاف وسكون الياء كذا يؤخذ من عبارة القاموس- لقبٌ لَقَّبَتْهَا بِهِ أُمُّهَا الرَّبَابُ، واسم سكينة: أَمِيمة، وقيل أَمِينة، وقيل أَمِيَّة، وقيل أَمَنَة قال أبو الفرج وهو الصحيح، كذا في تاريخ ابن خلكان والأغاني. نقل أبو الفرج عن مالك بن أَعِين قال سمعت سكينة بنت

الحسين عليه السلام تقول عاتب عمي الحسن أبي في أُمِّي فقال أبي:

لَعَمْرُكَ إِنِّي لِأَحَبُّ دَارًا تَكُونُ بِهَا سُكَيْنَةُ وَالرَّبَابُ
أَحْبُهُمَا وَأَبْذُلُ جُلِّ مَالِي وَلَيْسَ لِعَاتِبٍ عِنْدِي عِتَابُ
وَلَسْتُ لَهُمْ وَإِنْ عَابُوا مُعِيًّا حَيَاتِي أَوْ يُغَيِّبُنِي التُّرَابُ

قال هشام بن الكلبي كانت الرَّبَابُ من خيار النساء وأفضلهن، وخطبت بعد قتل الحسين فقالت: ما كنتُ لِأَتَّخِذُ حَمًّا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولما قتل الحسين رثته بأبيات منها:

إِنَّ الَّذِي كَانَ نُورًا يُسْتَضَاءُ بِهِ بِكَرْبَلَاءَ قَتِيلٌ غَيْرُ مَدْفُونٍ
سَبَطَ النَّبِيُّ جَزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً عَنَّا وَجُنَّبَتْ خُسْرَانُ الْمَوَازِينِ

قَدْ كُنْتَ لِي جَبَلًا صَعْبًا أَلُوذُ بِهِ وَكُنْتَ تَصْحَبُنَا بِالرَّحْمِ وَالِدِينَ
 مَنْ لِي تَامِي وَمَنْ لِلْسَّائِلِينَ وَمَنْ يُغْنِي وَيَأْوِي إِلَيْهِ كُلَّ مُسْكِينٍ
 وَاللَّهُ لَا أَبْتَغِي صَهْرًا بِصَهْرِكُمْ حَتَّى أُغَيَّبَ بَيْنَ الرَّمْلِ وَالطِّينِ
 (وفي الفصول المهمة) وبقيت بعده سنة لا يظلمها سقف بيت
 إلى أن ماتت (رحمها الله). وفي تاريخ ابن خلكان: كانت سُكِينَةُ
 سيدة نساء عصرها ومن أجمل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقًا،
 وتزوجها مصعب بن الزبير فهلك عنها، ثم تزوجها عبد الله بن عثمان
 بن عبد الله بن حكيم بن حزام فولدت له قريبًا، ثم تزوجها الأصغر بن
 عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول، ثم تزوجها زيد بن عمرو
 بن عثمان بن عفان فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها ففعل، وقيل
 في ترتيب أزواجها غير هذا، والطرة السُّكِينِيَّة منسوبة إليها، ولها
 نوادر وحكايات طريفة مع الشعراء وغيرهم، انتهى. وفي الأغاني:
 كانت سُكِينَةُ أحسن الناس شعرًا وكانت تصفف جُمَّتها⁽¹⁶⁰⁾ تصفيفًا
 لم يُرَ أحسن منه حتى عُرف ذلك، وكانت الجمرة تسمى السُّكِينِيَّة،
 وكان عمر بن عبد العزيز إذا وجد رجلًا يصفف جمته السُّكِينِيَّة جلده
 وحلقه. اهـ.

(وفي درر الأصداف) كانت سَكِينَةُ ﷺ من الجمال والأدب
 والفصاحة بمنزلة عظيمة وكان منزلها مألَّف الأدباء والشعراء،
 وتزوجت عبد الله بن الحسن السبط بن علي كرم الله وجهه فقتل
 عنها بالطف قبل أن يدخل بها، ثم تزوجها مصعب بن الزبير وأمهرها

(160) الْجُمَّة: مُجْتَمَعُ شَعْرِ الرَّأْسِ الْمُتَدَلِّي إِلَى شَحْمَةِ الْأَذُنِ.

ألف ألف درهم وحملها إليه علي بن الحسن فأعطاه أربعين ألف دينار وولدت له الرباب وكانت تلبسها اللؤلؤ وتقول ما ألبستها إياه إلا لتفضحه. (عن محمد بن سلام) قال: اجتمع في ضيافة سكيئة بنت الحسين عليه السلام جرير والفرزدق وكثير ونصيب وجميل، مكثوا في ضيافتها أياماً ثم أذنت لهم فدخلوا عليها، فجلست حيث تراهم ولا يرونها وتسمع كلامهم، ثم أخرجت وصيفة قد روت الأشعار والأحاديث فقالت: أيكم الفرزدق؟ فقال: ها أنا ذا، فقالت له أنت القائل:

هُمَا دَلِيَّانِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً كَمَا انْقَضَ بَارِ أَقْتَمِ الرَّيْشِ كَاسِرُهُ
فَلَمَّا اسْتَوَتْ رِجْلَايَ فِي الْأَرْضِ قَالَتَا أَحْيِي فَيَرْجَى أَمْ فَيَقْتُلُ نَحَاذِرُهُ
قال: نعم، قالت: فمن دعاك إلى إفشاء سرك وسرهما هلا سترتهما وسترت نفسك خذ هذه الألف والحق بأهلك، ثم دخلت على مولاتها وخرجت فقالت: أيكم جرير؟ فقال لها: ها أنا ذا، فقالت أنت القائل:

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْفَوَادِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتُ الزَّيَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلَامٍ
قال: نعم، قالت: فهلاً رَحِبْتَ بها خذ هذه الألف درهم وانصرف، ثم دخلت وخرجت فقالت أيكم كثير؟ فقال: ها أنا ذا، قالت أنت القائل:

وَأَعْجَبَنِي يَا عَزَّ مِنْكَ خَلَائِقُ كِرَامٌ إِذَا عُدَّ الْخَلَائِقُ أَرْبَعُ
دُثُوكَ حَتَّى يَطْمَعُ الطَّالِبُ الصَّبَا وَرَفْعُكَ إِنْسَانَ الْهَوَى حِينَ يَطْمَعُ
فَوَاللَّهِ مَا يَدْرِي كَرِيمٌ مُمَاطِلٌ أَيْنَسَاكَ إِذْ بَاعَدْتَ أَوْ يَتَضَرَّعُ
قال: نعم، قالت: ملحت وشكلت، خذ هذه الألف والحق

بأهلك، ثم دخلت وخرجت فقالت: أيكم نُصيب؟ فقال ها أنا ذا،
قالت أنت القائل:

وَلَوْلَا أَنْ يُقَالَ صَبًا نُصِيبُ لَقُلْتُ: بِنَفْسِي الشَّأُ الصَّغَارُ
بِنَفْسِي كُلِّ مَهْضُومٍ حِشَاهَا إِذَا ظَلَمْتُ، فَلَيْسَ لَهَا انْتِصَارُ
قال: نعم، قالت ربيتنا صغارًا ومدحتنا كبارًا، خذ هذه الأربعة
آلاف درهم والحق بأهلك، ثم دخلت وخرجت فقالت: يا جميل
مولاتي تُقرئك السلام وتقول: واللّه ما زالت مشتاقة إلى رؤيتك منذ
سمعت قولك:

أَلَا كَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً بَوَادِي الْقُرَى إِنِّي إِذَا لَسَعِيدُ
فَكُلُّ حَدِيثٍ بَيْنَهُنَّ بَشَاشَةٌ وَكُلُّ قَتِيلٍ بَيْنَهُنَّ شَهِيدُ
جعلت حديثنا بشاشة وقتلانا شهداء خذ هذه الألف دينار والحق
بأهلك.

وعن حماد عن أبيه عن أبي عبد الله الزبير قال: اجتمع راوية جرير
وراوية كثير وراوية جميل وراوية الأحوص وراوية نصيب، فافتخر
كل واحد منهم بصاحبه وقال: صاحبي أشعر، فحكّموا بينهم سُكينة
بنت الحسين عليها السلام لِمَا يعرفونه من عقلها وبصرها بالشعر، فاستأذنوا
عليها فأذنت لهم، فذكروا لها الذي كان من أمرهم فقالت لراوية
جرير، أليس صاحبك الذي يقول:

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْفَوَادِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتُ الزِّيَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلَامٍ
قال: نعم، قالت وأي ساعة أحلى للزيارة من الطروق، قبح الله
صاحبك وقبح شعره هلاً قال فادخلي بسلام، ثم قالت لراوية كثير
أليس صاحبك الذي يقول:

يَقْرُ بَعَيْنِي مَا يَقْرُ بَعَيْنَهَا وَأَحْسَنُ شَيْءٍ مَا بِهِ الْعَيْنُ قُرَّتْ
قال: نعم، قالت وليس بعينها أقر من النكاح أفيحب صاحبك أن
ينكح قبح الله صاحبك وقبح شعره، ثم قالت لراوية جميل أليس
صاحبك الذي يقول:

فَلَوْ تَرَكْتُ عَقْلِي مَعِيَ مَا طَلَبْتُهَا وَلَكِنْ طَلَبْتُهَا لِمَا فَاتَ مِنْ عَقْلِي
قال: نعم، قالت فما أرى بصاحبك من هوى إنما يطلب عقله قبح
الله صاحبك وقبح شعره، ثم قالت لراوية الأحوص أليس صاحبك
الذي يقول:

أَهَيْمُ بَدْعِدٍ مَا حَيَّيْتُ فَإِنْ أُمْتُ فَوَا حَزَنًا مَنْ ذَا يَهَيْمُ بِهَا بَعْدِي
قال: نعم، قالت فما أرى له همة إلا فيمن يتعشقها بعده قبحه الله
وقبح شعره ألا قال:

أَهَيْمُ بَدْعِدٍ مَا حَيَّيْتُ فَإِنْ أُمْتُ فَلَا صَلَحَتْ دَعْدٌ لَدِي خُلَّةٍ بَعْدِي
ثم قالت لراوية نُصِيبُ أليس صاحبك الذي يقول:
مِنْ عَاشِقِينَ تَوَاعَدَا وَتَرَا سَلَا حَتَّى إِذَا نَجْمُ الثُّرَيَّا حَلَقَا
بَاتَا بِأَنْعَمِ لَيْلَةٍ وَالَّذَا حَتَّى إِذَا وَضَحَ الصَّبَاحُ تَفَرَّقَا
قال: نعم، قالت قبح الله صاحبك وقبح شعره ألا قال: تعانقا،
قال إسحاق: فلم تُثنِ على أحد منهم في ذلك اليوم ولم تقدمه، وفي
رواية أخرى أنها قالت لراوية جميل أليس صاحبك الذي يقول:
فِيَا لَيْتَنِي أَعْمَى أَصُمُّ تَقْوُدُنِي بَشِينُهُ لَا يَخْفَى عَلَيَّ كَلَامُهَا
قال: نعم، قالت رحم الله صاحبك إن كان صادقاً اهـ.

ومثله في الأغاني لكن وقع في الأغاني خبط في نسبة الأبيات
إلى الشعراء ولم يذكر كثير عزة وذكر الأحوص مرتين وهو سهو من

الكاتب، وكان يُقال إن امرأة تختار على سُكينة لمنقطعة القرن في الحسن.

(توفيت) السيدة سُكينة عليها السلام بمكة يوم الخميس لخمس خَلَوْنَ من ربيع الأول سنة ست وعشرين ومائة، وصَلَّى عليها شيبه ابن النطاح المقرئ كذا في درر الأصداف. وفي تاريخ ابن خلكان توفيت سنة سبع عشرة ومائة وكانت وفاتها بالمدينة، قال الشيخ عبد الرحمن الأجهوري في كتابه مشارق الأنوار: والأكثرون على أن سُكينة بنت الحسين ماتت بالمدينة، وفي طبقات الشعراني أنها مدفونة بالمرافة بقرب السيدة نفيسة يعني بمصر القاهرة ومثله في طبقات المناوي، فإن قلت هذا كلام ينافي بعضه بعضاً فإنك ذكرت أنها توفيت بمكة وبالمدينة وبمصر، قلت لا منافاة لأنه مرَّ بِكَ أَنفًا في أول الباب أن حال البرزخ كحال التيار فلا تغفل.

(تنبيه) في ممن الشعراني ما نصه: وأخبرني يعني الخَوَّاص، أن السيدة سُكينة بنت الحسين عليها السلام في الرواية عند الدرب قريباً من دار الخليفة عند الحمصانيين. اهـ.

لكن نقل الأجهوري عن الشعراني أنه قال في مننه: إن السيدة سُكينة أخت الحسين لا بنته، وتعقبه في المشارق ولعل نسخة المنن التي وقعت للأجهوري كان بها تحريف، والله أعلم.

فصل في ذكر مناقب السيدة رقية بنت الإمام علي بن أبي طالب

أمها أم حبيب الصهباء التغلبية أم ولد، كانت من سبي الردة الذي أغار عليه سيدنا خالد بن الوليد بعين التمر، فاشترها سيدنا علي من سيدنا خالد، فعمرُ الأكبر شقيق رقية، وفي الفصول المهمة: كانا توأمين وعمرُ عمر هذا خمسًا وثمانين سنة، وحاز نصف ميراث علي؛ وذلك أن إخوته أشقاه وهم عبد الله وجعفر وعثمان قُتلوا مع الحسين بالطف فورثهم، وعن الليث بن سعد والدارقطني أن رقية بنت فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، قال الشعراني في الباب العاشر من المنن وأخبرني يعني الخواص أن رقية بنت الإمام علي كرم الله وجهه في المشهد القريب من جامع دار الخليفة أمير المؤمنين ومعها جماعة من أهل البيت⁽¹⁶¹⁾ اهـ. وهو معروف الآن بجامع شجرة الدر، وهذا الجامع على يسار الطالب للسيدة نفيسة

(161) (قوله ومعها جماعة من أهل البيت) بذلك المكان عاتكة بنت عمرو بن نفيل القرشية كانت أجمل نساء زمانها تزوجها عبد الله ابن سيدنا الصديق فقتل عنها بالطائف، ثم تزوجها سيدنا عمر بن الخطاب فقتل، ثم تزوجها سيدنا الزبير بن العوام فقتل، ثم تزوجها محمد ابن سيدنا الصديق فقتل عنها وأحرق في جيفة حمار بمصر القديمة ولم يبق إلا رأسه الشريف فدفنه مولاه بمحراب المسجد وقيل تحت المأذنة، ثم آلت أنها لا تتزوج بعد ذلك، وكان سيدنا محمد عاملاً على مصر ولأه الإمام علي كرم الله وجهه فإنه تزوج أمه بعد سيدنا الصديق ورباه فهو ربيب للإمام ﷺ ونفعنا بهما ﷺ من كتب السير. اهـ مؤلف.

والمكان الذي فيه السيدة رقية عن يمينه ومكتوب على الحجر الذي ببابه هذا البيت:

بُقْعَةُ شَرَفَتْ بِآلِ النَّبِيِّ وَبِنْتِ الرِّضَا عَلِيَّ رُقيَّة

هذا وقد أخبرني بعض الشوام أن للسيدة رقية بنت الإمام عليّ كرم الله وجهه ضريحاً بدمشق الشام، وأن جدران قبرها كانت قد تعيبت فأرادوا إخراجها منه لتجديده فلم يتجاسر أحد أن ينزله من الهيبة، فحضر شخص من أهل البيت يدعى السيد بن مرتضى فنزل في قبرها ووضع عليها ثوباً لفها فيه وأخرجها، فإذا هي بنت صغيرة دون البلوغ، وقد ذكرت ذلك لبعض الأفاضل فحدثني به ناقلًا عن أسيّاخه.

(تنبيه) جمهور المؤرخين وأصحاب السير على أن للإمام عليّ كرم الله وجهه رقية واحدة من غير السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وخالفهم الليث بن سعد فقال إنها منها كما قدمناه، ثم رأيت بعضهم صرح بأن للإمام رقيتين، تُدعى إحداهما بالكبرى من السيدة فاطمة، والأخرى تُدعى بالصغرى أمها أم حبيب شقيقة عمر، وقد تقدم ذلك في أول الترجمة.

(كرامة) نقل الأجهوري أن السيدة رقية لما جاءت من المدينة، اعترضها شخص من آل يزيد وأراد قتلها فوقفت يده في الهواء وسقط ميتًا.

فصل في ذكر مناقب السيدة زينب بنت الإمام علي كرم الله وجهه

(أمها) فاطمة الزهراء بنت رسول الله فهي شقيقة الحسن والحسين، (تزوجها) ابن عمها عبد الله بن جعفر الطيار ذي الجناحين بن أبي طالب، وولدت له عليًّا، وعَوْنًا ويُدعى بالأكبر، وعباسًا ومحمدًا وأمّ كلثوم، وذريتها موجودة إلى الآن بكثرة، قال العلماء: ويُتَكَلَّم عليهم من عشرة وجوه (أحدها) أنَّهم من آل النبي وأهل بيته بالإجماع؛ لأنَّ آلَهُ هم المؤمنون من بني هاشم والمطلب، (الثاني) أنَّهم من ذريته وأولاده بالإجماع؛ لأنَّ أولاد بنات الإنسان معدودون في ذريته وأولاده حتى ولو أوصى لأولاد فلان دخل فيه أولاد بناته، (الثالث) أنَّهم لا يشاركون أولاد الحسن والحسين في الانتساب إليه، وإنما خَصَّ أولادَ فاطمة دون غيرها من بقية بناته لأنهن لم يُعَقَّبَنَّ ذَكَرًا إذا عقبن حتى يكون كالحسن والحسين، (الرابع) أنَّهم يُطلق عليهم اسم الأشراف على الاصطلاح القديم، (الخامس) أنَّهم تُحرم الصدقة عليهم؛ لأنَّ بني جعفر من الآل قطعًا، (السادس) أنَّهم يستحقون سهمَ ذوي القربى، (السابع) أنَّهم يستحقون من وقف بركة الحبش؛ لأنها لم توقَّف على أولاد الحسن والحسين خاصة، (الثامن) هل يلبسون العلامة الخضراء؟ والجواب أنَّ هذه العلامة ليس لها أصل لا في الكتاب ولا في السنة ولا كانت في الزمن القديم وإنما حدثت سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بآمر

الملك الأشرف شعبان بن حسين. وفي درر الأصداف ما نصه:
وأما العلامة الخضراء فأحدثها السلطان الملك الأشرف شعبان من
دولة الأتراك بمصر في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة. وأما العمامة
الخضراء فأحدثها السيد محمد الشريف المتولي باشا مصر سنة أربع
بعد الألف لما دار بكسوة الكعبة والمقام وأمر الأشراف أن يمشوا
أمامه وكل واحد منهم على رأسه عمامة خضراء، وإنما اختيرت
العلامة الخضراء للأشراف؛ لأن الأسود شعار بني العباس، والأصفر
شعار اليهود، والأزرق شعار النصارى، والأحمر مختلف فيه.
انتهى. وفيها قال جماعة من الشعراء، من ذلك قول جابر بن عبد الله
الأندلسي الأعمى صاحب شرح الألفية المشهور بالأعمى والبصير:
جَعَلُوا لِابْنَاءِ الرَّسُولِ عِلَامَةً إِنَّ الْعِلَامَةَ شَأْنٌ مَنْ لَمْ يُشْهَرِ
نُورُ النُّبُوَّةِ فِي وَسِيمٍ وَجْهِهِمْ يُغْنِي الشَّرِيفَ عَنِ الطَّرَازِ الْأَخْضَرِ
وقال الأديب شمس الدين محمد بن إبراهيم الدمشقي:

أَطْرَافُ تَيْجَانٍ أَتَتْ مِنْ سُنْدُسٍ خُضِرَ بِأَعْلَامٍ عَلَى الْأَشْرَافِ
وَالْأَشْرَفُ السُّلْطَانُ خَصَّهِمْ بِهَا شَرَفًا لِيَعْرِفَهُمْ مِنَ الْأَطْرَافِ

وغاية القول أنه لا بأس بها لكل شريف سواء كان من ذرية
الحسين أم لا، ولا يُمنع من لبسها أحد من الناس إلا لغرض شرعي.
(التاسع والعاشر) هل يدخلون في الوصية على الأشراف والوقف
عليهم؟ والجواب إن وُجد في كلام الموصي والواقف نص يقتضي
دخولهم أو خروجهم اتبع وإلا فلا، والعمدة في ذلك العرف وعرف
مصر من عهد الدولة الفاطمية إلى الآن أن الشريف لقب لكل حسني
وحسيني خاصة فلا يدخلون على مقتضى هذا العرف.

قال الشعراني في مننه: أخبرني سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى أن السيدة زينب المدفونة بقناطر السباع ابنة الإمام علي وكرم الله وجهه وأنها في هذا المكان بلا شك، وكان يخلع نعله من عتبة الدرب ويمشي حافياً حتى يجاوز مسجدها ويقف تجاه وجهها ويتوسل بها إلى الله تعالى في أن يغفر له اهـ.

وفي لوائح الأنوار أن زينب المدفونة بقناطر السباع أخت الحسين عليه السلام، وفي الطبقات للشعراني في ترجمة الحسين ما نصه: وأنشدت أخته زينب المدفونة بقناطر السباع من مصر المحروسة برفع صوت ورأسها خارج من الخباء:

مَاذَا تَقُولُونَ إِنْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ مَاذَا فَعَلْتُمْ وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ
بِعِزَّتِي وبأهلي بعد فراقكم مِنْهُمْ أَسَارَى وَمِنْهُمْ خُضِبُوا بِدَمِ
مَا كَانَ هَذَا جَزَائِي إِذْ نَصَحْتُ لَكُمْ أَنْ تَخْلُقُونِي بِسُوءٍ فِي ذَوِي رَحِمِي

لكن في شرح عقود الجمان أن هذه الأبيات لابنة عقيل بن أبي طالب؛ ونص عبارته: ثم أمر يزيد النعمان بن بشير أن يجهزهم إلى المدينة، قال فبعث معهم أميناً فلقاهم نساء بني هاشم حاسرات وفيهن ابنة عقيل بن أبي طالب تبكي وتقول: ماذا تقولون الأبيات اهـ، وقد تقدم مثله عن الفصول المهمة أيضاً، ولقائل أن يقول ما المانع من أن هذه قالت والله أعلم. وفي تاريخ القرماني هم شمر بقتل علي زين العابدين بن الحسن وهو مريض فخرجت إليه زينب بنت علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقالت: والله لا يُقْتَلُ حتى أُقْتَلَ، فكف عنه، انتهى. ذكر الجاحظ في كتابه البيان والتبيين عن أبي إسحاق عن خزيمة الأسدي قال دخلنا الكوفة سنة إحدى وستين فصادفت

منصرف علي بن الحسين بن علي (رضوان الله عليهم أجمعين) بالذرية من كربلاء إلى ابن زياد بالكوفة، ورأيت نساء الكوفة يومئذ قيامًا يندبن متهتكات الجيوب، وسمعت علي بن الحسين وهو يقول بصوت ضئيل قد نحل من شدة المرض: يا أهل الكوفة إنكم تبكون علينا فمن قتلنا غيركم، ورأيت زينب بنت علي كرم الله وجهه ورضي عنها فلم أرَ واللّه خفرة أنطق منها كأنما تنزع عن لسان أمير المؤمنين، فأومأت إلى الناس أن اسكتوا، فسكتت الأنفاس وهدأت الأجراس فقالت: «الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين أما بعد، يا أهل الكوفة يا أهل الختل والخذل أتبكون؟ فلا سكنت العبرة ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم مثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم، ألا وإن فيكم الصلف والصنف وداء الصدر الشنف وملق الأمة وحجز الأعداء كمرعى على دمنة أو كفضة على ملحودة، ألا ساء ما تزرّون، إي واللّه فابكوا كثيرًا واضحكوا قليلًا، فقد ذهبتم بعارها وشنارها فلن ترحضوها بغسل أبدًا وإنما ترحضون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة ومنار محجتكم وسيد شباب أهل الجنة، ويلكم يا أهل الكوفة ألا ساء ما سوّلت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون، أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم وأي دم له سفكتم وأي كريمة له أبرزتم، لقد جئتم شيئًا إداً تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً، ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء طلاع الأرض، أفعجبتم أن أمطرت السماء دماً فلعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تنصرون، فلا يستخفنكم المهمل، فلا يحقره البدار ولا

يخاف عليه فوات الثار، كلا إن ربي وربكم لبالمرصاد»، ثم سارت فرأيت الناس حيارى واضعي أيديهم على أفواههم ورأيت شيخاً قد دنا منها يبكي حتى اخضلت لحيته ثم قال: بأبي أأنتم وأمي كهولكم خير الكهول وشبابكم خير الشباب ونسلكم لا يبور ولا يخزى أبداً، انتهى. وفي الخطط: لما مرّت زينب بالحسين ووجدته صريعاً صاحت: «يا محمداه هذا حسين بالعراء مرمل بالدماء مقطوع الأعضاء يا محمد بناتك سبايا وذريتك مقتلة» فأبكت كل عدو وصديق. (تنبيه) أول من أنشأ قناطر السباع الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري، ونصب عليها سباعاً من الحجارة، فإن رنكه على شكل سبع؛ ولذلك سميت قناطر السباع، وكانت مرتفعة فلما أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون الميدان السلطاني كان يتردد إليه كثيراً ويمر عليها ويتضرر من ارتفاعها، ويقال إنه أشاع هذا والقصد إنما هو كراهته لنظر أثر أحد من الملوك قبله وبغضه أن يذكر أحد غيره بشيء يُعرف به، فأحب أن يزيلها لتبقى القنطرة منسوبة له ومعروفة، كما كان يفعل من محو آثار من تقدّمه وتخليد ذكره، فاستدعى الأمير علاء الدين والي مصر وأمره بهدمها وعمارتها أوسع مما كانت عليه بعشرة أذرع وأقصر من ارتفاعها الأول ففعل كما أمره، وذلك في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة، ولم يضع سباع الحجر عليها، فتحدث الناس بأن السلطان أزالها لكونها رنك سلطان غيره، فامتعض لذلك وأمر علاء الدين بوضعها كما كانت عليه وهي باقية هناك إلى الآن، إلا أن الشيخ محمداً المعروف بصائم الدهر شوّه صورها كما فعل بوجه أبي الهول ظناً منه أن هذا الفعل من جملة القربات. اهـ خطط.

قال الشيخ عبد الرحمن الأجهوري المقرئ في كتابه مشارق الأنوار قد حصل لي في سنة سبعين ومائة بعد الألف كرب شديد من كرب الزمان فتوجهت إلى مقام السيدة زينب المذكورة وأنشدتها هذه القصيدة فانجلى عني الكرب ببركتها وهي:

أَلْ طَه لَكُمْ عَلَيْنَا الْوَلَاءُ	لَا سِوَاكُمْ بِمَا لَكُمْ آلَاءُ
مَدْحُكُمْ فِي الْكِتَابِ جَاءَ مُبِينًا	أُنْبَأْتُ عَنْهُ مِلَّةٌ سَمَحَاءُ
حُبُّكُمْ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ شَخْصٍ	حَدَّثْنَا بِضَمْنِهِ الْأَنْبَاءُ
إِنِّي لَسْتُ أَسْتَطِيعُ امْتِدَاحًا	لِعِلَالِكُمْ وَأَنْتُمْ الْبُلْغَاءُ
كَيْفَ مَدَحِي يَنْفِي بَعْلِيَاءَ مَنْ قَدْ	عَجَزْتُ عَنْ بُلُوغِهِ الْفُصْحَاءُ
مَدْحُكُمْ «إِنَّمَا يَرِيدُ» بَلِيعٌ	وَقَفْتُ عِنْدَ حَدِّهِ الشُّعْرَاءُ
شُرِفْتُ مَصْرُونًا بِكُمْ أَلْ طَه	فَهْنِيئًا لَنَا وَحَقُّ الْهَنَاءِ
مِنْكُمْ بَضْعَةٌ الْإِمَامِ عَلِيٍّ	سَيْفٌ دِينٍ لِمَنْ بِهِ الْإِهْتِدَاءُ
خَيْرُهُ لِلَّهِ أَفْضَلُ الرِّسْلِ طَرًّا	مَنْ لَهُ فِي يَوْمِ الْمَعَادِ اللَّوَاءُ
زَيْنَبُ فَضْلُهَا عَلَيْنَا عَمِيمٌ	وَحِمَاها مِنْ السَّقَامِ شِفَاءُ
كَعْبَةُ الْقَاصِدِينَ كَنْزُ أَمَانٍ	وَهِيَ فِينَا الْيَتِيمَةُ الْعَصْمَاءُ
وَهِيَ بَدْرٌ بَلَا خُسُوفٍ وَشَمْسٌ	دُونَ كَسْفٍ وَلِبْضَةُ الزَّهْرَاءِ
وَهِيَ ذُخْرِي وَمِلْجِي وَأَمَانِي	وَرَجَائِي وَنِعَمَ ذَاكَ الرَّجَاءِ
قَدْ أَنْخَتُ الْخُطُوبَ عِنْدَ حِمَاها	فَعَسَى تَنْجِلِي بِهَا الضَّرَاءُ
لَيْسَ إِلَّاكِ وَصْلَتِي لِنَبِيِّ	خَمَدْتُ عِنْدَ نَصْرِهِ الْأَعْدَاءُ
مِنْ كَرَامَاتِهَا الشَّمُوسُ أَضَاءَتْ	أَيْنَ مِنْهَا السَّهَاءُ وَأَيْنَ السَّمَاءُ
مَنْ أَتَاهَا وَصَدْرُهُ ضَاقَ دَرْعًا	مِنْ عَسِيرٍ أَوْ ضَاقَ عَنْهُ الْفَضَاءُ
حَلَّتِ الْخُطْبَ مَسْرَعًا وَجَلَّتْهُ	فَانْجَلَى عَنْهُ عَسْرُهُ وَالْعَنَاءُ

لا يُضاهي آل النبي وَصِيفٌ
 شَرُفَتْ مِنْهُمْ النُّفُوسُ وَسَارُوا
 وَعَلَيْهِمْ جَلَالَةٌ وَفَخَّارٌ
 نَوَّزُوا الْكَوْنَ بَعْدَ كَانَ ظَالِمًا
 كُلُّ مَدْحٍ مُقْصَرٌ بُعْلَاهُمْ
 لَهُمُ الْفَضْلُ مِنْ «الْسُّ» فَأَنَّى
 إِنَّ «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ» دَلِيلٌ
 إِنْ لِي يَا كِرَامُ حَقَّ جَوَارِي
 عَنْ أَيْبِكُمْ رَوَى الثَّقَاتُ حَدِيثًا
 إِنْ بِالْجَارِ لَمْ يَزَلْ يُوصِي جَبْرًا
 لَسْتُ أَخْشَى الضَّيَاعَ وَالْحَبُّ عِنْدِي
 بَيْنَكُمْ مَهْبُطٌ لَجَبْرِيلَ وَحِيًّا
 مَنْ أَتَى حَيْكُمَ وَكَانَ أُسِيرًا
 يَا كِرَامَ الْوَرَى أَغْيَا نَزِيلًا
 قَسَمًا إِنَّ وَصَفَكُمْ فِي الثَّرِيَّا
 فَتَوَسَّلْ بِهِمْ لِكُلِّ صَعِيبٍ
 وَصَلَاةٌ عَلَى النَّبِيِّ وَآلٍ
 مَا حَمَامٌ بِرُوضَةٍ قَدْ تَغْنَى
 أَوْ عَيْدُ الرَّحْمَنِ أَنْشَأَ مَدْحًا

لا يُوفِي كَمَالَهُمْ أَدْبَاءُ
 حَيْثَمَا أَشْرَفُوا فَهَمُّ شَرْفَاءُ
 وَوَقَارٌ وَهَيْبَةٌ وَضِيَاءُ
 إِذْ أَضَاءَتْ ذِمَارَهُمُ الْغَرَاءُ
 كُلُّ فَرَضٍ مِنْ هَدْيِهِمْ لَأَلَاءُ
 مِنْ سِوَاهُمْ يَكُونُ فِيهِ اسْتِواءُ
 وَلِتَطْهَرَهُمْ بِذَلِكَ اقْتِفاءُ
 فَاحْفَظُوهُ فَإِنَّكُمْ أَمْنَاءُ
 حَدَّثَنَا بِضْمَنِهِ الْأَنْبَاءُ
 ثِيْلٌ مَعْنَاهُ وَلَيْسَ فِيهِ خِفَاءُ
 طِبُّ قَلْبِي وَمُقْلَتِي وَجَلَاءُ
 فِيهِ تَغْدُو الْمَلَائِكَةُ الْكُرْمَاءُ
 لِدَوَاعِيهِ زَالَ عَنْهُ الشَّقَاءُ
 أَجْحَفَتُهُ الْخُطُوبُ وَالْأَدْبَاءُ
 أَيْدَتَكُمْ نَجْوَاهُ وَالسَّمَاءُ
 حَيْثُ جَاءَ «ابْتَغُوا» فَهَمُّ شُفْعَاءُ
 وَكَذَلِكَ الصَّحَابَةُ الْأَتْقِيَاءُ
 أَوْ عَلَى الدَّوْحِ تَسْجَعُ الْوَرَقَاءُ
 آلَ طَهَ لَكُمْ عَلَيْنَا الْوَلَاءُ

فصل في ذكر مناقب السيدة فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب

(أمها) أم إسحاق التيمية بنت طلحة بن عبيد الله، كذا قاله الخطيب البغدادي ومثله في الفصول المهمة، (وتزوج) فاطمة بنت الحسن عليه السلام ابن عمها حسن المثنى بن الحسن السبط عمها، فولدت له عبد الله ويلقب بالمحضر، وإنما سُمي بالمحضر لمكانه من الحسين، وكان يشبه رسول الله، وكان شيخ بني هاشم، قيل له: لم صرتم أفضل الناس؟ فقال: لأن الناس كلهم يتمنون أن يكونوا مِنَّا ولا نتمنى أن نكون من أحد، وكان قوي النفس شجاعاً ورعاً قال من الشعر شيئاً ومنه:

يُبِضُ حرائرُ ما هَمُّنَ بريَّةٍ كَطَبَاءِ مكة صيْدُهُنَّ حَرَامَ
يُحْسِنُ من لِينِ الكلامِ زوانيا وَيَصُدُّهُنَّ عن الخَنَا الإسلامُ

وكان عبد الله يلي صدقات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعد أبيه الحسن، ونازعه في ذلك زيد بن علي بن الحسين ولهما في ذلك حكايات مشهورة في كتب التواريخ، ومات عبد الله المحضر في حبس أبي جعفر الدوانيقي مخنوقاً، وولدت له أيضاً فاطمة بنت الحسين صاحبة الترجمة للحسن المثنى: إبراهيم القمر، والحسن المثلث، وكل منهم له عقب. اهـ من بحر الأنساب. وفي بغية الطالب: ومات المحضر هو وإخوته في سجن المنصور العباسي، وكان موته سنة خمس وأربعين ومائة، قال وسُمي بالمحضر؛ لأنه أول من جمع بين ولادة الحسن والحسين من الحسينية، وأول من جمعها من

الحسينية: محمد الباقر. اهـ. ثم مات عنها الحسن فتزوجها عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه. وفي الأغاني: خطب الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى عمه الحسين فقال له الحسين: يا ابن أخي قد كنت أنتظر هذا منك انطلق معي، فخرج به حتى أدخله منزله فخيرَه في ابنتيه فاطمة وسكينة فاختر فاطمة فزوجه إياها، قال عبد الله بن موسى في خبره: إن الحسين خيرَه فاستحيا فقال له: قد اخترت لك فاطمة بنتي فهي أكثر شبهًا بأمي فاطمة بنت رسول الله. اهـ. ومثله في الفصول المهمة وتاريخ الخطيب البغدادي من رواية الزبير بن بكار. وروى عنها الإمام أحمد وابن ماجه عن أبيها الحسين عن النبي حديث: «ما من مسلم يُصاب بمصيبة فيذكرها وإن قدم مشهدها فيحدث لها الاسترجاع إلا كتب الله له من الأجر مثل يوم أصيب». وفي درر الأصداف ولما حضرت الحسن زوجها الوفاة قال لفاطمة: إنك امرأة مرغوب فيك وكأني بعبد الله بن عمرو بن عثمان إذ خرج لجنائزي قد خرج على فرس مُرجلاً جُمته لا بسًا حُلته يسير في جانب الناس فيتعرض لك، فانكحي من شئت سواه فإنني لا أدع من الدنيا ورائي همًّا غيرك، فقالت له: آمن من ذلك وحلفت له بالعتق والصدقة أنها لا تتزوجه، ثم مات الحسن وخرج عبد الله بن عمرو لجنائزته في الحالة التي وصفه بها الحسن، وكان يقال لعبد الله بن عمرو المظرف لحسنه، فنظر إلى فاطمة حاسرة تضرب وجهها فأرسل يقول لها: إن لنا في وجهك حاجة فارفقي به، فاستحيت وعرف ذلك منها وخمرت وجهها، فلما حلت أرسل إليها يخطبها فقالت: كيف بأيماني التي حلفت له بها، فأرسل إليها يقول

لها: لك بكل مملوك مملوكان وعن كل شيء شيئان، فعوضها عن يمينها فنكحته وولدت له محمداً والقاسم، وكان عبد الله بن الحسن المثنى ولدها يقول: ما أبغضتُ بغضي عبد الله بن عمرو أحدًا ولا أحببتُ حبَّ ابنه محمد أحدًا. اهـ. وفي الفصول المهمة: ولما مات الحسن المثنى بن الحسن ضربت زوجته فاطمة بنت الحسين على قبره فسطاطاً وكانت تقوم الليل وتصوم النهار وكانت تُشبه بالخور العين لجمالها، فلما كان رأس السنة قالت لمواليها: إذا أظلم الليل فقوضوا هذا الفسطاط، فلما أظلم الليل وقوضوه سمعت قائلاً يقول: هل وجدوا ما فقدوا، فأجابه آخر: بل يسوا فانقلبوا، انتهى. وكانت فاطمة رضي الله عنها كريمة؛ ففي الفصول المهمة أيضاً أن يزيد لما جهزهم إلى المدينة بعد قتل أبيها الحسين أرسل معهم رجلاً أميناً من أهل الشام في خيل سيرها صحبتهم إلى أن دخلوا المدينة، فقالت فاطمة بنت الحسين لأختها سكينه: قد أحسن هذا الرجل إلينا فهل لك أن تصليه بشيء، فقالت والله ما معنا ما نصله به إلا ما كان من هذا الحلبي، قالت فافعلي، فأخرجت له سوارين ودملجين وبعثتا بهما إليه فردهما وقال: لو كان الذي صنعته رغبة في الدنيا لكان في هذا مقنع بزيادة كثيرة ولكني والله ما فعلته إلا لله ولقرابتكم من رسول الله، وكانت فاطمة أكبر سنًا من سكينه. اهـ.

قال القطب الشعراني في كتابه الأنوار عن شيخه الخواص: إن السيدة فاطمة النبوية بنت الإمام السبط مدفونة بالدرب الأحمر. اهـ. وقال الشيخ عبد الرحمن الأجهوري الكبير: السيدة فاطمة النبوية بنت الحسين السبط مدفونة خلف الدرب الأحمر في زقاق

يعرف بزقاق فاطمة النبوية في مسجد جليل ومقامها عظيم وعليه من المهابة والجلال والوقار ما يسر قلوب الناظرين، ولنا فيها أرجوزة عظيمة ولنا بها زيارات، وما اشتهر من أن فاطمة النبوية بدرب سعادة غير صحيح، وعلى تقدير صحته يحتمل أن يكون معبدها ويحتمل أن تكون فاطمة أخرى من بيت النبوة اهـ. وهو موافق لما قالوه من أن أولاد الحسين عليه السلام الإناث ثلاث سكينه وزينب وفاطمة واحدة، ثم رأيت في درر الأصداف ما هو صريح في أن للحسين فاطمة صغرى وفاطمة كبرى؛ وعبارته وبالإسناد عنهم: لما قتل الحسين بن علي جاء غراب فتمرغ في دمه وطار حتى وقع بالمدينة على جدار فاطمة بنت الحسين بن علي عليه السلام وهي الصغرى، فرفعت رأسها ونظرت إليه وبكت بكاء شديداً وأنشأت تقول:

نَعَى الغرابُ فقلتُ مَنْ	تَنَعَّى وَيَحَكَ يا غُراب
قال الإمامُ فقلتُ مَنْ	قال الموقُّ للصَّواب
قلتُ الحسينَ فقال لي	بمقالٍ مَحزونٍ أجاب
إنَّ الحسينَ بكربلاءَ	بينَ الأسنَّةِ والظُّراب
أبكي الحسينَ بعبرةٍ	تُرْضي الإلهَ مَعَ الثَّواب
ثُمَّ استَقَلَّ به الجَنَّا	حُ فلم يُطِقْ رَدَّ الجواب
فبكيتُ مما حَلَّ بي	بعد الرِّضِيِّ المُستَجاب

فنعته لأهل المدينة فما كان بأسرع من أن جاءهم خبر قتل الحسين، انتهى. هذا وقد مر أنفاً أن فاطمة كانت مع أبيها بكربلاء وأنها كانت أكبر سناً من سكينه. لا يُقال إذا كان للحسين فاطمة صغرى وفاطمة كبرى على هذا فما المانع من أن فاطمة التي بدرب سعادة إحداهما

لأننا نقول هذا مما يحتاج إلى نقل والشيخ الأجهوري حجة نفعنا الله بركاته وأمدنا من إمداداته.

(تنبيه) من أهل البيت بقرب مزار الشيخ الحموي بدرب سعادة السيدة صفية بنت إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن قاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليه السلام، توفيت صفية ليلة الخميس تاسع المحرم سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة من الهجرة النبوية، كذا نقلته من خط بعض الفضلاء وعزاه لكتاب الأنساب للشيخ منصور بن عبد الحق الأهرتي الفيومي اهـ. وفي رحلة ابن بطوطة بعد الكلام على عزة ما نصه: وبالقرب من هذا المسجد مغارة فيها قبر فاطمة بنت الحسين بن علي، وبأعلى القبر وأسفله لوحان من الرخام في أحدهما مكتوبٌ منقوشٌ بخطٍ بدیع: بسم الله الرحمن الرحيم لله العزة والبقاء وله ما ذراً وبرأً وعلى خلقه كتب الفناء وفي رسول الله أسوة هذا قبر أم سلمة فاطمة بنت الحسين عليه السلام، وفي اللوح الآخر منقوش: صنعته محمد بن أبي سهل النقاش بمصر وتحت ذلك هذه الأبيات:

أَسْكَنْتَ مَنْ كَانَ فِي الْأَحْشَاءِ مَسْكُنُهُ بِالرَّغْمِ مَنِّي بَيْنَ التُّرْبِ وَالْحَجَرِ
يَا قَبْرَ فَاطِمَةَ بِنْتِ ابْنِ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْأُتَمَّةِ بِنْتِ الْأَنْجُمِ الزُّهْرِ
يَا قَبْرَ مَا فِيكَ مِنْ دِينٍ وَمِنْ وَرَعٍ وَمِنْ عَفَافٍ وَمِنْ صَوْنٍ وَمِنْ خَفَرٍ

اهـ. ما أورده الشيخ الصالح. ومن كلام فاطمة عليها السلام: «والله ما نال أحدٌ من أهل السَّفهِ بسفهم شيئاً ولا أدركوا من لذاتهم شيئاً إلا وقد ناله أهلُ المروءاتِ فاستتروا بجميلِ سِتْرِ اللَّهِ»، توفيت عليها السلام سنة عشر ومائة كذا في كتب التاريخ.

فصل في ذكر مناقب السيدة عائشة بنت جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب

فأخوها موسى الكاظم، ولم أعثر على أمها، نعم إن كانت شقيقته
فأمها حينئذ حُميدة -بضم الحاء وفتح الميم كما ضبطه بعضهم-
البربرية.

قال الشعراني في المنن في الباب العاشر: أخبرني سيدي علي
الخوَّاص أن السيدة عائشة ابنة جعفر الصادق عليه السلام في المسجد الذي
له المنارة القصيرة على يسارك وأنت تريد الخروج من الرميلة إلى
باب القرافة. اهـ. لكن قد تقدم في ترجمة جعفر الصادق عند الكلام
على أولاده عن الفصول المهمة أن بنت جعفر الصادق اسمها فروة
وهو محل نظر.

قلت على فرض أن جعفر الصادق لم يرزق من الإناث إلا فروة
هذه يُحتمل أن يكون هذا الاسم لقبًا لعائشة أو كنية، وسقط من
الكاتب لفظ أم، ويرشحه أن جدتها أم أبيها جعفر تدعى أم فروة بنت
القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق عليه السلام، والله أعلم بحقيقة الحال،
والظن لا يُغني عن الحق شيئاً.

قال الشعراني في طبقاته في فصل ذكر جماعة من عباد النساء
قال: ومنهن السيدة عائشة بنت جعفر الصادق (رحمها الله) وهي
المدفونة بباب قرافة مصر عليها السلام كانت تقول: «وعزتكم وجلالك لئن

أدخلتني النار لآخذن توحيد بيدي وأدور به على أهل النار وأقول
لهم و حَدَّثَهُ فَعَذَّبَنِي»، توفيت سنة خمس وأربعين ومائة هـ. اهـ.
ومثله في طبقات المناوي.

فصل في ذكر مناقب السيدة نفيسة بنت سيدي حسن الأنور بن السيد زيد الأبلج ابن حسن السبط بن علي بن أبي طالب

أمها أم ولد، تزوج بنفيسة إسحاق بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين عليه السلام، وكان يُدعى بإسحاق المؤتمن وكان من أهل الصلاح والخير والفضل والدين، وروى عنه الحديث، وكان ابن كاسب إذا حَدَّثَ عنه يقول حدثني الثقة الرضى إسحاق بن جعفر، وكان له عَقَبٌ بمصر من غير السيدة نفيسة، وولدت السيدة نفيسة منه ولدين: القاسم وأم كلثوم، ولم يُعَقَّبَا، وكان مولد السيدة نفيسة بمكة المشرفة سنة خمس وأربعين ومائة، ونشأت بالمدينة في العبادة والزهادة تصوم النهار وتقوم الليل، وكانت لا تفارق حرم النبي، وحجت ثلاثين حجة أكثرها ماشية، وكانت تبكي بكاءً كثيراً وتعلق بأستار الكعبة وتقول: «إلهي وسيدي ومولاي مَتَّعْنِي وَفَرِّحْنِي بِرِضَاكَ عَنِّي فَلَا سَبَبَ لِي أَتَسَبَّبُ بِهِ بِحَبْجِكَ عَنِّي». قالت زينب بنت يحيى المتوج وهو أخو السيدة نفيسة عليه السلام: خدمت عمتي نفيسة أربعين سنة فما رأيتها نامت بليل ولا فطرت بنهار، فقلت: أما ترفقين بنفسك، فقالت: كيف أرفق بنفسي وقدامي عقبات لا يقطعهن إلا الفائزون، قال القضاعي: قيل لزينب بنت أخي السيدة نفيسة ما كان قوتُ السيدة نفيسة، قالت: كانت تأكل في كل ثلاثة أيام أكلة، وكانت لها سلة مُعلَّقة أمام مصلاها فكانت كلما اشتهدت شيئاً

وجدته في السلة، وكنت أجدُ عندها ما لا يخطر بخاطري ولا أعلم مَنْ يأتي به، فتعجبت من ذلك فقالت لي: يا زينب مَنْ استقام مع الله تعالى كان الكون بيده وفي طاعته، وكانت لا تأكل لغير زوجها شيئاً. وعن زينب أيضاً قالت: كانت عمتي نفيسة تحفظ القرآن وتفسره، كانت تقرأ القرآن وتبكي وتقول: «إلهي وسيدي يسِّر لي زيارة خليلك إبراهيم، فحبَّبتُ هي وزوجها إسحاق المؤمن بن جعفر الصادق ثم زارت قبر خليل الرحمن، ثم رجعت إلى مصر وسكنت بالمنصورة في دار أم هانئ، وكان بجوارهم يهودي له ابنة مُقعدة لا تستطيع القيام، فقالت لها أمها يوماً: إني ذاهبة إلى الحمام ولا أدري ما نصنع بك فهل لك أن نحملك معنا، فقالت لا أستطيع ذلك، قالت هل تقيمين في البيت وحدك حتى نعود، قالت لا يا أماه ولكن اجعليني عند هذه الشريفة التي بجوارنا حتى تعودني، فدخلت أمها إلى السيدة نفيسة وسألتها في ذلك فأذنت لها فجاءت بابتها إليها فوضعتها في جانب من البيت ومضت، فجاء وقت صلاة الظهر فأحضرت السيدة نفيسة ماءً فتوضأت به فجرى من مائها شيء إلى جانب الصبية المُقعدة فجعلت تمر به على أعضائها فتمددت بإذن الله تعالى، فلما جاء أهلها خرجت إليهم تمشي فسألوها عن شأنها فأخبرتهم فأسلموا. اهـ من درر الأصداف، لكن الذي في الخطط للمقريزي أنها توضأت وصبَّت من فضل وضوئها، وهذه كرامة عظيمة منها ﷺ، وسيأتي ذكر كرامات لها أخر إن شاء الله تعالى، وكان قدوم السيدة نفيسة إلى مصر سنة ثلاث وتسعين ومائة على خلاف في ذلك، وفي تاريخ ابن خلكان دخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق،

وقيل دخلت مع أبيها الحسن وإن قبره بمصر لكنه غير مشهور. اهـ.
قلت هو مشهور الآن بل وقبر والده السيد زيد الأبلج كما سيأتي ذلك
في ترجمة السيد حسن الأنور، ولما سمع أهل مصر بقدمها وكان
لها ذكر شائع عندهم، تلقتُها النساء والرجال بالهوادج من العريش،
ولم يزالوا معها إلى أن دخلت مصر، فأنزّلها عنده كبير التجار بمصر
جمال الدين عبد الله بن الجصاص -بالجيم وقيل بالحاء والأول
أصح- وكان من أهل الصلاح والبر، فنزلت عنده في داره وأقامت
بها مدة شهور، والناس يأتون إليها أجمعون من سائر الآفاق يتبركون
بزيارتها. كذا في المآثر النفيسة لكن قد تقدم عن درر الأصداف: أنها
نزلت وبعّلها بالمنصورة، ولا منافاة لاحتمال أنها نزلت أولاً عند
عبد الله بن الجصاص وثانياً بالمنصورة والله أعلم. قال المناوي:
قدمت السيدة نفيسة مصر وبها بنت عمها سكيّنة المدفونة بقرب دار
الخلافة بمصر ولها الشهرة التامة، فخلعت عليها الشهرة فصار لنفيسة
القبول التام بين الخاص والعام. اهـ. وفي مشارق الأنوار للشيخ عبد
الرحمن الأجهوري ما نصّه: قال الشعراني: لما دخلت السيدة نفيسة
مصر كانت ابنة عمها السيدة سكيّنة المدفونة قريباً من دار الخلافة
مقيمة بمصر قبلها ولها الشهرة العظيمة، فخلعت الشهرة والنذور
عليها واختفت ﷺ. اهـ. وفي النفس منه شيء؛ لأن قوله مقيمة بمصر
صريح في أنهما كانتا في عصر واحد وليس كذلك؛ لأن وفاة السيدة
سكيّنة كانت سنة ست وعشرين ومائة وقيل سنة سبع عشرة ومائة
على ما في تاريخ ابن خلكان، وولادة السيدة نفيسة كانت سنة خمس
وأربعين ومائة باتفاق، نعم لو حملنا الشهرة في عبارة المناوي على

شهرة البرزخ كان وجيهاً. نقل صاحب المآثر النفيسة ما نصه: قال الحسن بن زولاق: ولما شاعت هذه الكرامة بين الناس لم يبق أحد إلا قصد زيارة السيدة نفيسة، وعظم الأمر وكثر الخلق على بابها، فطلبت عند ذلك الرحيل إلى بلاد الحجاز عند أهلها، شق ذلك على أهل مصر وسألوها في الإقامة فأبت، فاجتمع أهل مصر ودخلوا على السري بن الحكم أمير مصر وأخبروه أنها عزمت على الرحيل، فاشتد ذلك عليه وبعث لها كتاباً ورسولاً يأمرها بالرجوع عما عزمت عليه، فأبت، فركب بنفسه وأتى إليها وسألها في الإقامة فقالت: «إني كنت نويت الإقامة عندكم وإني امرأة ضعيفة والناس قد أكثروا من المجيء عندي وشغلوني عن أورادي وجمع زادي لمعادي ومكاني هذا صغير وضاق بهذا الجمع الكثيف»، فقال لها السري: أنا سأزيل عنك جميع ما شكوتيه وأمهد لك الأمر على ما ترتضيه؛ أما ضيق المكان فإن لي داراً واسعة بدرب السباع وأشهد الله تعالى أنني قد وهبتها لك وأسألك أن تقبليها مني ولا تخجليني بالرد علي، فقالت: قد قبلتها منك، ففرح السري بقبولها منه، فقالت: كيف أصنع بهذه الجموع الوافدين عليّ، قال: تتفقي معهم على أن يكون للناس في كل جمعة يومان وباقي الجمعة تتفرغي فيه لخدمة مولاك، اجعلي يوم السبت والأربعاء للناس، ففعلت ذلك واستمر الأمر على ذلك اهـ.

(حكاية) ذكر القرماني في تاريخه وصاحب الغرر والعرر وصاحب المستطرف أيضاً أنه لما ظلم أحمد بن طولون استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا إلى السيدة نفيسة يشكونه إليها، فقالت لهم: متى يركب، قالوا في غد، فكتبت رقعة ووقفت بها في طريقه

وقالت: يا أحمد يا ابن طولون، فلما رآها عرفها فنزل عن فرسه وأخذ منها الرقعة وقرأها فإذا فيها: «ملكتم فأسرتم، وقدرتم فقهرتم، وخولتم فعسفتم، ورُدت إليكم الأرزاق فقطعتم، هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة، لا سيما من قلوب أوجعتموها، وأكباد جوعتموها، وأجساد عريتموها، فمُحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم، اعملوا ما شئتم فإننا صابرون، وجوروا فإننا بالله مستجيرون، واطلموا فإننا إلى الله متظلمون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون»، قال فعَدَلَ لوقته. اهـ.

قلت نسبة هذه المقالة إلى السيدة نفيسة صاحبة الترجمة مردودة بوجهين أحدهما نقلِيٌّ وثانيهما ذوقِيٌّ؛ أما النقلِيٌّ: فهو أن ظهور الدولة الطولونية التي أولها أحمد بن طولون كان في سنة أربع وخمسين ومائتين كما في تاريخ الإسحاقِي، أو سنة خمسين ومائتين على ما في تاريخ القرماني، ووفاة السيدة نفيسة كانت في رمضان سنة ثمان ومائتين باتفاق، يُعلم ذلك بمراجعة كتب التواريخ، وأما الذوقِيٌّ: فهو أن السيدة نفيسة عليها السلام ليست من أوباش الناس حتى يتوهم غبي غافل فضلاً عن فطنٍ عاقل أنها تذهب إلى أحمد بن طولون وتقف بالطريق تنتظره، نعم لا مانع من صدور ذلك من نفيسة أخرى والله أعلم.

(تنبيه) أجمع أهل السير والتاريخ على وفاة السيدة نفيسة بمصر القاهرة بخلاف غيرها، حتى إن بعضهم يسميها بنفيسة المصرية، قال ابن الملقن: ولما دخل الإمام الشافعي عليه السلام مصر كان يتردد إليها وكان يصلي بها التراويح في مسجدتها في رمضان وكان يأتي إليها ويسألها

الدعاء، وسماع الشافعي الحديث منها هو الصحيح، خلافاً لمن قال إنه قرأ عليها وهو صاحب التحفة الأنسية. اهـ. من المآثر النفيسة: هذا ولقائل أن يقول ما المانع من كونه قرأ عليها وقرأت عليه، وفي المآثر النفيسة أيضاً: وكان الشافعي إذا مرض يرسل إليها إنساناً من أصحابه كالربيع الجيزي أو الربيع المرادي فيُسلم المُرسل إليها ويقول لها: إن ابن عمك الشافعي مريض ويسألك الدعاء، فتدعو له فلا يرجع له القاصد إلا وقد عوفي من مرضه، فلما مرض مرضه الذي مات فيه أرسل لها على جاري عادته يلتمس منها الدعاء فقالت للقاصد: مَتَّعَهُ اللَّهُ بالنظرِ إلى وجهه الكريم، فجاء القاصد له فرآه الشافعي فقال له ما قالت لك؟ قال قالت لي كيت وكيت، فعلم أنه ميت فأوصى، وأوصى أن تصلي عليه، فلما توفي سنة أربع ومائتين كما هو المشهور، مرُّوا به على بيتها فصلت عليه مأمومة، وكان الذي صلَّى بها إماماً أبو يعقوب البويطي أحد أصحابه، وكان مرور جنازة الشافعي على بيتها بأمر السري أمير مصر لأنها سألته في ذلك إنفاذاً لوصية الشافعي؛ لأنها كانت لا تستطيع الخروج إلى جنازته لضعفها من كثرة العبادة، قال بعض الصالحين ممن حضر جنازة الشافعي: سمعت بعد انقضاء الصلاتين إن الله تعالى غفر لكل من صلَّى على الشافعي بالشافعي، وغفر للشافعي بصلاة السيدة نفيسة عليه ﷺ ونفعنا ببركتهما. (كرامات زيادة على ما سبق) الأولى: عن سعيد بن الحسن قال: توقف النيل في زمنها فجاء الناس إليها وسألوها الدعاء فأعطتهم قناعها، فجاءوا به إلى البحر وطرحوه فيه فما رجعوا حتى وفي البحر وزاد زيادة عظيمة.

(الثانية) أن امرأة عجوزاً كان لها أربع بنات يَتَقَوَّنَ من غزلهن من الجمعة إلى الجمعة وفي آخر الجمعة تأخذ العجوز غزلهن وتمضي به إلى السوق فبيعه وتشتري بنصف ثمنه كتاباً وبنصفه الآخر ما يتقوتن به من الجمعة إلى الجمعة، فأخذته العجوز يوماً ولفته في خرقة حمراء ومضت به إلى السوق فبينما هي في مارة الطريق والغزل على رأسها قد انقض طائر على رزمة الغزل واختطفها وارفع، فوقعت المرأة مغشياً عليها فلما أفاقت قالت: كيف أصنع بالأيتام وقد أجهدهم الجوع، فبكت فاجتمع الناس وسألوها عن شأنها فأخبرتهم بالقصة فدلوها على السيدة نفيسة عليها السلام وقالوا لها: امضي إليها واسألها الدعاء فإن الله تعالى يزيل ما بك، فمضت إلى السيدة نفيسة فأخبرتها بقصتها وما جرى لها وسألها الدعاء، فرحمته السيدة نفيسة وقالت: «يا مَنْ عَلَا فَقْدَرُ، وَمَلِكٌ فَقْهَرُ، اجْبِرْ مِنْ أَمَتِكَ هَذِهِ مَا انْكَسَرَ، فَإِنَّهُمْ خَلَقَكَ وَعِيَالَكَ»، ثم قالت اقعدني فإنه على كل شيء قدير، فقعدت المرأة على الباب وفي قلبها من جوع الأولاد التهاب، فما كانت إلا ساعة وإذا بجماعة قد أقبلوا عليها واستأذنوا في الدخول عليها فأذنت لهم، فدخلوا وسلموا عليها فسألتهم عن أمرهم فقالوا: إن لنا لأمرًا عجيبًا نحن قوم تجار ولنا مدة ونحن مسافرون في البحر ونحن بحمد الله سالمون، فلما وصلنا إلى قرب بلدكم انفتحت المركب التي نحن فيها ودخل الماء وأشرفنا على الغرق، وجعلنا نسد المكان الذي انفتح بجهدنا فلم ينسد فاستغثنا إلى الله تعالى وتوسلنا بك إليه، فإذا بطائر ألقى علينا خرقة فيها غزل فوضعناها في المكان المنفتح فانسد بإذن الله

تعالى ببركتك، وقد جئنا بخمسمائة درهم فضة شكرًا لله تعالى على السلامة، فعند ذلك بكت السيدة نفيسة عليها السلام وقالت: إلهي ما أرافق وألطفك بعبادك، ثم نادى العجوز فجاءت فقالت لها السيدة: بكم تبيعين غزلك كل جمعة، فقالت: بعشرين درهمًا، فقالت: أبشري فإن الله تعالى عوضك عن كل درهم خمسين درهمًا، ثم قصت القصة عليها ودفعت لها ذلك، فأخذته وأتت بناتها فأخبرتهم بما جرى وكيف رد الله تعالى لفتها ببركة السيدة نفيسة.

(الثالثة) تزوج رجل من أهل المغافر بامرأة ذميمة فجاء منها بولد فأسر في بلاد العدو، فجعلت المرأة تدخل البيع وتسال عن الأسارى وولدها فقالت لزوجها: بلغنا أن بين أظهرنا امرأة يقال لها نفيسة بنت الحسن اذهب إليها لعلها تدعو لولدي فإن جاء آمنٌ بدينها، قال فجاء الرجل إلى السيدة نفيسة عليها السلام وقص عليها القصة فدعت له أن الله يرده عليه، فلما كان الليل إذا الباب يطرق فخرجت المرأة فوجدت ولدها واقفًا بالباب فقالت له يا بني أخبرني بأمرك كيف كان، فقال يا أمه كنت واقفًا بالباب في الوقت الفلاني، وهو الوقت الذي دعت فيه السيدة نفيسة، وأنا في خدمتي فلم أشعر إلا ويد قد وقعت على القيد وسمعت من يقول أطلقوه فقد شفعت فيه السيدة نفيسة بنت الحسن فأطلقت من الغل والقيد ثم لم أشعر بنفسي إلا وأنا داخل من رأس محلتنا إلى أن وقفت على الباب، ففرحت أمه وشاعت هذه الكرامة وأسلم في تلك الليلة أهل سبعين دارًا ببركتها، وأسلمت أمه وصارت من الخدام للسيدة نفيسة عليها السلام. ومما اتفق أن بنتًا كانت تلعب مع الصبيان وعلى رأسها قلنسوة عليها بعض دراهم ودنانير، فطمع

صبي من الصبيان في البنت فأخذها وذهب بها إلى مقبرة السيدة نفيسة صاحبة الترجمة ونزل بالبنت فسقية من القبور وذبحها وأخذ الطاقية، ففقدَ البنتَ أهلها وأخذوا يفتشون عليها فلم يروا لها أثرًا ولا خبرًا، ثم ألَّهموا القبض على الصبيان الذين جرت عادة البنت اللعب معهم، فقبضوا عليهم ورفعوهم إلى الحاكم فهددهم فأقر الصبي بما فعله مع البنت، فأخذوه وذهبوا به إلى المقبرة ونزلوا القبر فوجدوا به البنت وبها حياة مستقرة وقد انقطع خروج الدم من موضع الذبح، فخطأوا ذلك الموضع وعاشت البنت وأخبرت أنها لما ذبحها الصبي وانصرف دخلت عليها امرأة حسنة الصورة وقالت لها لا تخافي يا بنتي ومسحت على محل الذبح فانقطع الدم وسقتها، فقالت لها مَنْ أنت، قالت أنا السيدة نفيسة عليها السلام، أوردها ابن إياس في حوادث المائة العاشرة. وذكر الشيخ عبد الرحمن الأجهوري في مشارق الأنوار أن السيدة جوهرة جارية السيدة نفيسة أخذت إبريق السيدة تملؤه فوضعتَه، فجاء ثعبان يتمسح برأسه كأنه يتبرك به.

تتمة: في الكلام على وفاتها قال القضاعي: إن السيدة انتقلت من المنزل الذي نزلت به إلى دار أبي جعفر خالد بن هارون السلمي وهي التي وهبها لها أمير مصر السري بن الحكم في خلافة المأمون، فأقامت بها حينًا إلى زمن وفاتها، وحفرت قبرها بيدها في بيتها وكانت تصلي فيه كثيرًا وقرأت فيه مائة وتسعين ختمة، وفي رواية عنه: ألفي ختمة وقيل ألفًا وتسعمائة، قالت زينب بنت أخيها: تألمت عمتي في أول يوم من رجب وكتبت إلى زوجها إسحاق المؤتمن كتابًا وكان غائبًا بالمدينة تأمره بالمجيء إليها، ولا زالت كذلك إلى

أول جمعة من شهر رمضان فزاد بها الألم وهي صائمة فدخل عليها الأطباء الحذاق وأشاروا عليها بالإفطار لحفظ القوة لما رأوا من الضعف الذي أصابها، فقالت: واعجبه لي ثلاثون سنة أسأل الله عزَّ وجلَّ أن يتوفاني وأنا صائمة فأفطر معاذ الله، ثم أنشدت تقول:

اصبرِ فوا عني طيبي ودعوني وحيبي
 زاد بي شوقي إليه وغرامي في لهيب
 طاب هتكي في هواه بين واشٍ ورقيب
 لا أبالي بفوت حين قد صار نصيب
 ليس من لام يعذل عنه فيه بمُصيب
 جسدي راضٍ بسقمي وجفوني بنحيب

قال صاحب المآثر النفيسة: ومن الناس من يرى أن هذه الأبيات لمحمد بن إبراهيم بن ثابت الكيزاني الشيعي، قالت زينب: ثم إنها بقيت كذلك إلى العشر الأواسط من شهر رمضان، فاحتضرت واستفتحت بقراءة سورة الأنعام فلا زالت تقرأ إلى أن وصلت إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾⁽¹⁶²⁾.

ففاضت روحها الكريمة. وفي درر الأصداف عنها فلما وصلت إلى قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁽¹⁶³⁾، غشي عليها فضممتها لصدري فتشهدت شهادة الحق وقُبضت رحمة الله عليها، ووصل زوجها في ذلك اليوم فقال: إني أحملها إلى المدينة وأدفنها بالبقيع، فاجتمع أهل مصر إلى أمير البلد

⁽¹⁶²⁾ سورة الأنعام 12.

⁽¹⁶³⁾ سورة الأنعام 127.

واستجاروا به إلى إسحاق ليرده عما أراد فأبى، فجمعوا له مالا كثيرا وسق بعيره الذي أتى عليه وسألوه أن يدفنها عندهم فأبى، فباتوا في مشقة عظيمة فلما أصبحوا اجتمعوا عليه فوجدوا منه غير ما عهدوه بالأمس فقالوا له إن لك لشفأنا، قال: نعم رأيت رسول الله وهو يقول لي رد عليهم أموالهم وادفنها عندهم، وذلك في سنة ثمان ومائتين بعد وفاة الإمام الشافعي بأربع سنين، ودفنت بمزارٍ بدرج السباع وكان يوم دفنها يوما مشهودا وأتوها من البلاد والنواحي يصلون عليها بعد دفنها، وأوقدت الشموع تلك الليلة وسُمع البكاء من كل دار بمصر وعظم الأسف عليها، قال القضاعي: أقامت السيدة نفيسة بمصر سبع سنين وحفرت قبرها بيدها في البيت الذي كانت قاطنة فيه. اهـ.

قال الدميري: السيدة نفيسة عليها السلام كانت أمية لا تقرأ شيئا إلا أنها سمعت الحديث كثيرا وكانت من أهل الخير والصلاح، وكانت في آخر عمرها إذا عجزت عن الصلاة قائمة صلت قاعدة، وكانت من كثرة الصيام والقيام ضعف قواها. وزار قبرها جماعة من الأولياء والصلحاء كالأستاذ الكبير أبي الفيض تومان ذي النون المصري بن إبراهيم الإخميمي أحد رجال الطريقة المعترين، وأبي الحسن الدينوري، وأبي علي الروذباري، وأبي بكر أحمد بن نصر الدقاق، وبنان بن أحمد بن محمد بن سعيد الحمال الواسطي، وشقران بن عبد الله المغربي، وإدريس بن يحيى الخولاني، والفضل بن فضالة، والقاضي بكار بن قتيبة، وإسماعيل المزني صاحب الإمام الشافعي، وعبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع المصري، وولده

الإمام محمد صاحب تاريخ مصر، وعبد الرحمن بن الحكم، والإمام أبو يعقوب البويطي، والربيع بن سليمان المرادي، ممن لا يُحصى عددهم إلا الله.

وينبغي زيادة على ما تقدم في أول الباب للزائر إذا دخل ضريحها بل وضريح كل من كان من أهل البيت خلافاً لمن خصّه بالسيدة نفيسة أن يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾⁽¹⁶⁴⁾، رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد، اللهم إنك قد ندبتني لأمر قد فهمته وقتله وسمعته وأطعته واعتقدته وجعلته أجراً لنبيك محمد إذ هديتنا به إليك ودللتنا به عليك، وكان كما قلت وكان بالمؤمنين رحيمًا، حبيبًا إليه ما هديتنا عزيزًا عليه عنتنا، وتلك الفريضة التي سألتها له وهي المودة في القربى، اللهم إني مُؤدِّيها مُريدًا بها النفع في ديني ودنياي، مُتوسلاً بها إليك يوم انقطاع الأسباب، اللهم زدهم شرفاً وتعظيماً، وهب لي بزيارتهم ثواباً ومغفرةً وأجرًا عظيمًا، السلام عليكم يا بني المصطفى يا بني فاطمة الزهراء، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى أزواج سيدنا محمد وعلى ذرية سيدنا محمد، اللهم بلغني ما أملتُ وما رجوتُ وأعد عليّ وعلى المسلمين من بركاتهم يا رب العالمين. كذا في درر الأصداف وفيه زيادات انظرها. قال الموفق بن عثمان، وكان بعض السلف يزور السيدة نفيسة ويقول عند ضريحها: السلام والتحية والإكرام والرضا من العليّ الأعلى الرحمن على السيدة نفيسة سُلالة نبي الرحمة وهادي الأمة، من أبوها علم العشيرة وهو الإمام حيدرة،

⁽¹⁶⁴⁾ سورة الأحزاب 33.

السلام عليك يا بنت الحسن المسموم أخي الإمام الحسين المظلوم،
السلام عليك يا بنت فاطمة الزهراء بنت خديجة الكبرى، رضي الله
عنك وعن أبيك وعمك وجدك وحَسَرْنَا في زمرتهم أجمعين، اللهم
بحق ما كان بينك وبين جدها محمد ليلة المعراج اجعل لنا مِن هَمَّنَا
الذي نزل بنا باب الفرج واقضِ حوائجي. وكان بعض السلف يقول
أيضًا: السلام والتحية والإكرام على أهل البيت النبوية والرسالة،
السلام عليك يا بنت الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن السبط
بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، السلام عليك يا بنت فاطمة الزهراء
ويا سلالة خديجة الكبرى، أنتم يا أهل البيت غياثٌ لكل قوم في
اليقظة والنوم، فلا يُحرَم من فضلكم إلا محرومٌ، ولا يُطرَد عن بابكم
إلا مطرودٌ، ولا يُؤاليكم إلا مؤمنٌ تقيٌّ، ولا يُعاديكم إلا منافقٌ شقيٌّ.
اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وأعطني خيرَ
ما رجوتُ بهم، وبلغني خيرَ ما أملتُ فيهم، واحفظني بذلك في ديني
ودنياي وآخرتي إنك على كل شيء قدير، ثم قال:

يا بني الزهراء والنور الذي ظن موسى أنه نار قبس
لا أوالي قط من عاداكم إنهم آخر سطر في عبس

وقد مدح بعض الفضلاء السيدة نفيسة بأبيات أحببنا ذكرها فقال:

يا مَنْ له في الكون من حاجة	عليك بالسيدة الطاهرة
نفيسة والمصطفى جدها	أسرارها بين الورى ظاهرة
في الشرق والغرب لها شهرة	أنوارها ساطعة باهرة
كم من كرامات لها قد بدت	وكم مقامات لها فاخرة
يا حبذا سيدة شُرِفَتْ	بها أراضى مصر والقاهرة

بنفسها قد حَفَرَتْ قَبْرَهَا
تتلو كتابَ اللَّهِ في لَحْدِهَا
حَجَّتْ ثلاثينَ على رجليها
كانت تُصَلِّي وتَقُومُ الدُّجَى
عابدة زاهدة جامعہ
في كلِّ قطرٍ قد سَمَا ذِكْرُهَا
يُسْقَى بها الغَيْثُ إذا ما القَرَى
والناسُ قد عاشوا بها في صَفَا
والشافعي قد كان يأتي لها
يرجو بأن تدعو له دعوةً
صلَّتْ عليه بعد موتٍ وقد
سبحان مَنْ أَعْلَى لها قَدْرَهَا

وللشيخ أحمد الخامي:

يا صاح إن رُمَتْ الحياةَ الفاخرة
ذات الكراماتِ المعظَّمة التي
وبها توصل واحتمي بجوارها
فهي المُنْجِية الشبابِ مِنَ العذا
كم جاءها ذو فاقة يرجو الغنى
فاغْنَمَ وَسَلَ بمقامها تُعْطَى المُنَى
وادخل وطفُ واسعَ وسَلَ
إني قصدْتُكَ مُستغيثًا لائِدًا

حالَ حياةٍ يا لها حافرة
وهي لِمَنْ قد زارها ناضرة
صائِمةً عن أَكْلِها قاصرة
دومًا على أَقدامها ساهرة
للخير في الدنيا وفي الآخرة
عالمة فائقة ماهرة
قد أَجَلَّتْ من سُحْبِها الماطرة
عيشَ بِأَيامٍ لها زاهرة
سعيًا إلى دارٍ بها عامرة
فيًا لها من دعوةٍ وافرة
أوصى بذا فهي له شاكرة
لأنها بين الوَرَى نادرة

فاقصِدْ حِمَى بنت الكرام الطاهرة
أسرارها بين الخلائق ظاهرة
اذكر مصابك تَلَقَّها لك ناصرة
بِ مغيثة الملهوف شمس الدائرة
جبرتْ بتيسيرِ المعاشِ خاطرة
فعلى الدوام لزاريتها حاضرة
بتأدبٍ ما تشتهيهِ ونادِها يا طاهرة
مُسْتَعْطَفًا أهل القلوبِ العامرة

حاشا وكلا أن يُضامَ نزيلكم أو أن يعودَ بصفقةٍ هي خاسرة
يا كعبةَ الأسرارِ جئتُك لائذًا أبغي النَّدى من وكفٍ كفٍّ عاطرة
يا أمَّ قاسمِ الغياثِ فإنني عبدٌ ضعيفُ الحالِ يدي قاصرة
دَيفٌ ومسكينٌ مُهينٌ عابرٌ ما لي مُعينٌ قَطُّ عيني ساهرة
يا بنتَ طه أنقِذي مَنْ لم يجدِ جاهًا سوى ذي المعجزاتِ الظاهرة
المصطفى الهادي البشيرِ محمدٍ مَنْ يَرتجي كُلَّ الأنامِ مآثرة
صَلَّى عليه الله ما بدرَ زَهَا والآل والصحب النجوم الزاهرة
أو ما استغاثَ الحامي أحمدُ قائلاً يا صاحِ إن رُمَتِ الحياةُ الفاخرة

قال المقرئ: قبر السيدة نفيسة أحد المواضع المعروفة بإجابة
الدعاء بمصر، وذكر بقية المواضع فقال: وسجن نبي الله يوسف ،
ومسجد موسى صلوات الله عليه وسلامه، وهو الذي بطرا، والمخدع
على يسار المصلى في قبلة مسجد الأقدام بالقرافة، قال: ولم يزل
المصريون ممن أصابته مصيبة أو لحقته فاقة أو جائحة يمشون إلى
أحدها فيدعون الله تعالى فيستجيب لهم، قال: وقد جرب ذلك، وقد
عدَّ من المواضع التي يُجاب بها الدعاء: جامع ابن طولون، كما ذكره
عند الكلام عليه، وعبارته: جامع ابن طولون موضعه يُعرف بجبل
يَشْكُرُ، قال ابن عبد الظاهر: وهو مكان مشهور بإجابة الدعاء. وقيل
إن موسى ناجى ربه عليه بكلمات. قال: ويُقال إنَّ أوَّل مَنْ بنى على
قبر السيدة نفيسة عبيد الله بن السري بن الحكم أمير مصر. قال:
مكتوب في اللوح الرخام الذي على باب ضريحها وهو الذي كان
مصفحًا بالحديد بعد البسملة ما نُصِّه: نصرٌ من الله وفتحٌ قريب

لعبد الله ووليه معدّ بن أبي تميم الإمام المنتصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المكرمين، أمر بعمارة هذا الباب السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الأنام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين، عَضَدَ الله به الدين وأمتع بطول بقائه المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته، وشَدَّ عضدَه بولده الأجل الأفضل سيف الأنام جلال الإسلام شرف الأنام ناصر الدين خليل أمير المؤمنين، زاد الله في علائه وأمتع أمير المؤمنين بطول بقائه، في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة، والقبة التي على الضريح جددها الخليفة الحافظ لدين الله في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، وأمر بعمل الرخام الذي بالمحراب كذا في الخطط. وتوفي السريّ بن الحكم سنة أربع ومائتين وهي السنة التي مات فيها الشافعي وكان الخليفة إذ ذاك المأمون.

فصل في ذكر مناقب السيد حسن الأنور والد السيدة نفيسة وأخيه السيد محمد الأنور والدهما السيد زيد الأبلج بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب

قال صاحب كتاب مرشد الزوار إلى قبور الأبرار: قدم الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب مصر ومعه ابنته نفيسة، وكان إماماً عظيماً عالماً من كبار أهل البيت معدود من التابعين، ولي المدينة من قبل عبد الله بن أبي جعفر المنصور بن أبي عامر العباسي الخليفة، وكان مجاب الدعوة وكان يسمى شيخ الشيوخ، ومُدح بقصائد كثيرة لكرمه وحلمه، وهو ممن انتهت إليه الرئاسة في زمنه من بني الحسن، ولما ولي الحسن والد السيدة نفيسة المدينة كان بها رجل فقير يقال له ابن أبي ذئب، فقرَّبَه الحسن وأحسن إليه وكثر مال الرجل ورأسه وقربَه إلى المنصور، فلما عظم عند المنصور شرع يتكلم في حق الحسن وينم عليه، حتى إنه قال للمنصور عنه أنه يريد الخلافة، فأحضره المنصور وسلب نعمته، ثم بعد قليل ظهر للمنصور كذب القائل فردَّ على الحسن أمواله وأنعم عليه إنعاماً بليغاً، وأرسله إلى المدينة على عادة، فلما قدم المدينة أرسل إلى ابن أبي ذئب هدية عظيمة وأمدَّه بمال جزيل ولم يعاتبه.

وفي الخطط: أمه أم ولد، توفي أبوه زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهو غلام، وترك عليه ديناً أربعة آلاف دينار، فحلف السيد حسن ألا يُظَلَّ رأسه سقْفٌ إلا سقْفُ مسجد رسول الله أو بيت رجلٍ

يُكلمه في حاجة حتى يقضي دين أبيه فوفاه. ومن كرمه أنه أتى بشاب شارب متأدب وهو عامل على المدينة فقال: يا ابن رسول الله لا أعود وقد قال رسول الله: «أقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم» وأنا ابن أبي أمانة بن سهل بن حنيف وقد كان أبي مع أبيك كما علمت، فقال: صدقت هل أنت عائد، قال: لا والله، فأقاله وأمر له بخمسين ديناراً، وقال: تزوج بها وعُدْ إليّ، فتاب الشاب فكان الحسن يُحسن إليه بعد. وكان الحسن والد السيدة نفيسة مجاب الدعوة؛ يُقال مرّت به امرأة وهو في الأبطح ومعها ولدها فاخطفه عقاب، فسألت الحسن أن يدعو الله لها برده فرفع يده إلى السماء ودعا ربّه، فإذا بالعقاب قد ألقى الصغير من غير أن يُضيره بشيء فأخذته أمه اهـ. وللسيد حسن رواية في سنن النسائي، كذا في حسن المحاضرة.

حكى أنه دخل بعض الشعراء على الحسن الأنور بن زيد الأبلج صاحب الترجمة فأنشده:

(اللهُ فردٌ وابنُ زيدٍ فرد)

فقال: بفيك الأثلب ألا قلت: اللهُ فردٌ وابنُ زيدٍ عبد! ونزل عن سريره وألصق خده بالأرض.

وخلف السيد حسن الأنور من الأولاد تسعة ذكور، هم: القاسم ومحمد وعليّ وإبراهيم وزيد وعبيد الله ويحيى وإسماعيل وإسحاق، ومن البنات ثنتين: أم كلثوم ونفيسة، وأمهم أم سلمة واسمها زينب بنت الحسن عمه ابن الحسن بن علي بن أبي طالب. وأما نفيسة فأُمها أم ولد كما تقدم، وتزوج أم كلثوم: عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس ؓ كذا في الخطط.

حكى الحافظ أبو عبد الله بن برعرش النسابة في كتابه تحفة الأشراف أن الإمام زيداً الأبلج والد السيد حسن الأنور كان يأخذ بيد ولده الحسن ويدخل إلى قبر النبي ويقول: يا سيدي يا رسول الله هذا ولدي الحسن أنا عنه راضٍ، ثم يرجع وينصرف فلما كان في بعض الليالي نام فرأى المصطفى وهو يقول له: «يا زيد إني راضٍ عن ولدك الحسن برضاك عنه، والحق سبحانه وتعالى راضٍ عنه برضاي»، فلما أنشأ الحسن وجاء بالسيدة نفيسة إلى المدينة كان يأخذ بيدها ويدخل بها إلى القبر الشريف ويقول: يا رسول الله إني راضٍ عن بنتي نفيسة، ويرجع فما زال يفعل حتى رأى النبي في المنام وهو يقول: «يا حسن أنا راضٍ عن ابتك نفيسة برضاك عنها، والحق سبحانه وتعالى راضٍ عنها برضاي عنها». قال الشعراني في المنن: وأخبرني يعني شيخه الخواص أن الإمام الحسن والد السيدة نفيسة في التربة المشهورة قريباً من جامع القراء بين مجرة القلعة وجامع عمرو اهـ.

قلت: وقد وُجد ما يدل على دفن والده السيد زيد الأبلج بهذا المكان أيضاً؛ وهو أنه وُجد حجر عتيق شرقي مقام ولده السيد حسن الأنور بقرب جامع عمرو بعد مجرة القلعة بقليل مرقومٌ عليه نسب زيد، ومن شك في ذلك فليذهب إلى هناك ليعلم ذلك بالمعاينة والمشاهدة، وقدّمنا الكلام عليه في تذييل، وذكرنا فيه أيضاً الحسن المثنى أخاه وذلك عند الكلام على أولاد الحسن السبط في الباب الثاني فارجع إليه إن شئت. إن قلت لِمَ لَمْ تترجم له هاهنا في هذا الباب؟ قلت لأنني لم أعلم بذلك إلا بعد الفراغ من الباب الثاني. وأما السيد محمد الأنور عم السيدة نفيسة فقد قال الشعراني في

المنن: أخبرني يعني شيخه الخواص أن الإمام محمدًا الأنور عم
السيدة نفيسة في المشهد القريب من عطفة جامع طولون مما يلي دار
الخليفة في الزاوية التي ينزل إليها بدرج، انتهى.
قلتُ وهو على يمين الطالب للسيدة سكيّنة، ومكتوب على بابه
في لوح رخام هذا البيت:
مسجدٌ حلّ فيه نجلٌ لزيدٍ ذلك الأنورُ الأجلُّ محمد

فصل في ذكر مناقب السيد زيد بن السيد علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب

أمه أم ولد. في الفصول المهمة: كان زيد بن علي دينًا شجاعًا ناسكًا، وكان من أحسن بني هاشم عبادة وأجلهم سيادة، وكان ملوك بني أمية تكتب إلى صاحب العراق أن يمنع أهل الكوفة من حضور مجلس زيد بن علي فإن له لسانًا أقطع من ظبة السيف، وأحد من شبا الأسنة، وأبلغ من السحر والكهانة، ومن النّفث في العقد. قال له يومًا هشام بن عبد الملك: بلغني أنك تروم الخلافة وأنت لا تصلح لها لأنك ابن أمة، فقال له زيد: قد كان إسماعيل بن إبراهيم ابن أمة، وإسحاق ابن حرة، فأخرج الله من صلب إسماعيل خير ولد آدم! فقال له: قُمْ، فقال: إذا لا تراني إلا حيث تكره، فلما خرج من الدار قال: ما أَحَبَّ أَحَدُ الحَيَاةِ إِلَّا ذَلَّ، فقال له سالم مولى هشام: بالله لا يَسْمَعَنَّ منك هذا الكلام أحدٌ، انتهى. وفي الخطط: وكُنِيته أبو الحسن، وتُنسب إليه الزيدية إحدى طوائف الشيعة، وكان بالمدينة، ورَوَى عن أبيه علي بن الحسين، وعن أبان بن عثمان، وعبيد الله بن أبي رافع، وعروة بن الزبير، ورَوَى عنه محمد بن شهاب الزهري، وزكريا بن أبي زائدة، وخَلَقَ. ورَوَى له أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وذكره ابن حبان في الثقات وقال رأى جماعة من الصحابة. قيل لجعفر الصادق بن محمد إن الرافضة يتبرّعون من عمك زيد، فقال: بَرِئَ اللَّهُ ممن تبرأ من عمي، كان والله أقرأنا لكتاب

اللّٰه وأفقهنا في دين اللّٰه وأوصلنا للرحم، واللّٰه ما ترك فينا لدنيا ولا
 لآخرة مثله. قال أبو إسحاق السبيعي: رأيت زيد بن علي فلم أر في
 أهله مثله ولا أعلم منه ولا أفضل منه، وكان أفصحهم لساناً وأكثرهم
 زهداً وبياناً. قال الشعبي: واللّٰه ما ولد النساء أفضل من زيد بن علي
 ولا أفقه ولا أشجع ولا أزهد. وقال أبو حنيفة: شاهدت زيد بن علي
 كما شاهدت أهله فما رأيت في زمانه أفقه منه ولا أعلم ولا أسرع
 جواباً ولا أبينَ قولاً، لقد كان مُنقطع القرين وكان يُدعى بحليف
 القرآن؛ قرأ مرة قوله تعالى: وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا
 يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ⁽¹⁶⁵⁾، فقال: إن هذا لو عيّد وتهديّد من اللّٰه، ثم قال:
 اللهم لا تجعلنا ممن تولى عنك فاستبدلت به بدلاً، انتهى. وكان يُقال
 لزيد: زيد الأرياد. خرج زيد على هشام بن عبد الملك وقد طمحت
 نفسه للخلافة، فحاربه يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقيين من جهة
 هشام، فانهزم أصحاب زيد عنه بعد أن خذله أكثرهم، وكان قد بايعه
 ناسٌ من أهل الكوفة وطلبوا منه أن يتبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر
 لينصروه، فقال: كلا بل أتولاهما، فقالوا: إذن نرفضك، فقال: اذهبوا
 فأنتم الرافضة؛ فُسّموا رافضة فليلهم رافضة من حينئذ، وجاءت
 طائفة وقالوا: نحن نتولاهما وتبرأ ممن تبرأ منهما، فقبلهم وقاتلوا
 معه فُسّموا الزيدية كذا في تاريخ ابن عساكر. والعجب ممن يتمذهب
 بمذهب زيد ويبرأ من الشيخين ويكرههما ويكره من يذكرهما بخير،
 بل ربما سبّهما! ثم إن زيدا أصيب بسهم في جبهته اليسرى ثبت في
 دماغه، فأنزلوه في دار وأتوه بطبيب فانتزع النصل، فضج زيد ومات

(165) سورة محمد 38.

لليلتين من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة، وكان عمره إذ ذاك اثنتين وأربعين سنة، ولما مات اختلف أصحابه في أمره، فقال بعضهم: نظر حه في الماء، وقال بعضهم: بل نحز رأسه ونلقيه في القتلى، فقال ابنه يحيى: واللّه لا يأكل لحم أبي الكلاب، وقال بعضهم: ندفنه في الحفرة التي يؤخذ منها الطين ونجعل عليه الماء، ففعلوا وأجروا عليه الماء، وكان معهم مولى سندي فدلّ عليه، وقيل رآهم فدلّ عليه يوسف بن عمر والي العراق لما تفرق أصحاب زيد، فأخرجوه وقطع رأسه وبعث به إلى هشام بن عبد الملك، فدفع لمن وصل به عشرة آلاف درهم، ونصبه على باب دمشق ثم أرسله إلى المدينة وسار منها إلى مصر.

وأما جسده فإن يوسف بن عمر صلبه بالكناسة وأقام الحرس عليه، فمكث زيد مصلوباً أكثر من سنتين حتى مات هشام وولي الوليد من بعده، فبعث إلى يوسف بن عمر أن أنزل زيداً وأحرقه بالنار، فأنزله وأحرقه وذرى رماده في الريح، ولما صُلب زيد استرخى بطنه على عورته حتى لا يرى من سوائه شيء، خطط. وفي تاريخ أبي القاسم بن عساكر أن العنكبوت نسجت على عورة زيد بن علي بن الحسين لما صلب عرياناً في سنة إحدى وعشرين ومائة، وأقام مصلوباً أربع سنين، وكانوا وجّهوه لغير القبلة فدارت خشبته إلى القبلة، ثم أحرقوا خشبته وجسده اهـ.

قال عبد الله بن حسين بن علي بن الحسين بن علي: سمعت أبي يقول: «اللهم إن هشاماً رضي بصلب زيد فاسلبه ملكه، وإن يوسف بن عمر أحرق زيداً اللهم فسلط عليه من لا يرحمه، وأحرق

هشامًا في حياته إِنْ شَتَّ وَإِلَّا فَأَحْرَقَهُ بعد موته»، قال: فرأيت والله هشامًا مُحْرَقًا لما أخذ بنو العباس دمشق، ورأيت يوسف بن عمر بدمشق مقطّعًا، على كل باب من أبواب دمشق عضوٌ منه، فقلت: يا أبتاه وافقْتُ دعوتُك ليلةَ القدر. وبعد قتل زيد انفَضَّ مُلْكُ بني أمية وتلاشَى ببني العباس كذا في الخطط، وفي الجمل على الهمزية عند الكلام على قوله:

رُبَّ يومٍ بكر بلاء مُسيءٍ خَفَّفَتْ بَعْضَ رُزْئِهِ الزُّوراءُ

ما نصه: الزُّوراء هي ناحية ببغداد؛ والمراد ما وقع فيها من خلفائها بني العباس الذين هم من جملة آل البيت، حيث أخذوا ببعض ثأر بني عمهم الحسين وغيره، فخرجوا على بني أمية فزَعَوْا الخلافة منهم وقتلوهم شر قتلة، وخصوصًا السفاح منهم الذي أخرج بني أمية من القبور وحرَقهم وذراهم في الهواء، وهو أول خلفاء بني العباس وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

فلما ولي الخلافة بعد قطيعة بني أمية أَمَرَ بهشام بن عبد الملك فنبشوا قبره فَوُجِدَ بحاله؛ لأنه كان طُلِي بالعنبر لثلا يتغير، فأخرجوه من قبره وجَلَدوه حتى تناثر لحمه، وحرَّقوه بالنار وفعلوا به كما فعل يزيد جزاء وفاقًا، انتهى.

قال المقرئ في الخطط عند الكلام على المشاهد التي يتبرك بها بمصر: هذا المشهد الذي بين الجامع الطولوني ومدينة مصر تسميه العامة مشهد زين العابدين وهو خطأ؛ وإنما هو مشهد رأس زيد بن علي زين العابدين بن الحسين، وكان يُعرَف قديمًا بمسجد محرس الخصي، قال القضاعي: مسجد محرس الخصي بُني على

رأس زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حين أنفذه هشام بن عبد الملك إلى مصر ونصبه على المنبر بالجامع فسرقة أهل مصر ودفنوه في هذا الموضع.

وذكر ابن عبد الظاهر أن الأفضل ابن أمير الجيوش لما بلغته حكاية رأس زيد أمر بكشف المسجد وكان وسط الأكوام ولم يَبَقَ من معاملته إلا محراب فوجد هذا العضو الشريف، قال محمد بن الصيرفي حدثني الشريف فخر الدين أبو الفتوح خطيب مصر وكان من جملة مَنْ حضر الكشف، قال: لما خرج هذا العضو رأيته وهو هامة وافرة وفي الجبهة أثر في سعة الدرهم، فُضْمَخَ وعُطِرَ وحُمِلَ إلى داره حتى عمر هذا المشهد، وكان وجدانه يوم الأحد تاسع عشر ربيع الأول سنة خمس وعشرين وخمسائة.

وكان الوصول به في يوم الأحد ووجدانه يوم الأحد. قال المقرئ: ومشهده باقٍ إلى الآن بين كيما مدينة مصر يتبرك به الناس ويقصدونه لا سيما في يوم عاشوراء، قال بعضهم: والدعاء عنده مستجاب والأنوار تُرى عليه.

(تنبيه) ما ذكره المقرئ من أن تسمية هذا المشهد بمشهد زين العابدين خطأ يشهد له اتفاقهم على دفن زين العابدين بالبقيع، وقد خالفهم الشعرا في مننه، وعبارته: وأخبرني يعني الخواص أن رأس زين العابدين ورأس زيد بن الحسين في القبة التي بين الأتال قريباً من مجرة القلعة. اهـ.

وفيه أن زين العابدين لم يُقتل ولم يُقطع رأسه، ولم أرَ مَنْ عدَّ في أولاد الحسين زيّداً، من أصحاب المواد التي بيدي، ثم رأيت الشيخ

الأكبر صدّر به أولاد الحسين في محاضراته، ولم أعثر على وفاته،
وكان سييويه يحتج بشعر السيد زيد⁽¹⁶⁶⁾، وكان نقش خاتمه: اصبر
تؤجر اصدق تنجح.

(166) ومن شعره عليه السلام:

وَمَنْ فَضَّلَ الْأَقْوَامَ يَوْمًا بِرَأْيِهِ	فَإِنْ عَلِيًّا فَضَّلْتَهُ الْمَنَاقِبُ
وَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ وَالْحَقُّ قَوْلُهُ	وَإِنْ رَغِمَتْ مِنْهُ الْأَنْفُ الْكُؤَادُ
بَأَنْكَ مَنِ يَا عَلِيَّ مَعَالِنَا	كِهَارُونَ مِنْ مُوسَى أَخِّي وَصَاحِبُ
دَعَاهِ بَبْدَرٍ فَاسْتَجَابَ لِأَمْرِهِ	فَبَادَرَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ يُضَارِبُ
أَهْ مِنْ خَطِّ مُؤَلِّفِ نَوْرِ الْأَبْصَارِ.	

فصل ومن أهل البيت السيد إبراهيم بن السيد زيد

قال الشعراني في المنن: أخبرني يعني شيخه الخوَّاص، أن رأس السيد إبراهيم بن الإمام زيد في المسجد الخارج بناحية المطرية مما يلي الخانقاه، وهو الذي قاتل معه الإمام مالك واختفى من أجله كذا وكذا سنة. اهـ.

قال بعضهم: وهذا خلاف ما عليه النَّسَّابون فإنهم لم يذكروا في أولاد زيد بن علي زين العابدين، ولا في أولاد زيد بن الحسن من اسمه إبراهيم، فحيثُ لا يظهر أن زيد بن علي زين العابدين أبو إبراهيم المذكور، ولا زيد بن الحسين السبط أيضًا، وذكروا أن الذي قاتل معه مالك أي أفتى الناس بالخروج معه وبايعه هو محمد المُلقَّب بالمهدي بن عبد الله المحض أخو محمد المهدي المذكور، وكان مَرَضِيَّ السيرة من كبار العلماء.

رُوي أن الإمام أبا حنيفة بايعه وأفتى الناس بالخروج معه ومع أخيه محمد، قال أبو الحسن المعمرى: قُتل إبراهيم في ذي الحجة سنة خمس وأربعين ومائة، وهو ابن ثمان وأربعين سنة، وحُمِل ابن أبي الكرام رأسه الشريف إلى مصر. انتهى.

قال القضاعي: مسجد تبرُّني على رأس إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أنفذه المنصور فسرَّقه أهل مصر ودفنوه هناك، وقال الكندي في كتاب الأمراء: ثم قَدِمْتُ الخطباءُ إلى مصر برأس إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن

بن علي بن أبي طالب في ذي الحجة سنة خمس وأربعين ومائة؛
لِيُنْصَبَوه في المسجد الجامع، وقامت الخطباء فذكروا أمره. اهـ.

قال المقرئ: هذا المسجد خارج القاهرة مما يلي الخندق،
عُرف قديمًا بالبئر والجميزة، وعُرف بمسجد تبر، وتسميه العامة
مسجد التبن وهو خطأ، وموضعه قريب من المطرية، وتبر هذا أحد
الأمراء في أيام كافور الإخشيدي، ولما قدم جوهر القائد من المغرب
بالعساكر ثار تبر هذا في جماعة من الكافورية وحاربه، فانهزم بمن
معه إلى أسفل الأرض، فبعث جوهر يستعطفه فلم يُجب وأقام على
الخلاف، فسير إليه عسكريًا وحاربه بناحية صهرجت، فانكسر وقُبض
عليه وأدخل إلى القاهرة على فيل، فسُجن إلى صفر سنة ستين
وثلاثمائة فاشتدت المطالبة عليه، وضرب بالسَّياط وقُبضت أمواله،
وجلس عدة من أصحابه في القيود إلى ربيع الآخر منها، فأُطلق وأقام
أيامًا مريضًا ومات، فسُلخ بعد موته وصُلب، قال ابن عبد الظاهر:
إنه حُشي جلده تبنًا وصُلب، فربما سَمَّت العامة مسجده بذلك لما
ذكرنا، وقبره بالمسجد المذكور. اهـ.

قال بعض المؤرخين: كان جوهر القائد المذكور عبدًا صقليًا
رافضًا شيعيًا، ومن آثاره المحل الأنور الجامع الأزهر.

فصل في ذكر مناقب حسين أبي علي المشهور بأبي العلاء الحسيني

قال الشعراني: في الطبقات كان الشيخ حسين أبو علي من كُمل العارفين وأصحاب الدوائر الكبرى، وكان كثير التطورات؛ تدخل عليه بعض الأوقات تجده جندياً، ثم تدخل فتجده سبغاً، ثم تدخل عليه فتجده فيلاً، ثم تدخل عليه فتجده صبيّاً، ومكث نحو أربعين سنة في خلوة مسدود بابها، ليس لها غير طاقة يدخل منها الهواء، وكان يقبض من الأرض ويناول الناس الذهب والفضة، وكان مَنْ لا يعرف أحوال الفقراء يقول هذا كيماوي سيمائي، ولمّا شرع الخواجه ابن البرلسي في بناء زاويته قال أعداؤه: إن هذا المصروف العظيم إنما هو من كيماياء الشيخ حسين، فبرطلوا عليه بعض العياق أن يقتلوه، فدخلوا على الشيخ فقطعوه بالسيوف وأخذوه في تليس ورموه على الكوم، وأخذوا على قتله ألف دينار، ثم أصبحوا فوجدوا الشيخ حسيناً جالساً، فقال لهم: غرّكم القمر، وكانت النُّموس تتبعه حيثما مشى في شوارع وغيرها، فسموا أصحابه بالنُّموسية، وكان بريئاً من جميع ما فعله أصحابه من الشطح الذي ضربت به رقابهم في الشريعة، وكان الشيخ عبيد أحد أصحابه الذي هو مدفون عنده الآن مثقوب اللسان؛ لكثرة ما كان ينطق به من الكلمات التي لا تأويل لها، وأخبرني بعض الثقات أنه كان مع الشيخ عبيد في مركب فوحت فلم يستطع أحد أن يزحزحها، فقال الشيخ عبيد: اربطوها في بيضي

بحبل وأنا أنزل وأسحبها، ففعلوا فسحبها ببيضه حتى تخلصت من الوحل إلى البحر. مات سنة نيف وتسعين وثمانمائة ودُفن بزاويته بساحل النيل بمصر المحروسة ببولاق. اهـ.

(ومن أهل البيت) السيدة أم كلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين، وقبرها بمقابر قریش بمصر بجوار الخندق، وهي أم جعفر بن موسى بن إسماعيل بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، كانت من الزاهدات، كذا في الخطط. وفي طبقات المناوي في ترجمة جعفر الصادق: وله أي لجعفر ولد اسمه القاسم وللقاسم بنت اسمها أم كلثوم وهما المدفونان بالقرافة بقرب الليث بن سعد على يسار الداخل من الدرب المتوصل منه إليه. قال بعضهم في رد هذا: ذكر بعض النسايب أنه ليس في أولاد جعفر من اسمه القاسم، وأن أم كلثوم بنت جعفر لصلبه، انتهى.

(ومن أهل البيت) السيدة بنت محمد بن جعفر الصادق، كانت شديدة الغيرة، صوامة قوامة، لا تلتفت إلى أهل الدنيا ولا تقبل ما يعطونه لها، ومشهدا معروف بإجابة الدعاء، وإذا دخل الزائر إليه وجد أنسا عظيما، وقبرها بالمشهد المجاور لقبر عمرو بن العاص غربي قبر الإمام الشافعي رحمته الله، روي أن أهل مصر جاءوا إلى هذا المشهد يستسقون وقد توقف النيل فجرى بإذن الله تعالى، توفيت سنة ثلاثمائة وأربعين. كذا في الكواكب السيارة.

(ومن أهل البيت) بهذا المشهد السيدة الطاهرة فاطمة بنت القاسم بن محمد المأمون بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن

علي زين العابدين عليه السلام، وكانت تُعرف بالعَيْنَاء؛ سُميت بذلك لحُسن عينيها، حكى خادمها أنه كان يقرأ سورة الكهف فغلط في موضع فردت عليه من داخل القبر، ورُوي أنه كان بعينها شَبَّةً بالسيدة فاطمة الزهراء. كذا في الكواكب السيارة.

(ومن أهل البيت) السيدة آمنة بنت موسى الكاظم، حكى الوزاري خادمها أنه كان يسمع في قبرها قراءة القرآن بالليل. رُوي أن رجلاً جاء بعشرين رطلاً من الزيت، وعاهد الخادم أن يُوقدها في ليلة واحدة، فجعله الخادم في القناديل فلم يُوقد منه شيء، فتعجب الخادم من ذلك فرآها في المنام فقالت له: يا فقيه رُدَّ عليه زيتَه واسأله من أين اكتسبه فإننا لا نقبل إلا الطيب، فلما أصبح جاء إلى الرجل الذي أعطاه الزيت وقال له: خذ زيتك، فقال لم آخذه؟ فقال: إنه لم يُوقد منه شيء ورأيتها في المنام فقالت لا نقبل إلا الطيب، فقال: صدقت السيدة إنني رجل مكاس، فقال: قف فخذْه، فأخذه. وقبرها بالقرافة أيضًا كذا في الكواكب السيارة.

(ومن أهل البيت) السيد يحيى الشبيه بن القاسم الطيب بن محمد المأمون بن جعفر الصادق عليه السلام، قال القرشي في تاريخه: كان شبيهًا برسول الله صلى الله عليه وآله، قال ابن النحوي: كان بين كتفيه شامة بها شبه بخاتم النبوة، وكان إذا دخل الحمام ونظر الناس الشامة التي بين كتفيه يكثرُون الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله، ولما سمع أهل مصر بقدومه خرجوا إلى ظاهر مصر يتلقونه، وكان ابن طولون أقدمه من الحجاز وكان يوم قدومه يومًا مشهودًا، وقبره بالقرافة، وبالمشهد قبر أخيه عبد الله، وقبره وسط القبة وعنده لوح رخام فيه نسبه، وكان يتلو

أخاه في العبادة والطهارة والفقه والصلاح وهو محل عظيم معروف بإجابة الدعاء، وبالقبّة الدريد زوجة القاسم الطيب إلى جانب قبر والدها وكانت من الزاهدات العابدات وهي شريفة عليها السلام. كذا في الكواكب السيارة.

(ومن أهل البيت) السيد يحيى بن الحسن الأنور أخو السيدة نفيسة، وليس بمصر من إخوانها سواه ولا عقب له. (حكي) عنه أنه كان يُرى على قبره نور، قال أبو المذكر: دخلت إلى قبر يحيى ولم أحسن الأدب فسمعت من ورائي قائلاً يقول قل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ⁽¹⁶⁷⁾. اهـ. من الكواكب السيارة. قال فيه: وعند الخروج من قبر السيد يحيى تجد حوشاً على يسار السالك مقابلاً لضريح به جماعة من الأشراف، قيل إن به البنات الأبكار.

⁽¹⁶⁷⁾ سورة الأحزاب 33.

فصل ومن أهل البيت

نسل طباطبا إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليه السلام، نقل صاحب درر الأصداف ما نصه: لا خلاف عند علماء النسب في صحة هذا النسب إلا أن طباطبا لم يمت بمصر ولا يُعرف له بها وفاة، وُسْمِي طباطبا -بفتح الطاءين كما ذكره في مختصر التواريخ- لرتة⁽¹⁶⁸⁾ كانت في لسانه، قال أبو بكر الخطيب: لما قدم بغداد في خلافة الرشيد سمع به فبعث إليه، فظن أن أحداً قد وشى به فدخل على الرشيد فقام إليه وأجلسه إلى جانبه وقال له: ما حاجتك يا أبا إسحاق، فقال له: ظلمني صاحب الطباء؛ يعني صاحب القباء وكان يقلب القاف طاءً. وفي تاريخ ابن خلكان: وإنما قيل له ذلك؛ لأنه كان يلثغ فيجعل القاف طاءً، طلب يوماً ثيابه فقال له غلامه أجيء بدراعة، فقال: لا طباطبا؛ يريد قباقا، فبقي له لقباً واشتهر به. انتهى.

وللسيد طباطبا من الأولاد لصلبه: القاسم الرسي؛ والرس قرية من قرى المدينة سكن بها فنسب إليها، وفي تاريخ ابن خلكان والرسي بفتح الراء والسين المهملة المشددة، قال ابن السمعاني: هذه النسبة إلى بطن من بطون السادة العلوية، انتهى. ولما وصل القاسم إلى مصر جلس بالجامع العتيق واجتمع عليه الناس لسماع الحديث وجمعوا له مالاً، فأبى أن يقبله فازداد أهل مصر فيه محبة،

(168) الرُّتَّة: العُجْمَة في اللسان، وهي اللَّثَغَةُ والترُّدُّ في النطق.

وكانت له دعوة مستجابة. قال العبدلي: كان القاسم أبيض، مقرون الحاجبين، كثير الخضوع، لا يتكلم إلا بالقرآن والحديث، وكان يقول: حدثني أبي عن جدي عن أبيه الحسن السبط عن علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان يقول: «مَنْ أراد البقاء ولا بقاء فليتحف الرداء، ولا يكثر الغذاء، وليقل من مُجامعة النساء»، وقال: «خير نسائكم الطيبة الرائحة»، كان القاسم أكثر أهل زمانه علمًا، قيل إنه عاد إلى الحجاز ومات بالرَّس سنة خمس وعشرين وثلاثمائة.

قال في الكواكب السيارة: وهذا المشهد قبرٌ مكتوب عليه إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم القمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام. وقال في موضع آخر: قيل إن بالتربة من أبناء طباطبا لصلبه: الحسن الأكبر والحسن الأصغر وعبد الله وأحمد والبيغاء الكبير والبيغاء الصغير والأزرق الكبير والأزرق الصغير، قال ومن أولاد الحسن الكبير بهذه التربة: علي بن الحسين بن طباطبا.

قيل بلغ ماله بعد موته ثلاثة قناطير من الذهب ونصفاً وسبع قناطير من الفضة ومائة عبد ومائة أمة، وكان قد أوصى بثُلث ماله صدقة، وتوفي سنة خمس وخمسين وثلاثمائة.

قال: وبهذا المشهد الإمام أحمد بن علي بن الحسن بن طباطبا، وكان جليل القدر وله كلام رائع، قيل إنه تصدق بمال أبيه كله حتى كان لا يجد ما ينفق وكان يأكل في اليوم والليلة مرة واحدة، فلما بلغ ذلك ابن طولون وقَّع له بقرية من قرى مصر، وكان يشفع عنده ويمشي في قضاء حوائج الناس، قال ابن زولاق: لم يكن بمصر

فيمن نزل من الأشراف أكثر شفقة ورأفة وسعيًا في حوائج الناس من محمد بن علي بن الحسن بن طباطبا.

قال صاحب الكواكب وبهذا المشهد الإمام عبد الله بن علي بن الحسن، قال ابن النحوي: كان عبد الله بن طباطبا شريفًا جميلًا عفيفًا فصيحًا، وكان له رباع وضياع ودائرة متسعة، وكان كثير الافتقار للفقراء والأرامل والمنقطعين، ذكر ابن زولاق قال: حدثني عبد الله بن أحمد بن طباطبا قال: رأيت كأن طاقة في السماء صعدتُ إليها ومشيتُ فيها فرأيتُ سريرًا وعليه امرأة فعلمت أنها خديجة عليها السلام فسلمت عليها فقالت من أنت؟ فقلت: عبد الله بن أحمد بن طباطبا، فصاحت: يا فاطمة قد جاء من أولادك ولد، فخرجتُ من بيتِ علي يسار خديجة فقمْتُ إليها فقالت: مرحبا بالولد الصالح، ثم أقبل اثنان أعلم أنهما الحسن والحسين فقَبَلْتُ يد أحدهما فقال: هذا عمك وأشار إلى الحسين، ثم خرج رجل عليه سكينه ووقار فقال لي أحدهما: هذا جدك علي بن أبي طالب، ثم رأيت رجلاً أقبل جليلاً جميلاً، فانكببت على رجله فمَنَعَنِي وقال: لا تفعل هذا يا عبد الله مرحبا بالولد الصالح، وجلسوا يتحدثون فما أُنْسِيتُ طيب حديثهم إلى الآن، فأخذ بيدي رسول الله فأُنزِلَنِي من الطاقة يده في يدي وهو يقول لي: بلغت الأرض، فأقول: لا إلى أن بلغ إبهامُ رجلي الأرض، فلما وصلتُ رجلي انتبهتُ كالمصروع لا أعقل شيئاً، فجاءوني بالمُعَوِّذِينَ وعلَّقُوا عَلَيَّ التعاويذَ، فبلغ الحديث إلى أبي عبد الله الزيدي فجاءني وسألني عن قصتي، فحدَّثْتُه فقال: ليتني كنت معكم.

قال ابن النحوي في كتابه الرد على أولي الرفض: وكان في دهليز

داره رجلان يكسران اللوز والفستق لعمل الحلوى للفقراء، وكان يرسل إلى كافور في كل يوم رغيفين وجامين منها، فقال بعض المصريين لكافور: هذا يُنزل من قدرك، فقال له: يا شريف لا تُرسل إليَّ شيئاً بعد هذا اليوم، فتركه فوجده كافور فقال: أرسل إليَّ ما كنت ترسله، فقال: إني ما كنتُ أرسل إليك ما كنتُ أرسله استخفافاً بك وإنما لي والدة تعجنه بيدها وتقرأ عليه القرآن، قال: صدقت، فكان لا يأكل بعد ذلك إلا منه. قال العبد لي النسابة في كتابه: وفي سنة نيف وأربعين نام رجل فرأى في منامه رسول الله فقال: يا رسول الله إني مشتاق إلى زيارتك وليس لي مال يوصلني إليك، فقال له رسول الله: زر عبد الله بن أحمد بن طباطبا تكن كمن زارني. توفي عبد الله بن أحمد بمصر سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة.

وفي طبقات الشعرا: ودُفن بالقرب من الإمام الليث، انتهى. وفي الكواكب السيارة ما نصه: ومعه في القبة والده أحمد؛ أي والد عبد الله، قال: وكان أحمد هذا عظيمًا جليلَ القدرِ يسأله السائل فيعطيه أثوابه، قال أبو جعفر: كان أحمد بن علي بن طباطبا شاعرًا فصيحًا فمن شعره:

لقد غرَّت الدنيا أناسًا فأصبحوا سُكَّارَى بلا عقل وما شربوا خمرا
وقد خدعتهم من زخارفها بما غَدَّوا منه في كربٍ وقد كابدوا ضرا
وله شعر كثير في دواوين مشهورة.

(نادرة) جاء إلى أحمد هذا رجل يطلب منه مالاً، فقال له: لم يكن عندي شيء ولكن خُذني فبُعني، فأخذه وأتى به للوزير المارداني ليشتريه، فقال الوزير: وأنَّى أجِدُ مالاً يكون ثمنك، ثم أمر للرجل

بألف دينار، وكان أحمد بن علي هذا يقول: «أشد الخجلة خجلة السؤال، وأشد الندم الندم على المعاصي».

وفي تاريخ ابن خلكان ومن أولاد طباطبا: أبو القاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، الشريف الحسيني الرّسيّ المصري، كان نقيب الطالبين بمصر وكان من أكابر رؤوسها، وله شعر مليح في الزهد والغزل وغير ذلك، توفي سنة خمس وأربعين وثلاثمائة، ليلة الثلاثاء لخمس بقين من شعبان، ودفن بمقبرة بمصر خلف المصلى الجديد بمصر، وعمره إذ ذاك كان أربعاً وستين سنة. انتهى.

وفي الكواكب السيارة قال: وفي هذا المشهد عند باب القبة قبر السيدة خديجة بنت محمد بن إسماعيل بن القاسم الرّسيّ بن إبراهيم طباطبا، كانت زاهدة عابدة، وهي زوجة عبد الله بن أحمد المتقدم ذكره. قال بعلها عبد الله: كانت تسابقني إلى صلاة الليل وما رأيتهما ضحكت قط، تُوفيت سنة عشرين وثلاثمائة وصلى عليها زوجها عبد الله وهي مدفونة في القبة تحت رجله. (وحكت) خديجة هذه عن بعلها حكاية عجيبة قالت: جئت مع بعلي عبد الله إلى دار له على جانب النيل، وكان بها أثاث له وقماش، فوجدت رجلاً فتح الباب وضمّ جميع ما كان في البيت وحمله على رأسه، وكنت في الدار فأردت أن أتكلم فأشار إليّ بالسكوت، فجعل يزاحمني في السلالم والسيد عبد الله بعلها يقيه من الحائط حتى لا يصاب بها، فلما نزل قلت له: هذا متاعنا فلم تدعه يأخذه وينصرف، فقال: وما يدريك أن

يكون ذلك سبباً لتوبته، فما كان إلا قليل حتى جاء رجل ومعه عبيد وحشم فقال له: يا سيدي أريد منك أن أخلو بك، فجاء معه وقال: هل تذكر الذي كنت تقيه من الحائط؟ قال: نعم، قال: يا سيدي أنا هو ولقد بورك لي في متاعك حتى إن جميع ما تراه منه ومعني آلاف، وقد جئتُ إليك بهذه الألف درهم وعبدین وجاريتين، فتبسّم وقال: أنا منذ رأيتك دعوتُ لك بالبركة، واللّه لا أقبل منك شيئاً، ثم جاء إليّ فأخبرني بذلك.

(قال) وفي هذا المشهد عند الحائط الغربي قبر أبي الحسن علي بن الحسن بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن الحسن بن طباطبا، ويعرف بصاحب الحوراء، كان في أول عمره ينام الليل فنام ليلة فرأى الجنة وما فيها من الحور فأعجبته حوراء فقال لها: لمن أنت؟ فقالت: لمن يؤدي ثمني، فقال: وما ثمنك؟ فقالت: ألا ينام الليل، فقال: واللّه لا نمت بعد ذلك، فرآها مرة أخرى وهي تقول: إياك والنوم لئلا ينفسخ العقد. (وحكى) ابن عثمان أن أبا الحسن رأى في النوم جارية نزلت من السماء أضاءت الدنيا لنور وجهها فقال لها: لمن أنت؟ فقالت لمن يعطي ثمني، فقال وما ثمنك؟ قالت: مائة ختمة، فقرأها ولما فرغ منها رآها في المنام فقال: لها قد فعلت ما أمرتني به، فقالت له: يا شريف أنت ليلة غد عندنا، فأصبح وجهه نفسه وأعلمهم بموته فمات من يومه.

قال ابن عثمان: وإلى جانب قبره قبر فرج غلامهم وكان قد توفي قبلهم، وكان إذا اشتد بهم أمر قالوا: اللهم بحرمة فرجٍ فرجٍ عنا، فيُفرج الله عنهم ببركته.

قال: وبهذا المشهد قبر أبي محمد الحسن بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن طباطبا، وكان من الزهَّاد. قال: رأيت رسول الله فقلت: يا رسول الله مَنْ أَقْرَبَ النَّاسِ مِنْ أَهْلِكَ إِلَيْكَ؟ قال: مَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ وَجَعَلَ الْآخِرَةَ نَصَبَ عَيْنَيْهِ وَلَقِيْنِي وَكَتَابَهُ مَطْهَرًا مِنَ الذُّنُوبِ. توفي سنة أربع وخمسين وثلاثمائة. وفي طبقات الشعراني أن صاحب الرؤيا السيد عبد الله من أولاد إبراهيم بن الحسن بن الحسن يعني المتقدم، ولقائل أن يقول لا مانع من وقوعها لهما.

وفي الكواكب قال: ومعهم في القبة أبو القاسم يحيى بن علي بن محمد بن جعفر بن علي بن الحسين بن سيدنا علي عليه السلام، قال: وهذا نسب صحيح. ذكر الشيخ أبو جعفر شيخ السَّابَةِ قال: كان أبو القاسم يحيى هذا من كبار العلويين انتهت إليه الرئاسة في زمنه، انتهى.

وقد جمع هذا المشهد من آل محمد رسول الله جماعة كثيرة، وجمع جماعة من أهل العلم والصلاح، منهم: سهل بن أحمد البرمكي المستوزر للدولة الطولونية، وكان مشهوراً بالخير، كثير البرِّ للفقراء، مُحَبَّباً لآل رسول الله، وقد أنشأ التربة المنسوبة إليه بجانب الأشراف رغبةً فيهم، ولما حضرته الوفاة عاهد أهل بيته أن لا ييَكُوا عليه، وأمر أن يدفن بالتربة المذكورة وأنشد يقول:

إذا ما بكى الباكون حولي تحرقاً وقالوا جميعاً مات سهل بن أحمد فقلت لهم لا تندبوني فإنني مع السَّادَةِ الأطهارِ آلِ محمدٍ قلت ومن نسل طباطبا أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى

بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وفي معاهد التنصيص: كان شاعراً مُفْلِقاً⁽¹⁶⁹⁾ عالماً مُحَقِّقاً، وُلِدَ بِأَصْبَهَانَ وبها مات سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، وله عقب كثير بأصبهان فيهم علماء وأدباء، وكان مشهوراً بالفطنة والذكاء وصفاء القريحة وجودة الذهن، وله من المصنفات: كتاب عيار الشعر، وكتاب تهذيب الطبع، وكتاب العروض ولم يسبق إلى مثله، ومن شعره قصيدة تسعة وثلاثون بيتاً ليس فيها راء ولا كاف أولها:

يا سيِّداً دَأَنْتَ لَهُ السَّادَاتُ وَتَتَابَعَتْ فِي فَعْلِهِ الْحَسَنَاتُ
يقول منها في وصف القصيدة ميزانها عند الخليل معدل: متفاعِلن
متفاعِلن فعلاَت.

ومن شعره يهجو أبا علي الرسيّ ويرميه بالدعوة والبرص:
أَنْتَ أَعْطَيْتَ مِنْ دَلَائِلِ رَسَلِ اللَّهِ أَيَّابَهَا عَلَوْتَ الرُّءُوسَا
جِئْتَ فَرْدًا بِلَا أَبٍ وَيُؤْمِنَا لَكَ بَيَاضٌ فَأَنْتَ عَيْسَى وَمُوسَى

⁽¹⁶⁹⁾ أَفْلَقَ الشَّاعِرُ: أَتَى بِمَا يُغْجِبُ فِي شِعْرِهِ، فَهُوَ مُفْلِقٌ.

فصل: ومن أهل البيت السيدة فاطمة بنت السيد علي الرضا

قال في الكواكب السيارة: وإلى جانب قبر البويطي قبر السيدة فاطمة بنت السيد علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، حُكي عنها مع بشير بن سعيد الجوهري حكاية وذلك أنه أصاب الناس قحطٌ عظيم وكان زوجها مات وخلف مَخْدَعًا لا يُعرف ما فيه، فقالت يومًا للخادمة وقد ضاق صدرها: ليت شعري ما في هذا المخدع، ففتحته فوجدت فيه شيئًا مُلقًى في جانبه، فأخذته فإذا هو كيس فيه عقد قد علاه الصدأ، فقالت للخادمة: امضي به إلى السوق لعل أن يأتينا ولو بقوت اليوم، فخرجت الخادمة فطافت به على باب الصاغة فوجدت رجلًا قائمًا عليه آثار الخير فنظرت إليه فقال: يا أمة الله ما لكِ فقَصَصْتَ عليه القصة، فأخذه منها وغاب قليلًا وجاء إليها وقال لها: تبعينه بمائة دينار، فسكتت الجارية وظننت أنه يهزأ بها فتركها وغاب قليلًا ثم أتى إليها وقال: ما يزيد ثمنه على مائتين وخمسين دينارًا، فقالت الجارية: يا سيدي أنا خادمةُ امرأةٍ شريفة أتَهْزَأُ بها ولها دعوة مجابة، فقال: لا والله ما أنا بهازئ بها ولا أقول إلا حقًا، فقالت الجارية: اقْبِضِ المال وامضْ معي إلى مولاتي، فقبض المال وأتى معها إلى الدار، فدخلت وأعلمت السيدة فاطمة بذلك، فخرجت السيدة فاطمة ووقفت وراء الباب وقالت: أحقُّ ما تقول

هذه الجارية؟ قال: نعم، ثم صبَّ المال في طرف الجارية، فقالت السيدة فاطمة: اجعل هذا المال نصفين لنا النصف ولك النصف، فقال: لا والله لا ينالني منه شيء بل ينالني منك دعوة تكون في عقبي إلى يوم القيامة، فقالت: جعل الله في نسلك الصالحين، فكان من نسله أبو عبد الله الحسيني، وأبو الفضل بن عبد الله بن الحسين بن بشير الجوهري.

وعنهم قال: ثم تمشي خطوات مستقبل القبلة تجد قبر السيد الشريف أبي القاسم الفريد المعروف بصاحب الخيار. حُكي عنه أن إنساناً ورث عن أبيه مالاً كثيراً فأذهب ثم تداين ديناً فذهب منه، فلقيَه صاحب الدين وكتب ورقة اعتقاله، ثم وقف الناس له فانتظروه إلى مُضي ثلاثة أيام، فلما كان في اليوم الثالث قال في نفسه: من أين أعطي هذا الرجل؟ ثم أتى إلى القرافة وزار أكثر قبورها حتى انتهى إلى هذا القبر وكان عليه بناء بالطوب اللبن حاجزاً، فزار الرجل وابتهل إلى الله تعالى ثم أخذه النوم فنام فرأى كأن الشريف صاحب القبر ناوله خياراً وكان في أيام عدمه، فاستيقظ فوجده في حجره، فتعجب من ذلك فبينما هو يتعجب وإذا بالأمير ابن طولون واقف على رأسه، فقال له: مررت من هاهنا مراراً فما رأيتك إلا اليوم، فنهض الرجل قائماً وقصَّ عليه قصته ثم ناوله الخيار، فأخرج الأمير ابن طولون مالاً وقال له اقض بهذا دينك. (قال) وكان ابن طولون ملازماً لزيارة الصالحين مشهوراً بالخير، انتهى.

(ومن المزارات) مشهد سنا وثنا، قال المقرئ في الخطط يقال إنهما من أولاد محمد بن جعفر الصادق، كانا تتلوان القرآن الكريم

فماتت إحداهما فصارت الأخرى تتلو وتُهدي ثواب قراءتها لأختها حتى ماتت.

(تنبيه) قد تقدم في بعض من ذكر من أهل البيت أني لم أُعَيِّن له مزاراً معلوماً؛ وسببه عدم تبين المواد التي بيدي لها، ولكن سألت عن المعظم فوجدته بالقرافة الصغرى، هي التي بها ضريح إمامنا الشافعي والباقي بها أيضاً ولكن درستُ علاماته.

(تتمة في الكلام على القرافة) قال المقرئ في الخطط قال القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي: القرافة هم بنو غرض، وفي نسخة بنو غرض بن سيف بن وائل بن المغافر، وقال أبو عمرو الكندي بنو جحد بن سيف بن وائل بن الجيزي بن شراحيل بن المغافر بن يغفر، وقيل إن قرافة اسم أم عذافر وحجض ابني سيف بن وائل بن الجيزي. فقد صحف القضاعي في قوله غرض بالغين المعجمة والأقرب ما قاله الكندي؛ لأنه أقعد بذلك. وقال ياقوت: والْقَرَاة - بفتح القاف وراء مخففة وألف خفيفة وفاء - مقبرة بمصر مشهورة مُسمَّاة بقبيلة من المغافر يُقال لهم بنو قرافة.

اعلم أن القرافة بمصر اسم لموضعي: القرافة الكبرى حيث الجامع الذي يُقال له جامع الأولياء، والقرافة الصغرى وبها قبر الإمام الشافعي، وكانت في أول الأمر خطتين لقبيلة من اليمن هم من المغافر بن يغفر يُقال لهم بنو قرافة، ثم صارت القرافة الكبرى جبانة وهي حيث مصلى خولان والبقة وما هو حول جامع الأولياء. قاله المقرئ في الخطط، ثم قال: والناس في القديم إنما كانوا يقبرون موتاهم فيما بين مسجد الفتح وسفح المقطم، واتخذوا التراب

الجليلة أيضًا فيما بين مصلى خولان وخط المغافر التي موضعها الآن كيما ن تراب، وتُعرف الآن بالقرافة الكبرى، فلما دُفِنَ الملكُ الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ابنه في سنة ثمان وستمائة بجوار قبر الإمام محمد بن إدريس الشافعي وبُنِي القبة العظيمة على قبر الشافعي وأجرى لها الماء من بركة الكباش بقناطر متصلة منها، نقل الناس الأبنية من القرافة الكبرى إلى ما حول الشافعي، وأنشؤا هناك التراب؛ فعرفت بالقرافة الصغرى، وأخذت عمائرُها في الزيادة، وتلاشى أمر تلك، وأما القطعة التي تلي قلعة الجبل فحدثت بعد السبعمائة من الهجرة، وكان ما بين قبة الإمام الشافعي وباب القرافة ميدانًا تتسابق فيه الأمراء والأجناد، وتجتمع الناس هناك للتفرج على السباق؛ كانت الأمراء تتسابق في جهة والأجناد في جهة منفردين عن الأمراء، وكان الشرط في السباق من تربة الأمير بيدر إلى باب القرافة، ثم أحدث أمراء دولة الناصر محمد بن قلاوون في هذه الجهد التراب فبنى الأمير يلغا التركماني والأمير طقشمر الدمشقي والأمير قوصون وغيرهم من الأمراء وتبعهم الجند وسائر الناس، فبنوا التراب والخوانك والأسواق والطواحين والحمامات حتى صارت العمارة من بركة الجيش إلى باب القرافة، وانقسمت الطرق في القرافة وتعددت بها الشوارع ورغب كثير في سُكْنِها لِعِظَم القصور التي أنشئت بها وسُميت بالتراب، قال موسى بن محمد بن سعيد في كتاب المعرب عن أخبار المغرب: بت ليالي كثيرة بقرافة الفسطاط وهي في شرقيها بها منازل الأعيان بالفسطاط والقاهرة وقبور عليها مبانٍ مُعْتَنَى به وفيها القبة العالية العظيمة المزخرفة التي

فيها قبر الإمام الشافعي⁽¹⁷⁰⁾ وبها مسجد جامع وترب كثيرة عليها أوقاف للقراء ومدرسة كبيرة للشافعية ولا تكاد تخلو من ترب ولا سيما في الليالي المقمرة وهي معظم مجتمعات أهل مصر وأشهر متنزهاتهم وفيها أقول:

إنَّ القِرافَةَ قد حَوَتْ ضِدَّيْنِ دنيا وأخرى فهي نِعَمَ المَنْزَلِ
يَغشى الخَلِيعَ بها السَّماعُ مُواصِلاً وَيَطُوفُ حَوْلَ قُبورها المُتَبَتِّلُ
كَمَ ليلَةٍ بَنّا بِها وَنَدِيْمُنّا لَحْنٌ يَكادُ يَذوبُ مِنْه الجَنْدُلُ
والبَدْرُ قد مَلَأَ البَسيطةَ نَوْرَهُ فَكأنما قد فاضَ مِنْه جَدولُ
وبدا يُضاحِكُ أوجْهاً حاكِيْنَه لَمّا تَكامَلَ وَجْهه المُتَهَلِّلُ

(170) قوله (التي فيها قبر الإمام الشافعي) وهي الصغرى، وبها قبر الإمام الليث بن سعد بن عبد الرحمن، كان مولى قيس بن رفاعة وهو مولى عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهقي، ولد الليث سنة أربع وتسعين من الهجرة في شعبان، نقل ابن خلكان أنه من قلقشندة قرية من قرى مصر، والفهقي نسبة إلى فهم بطن من قريش، قال أخوهم فأبت إلى فهم البيت، واختلفوا هل سمع عن مالك أو سمع مالك عنه، قال ابن خلكان رأيت في بعض المجاميع أن الليث كان حنفي المذهب وأنه ولي قضاء مصر وأن الإمام مالكا أهدى إليه صينية فيها تمر فأعادها مملوءة ذهباً وأنه كان يتخذ لأصحابه الفالودج ويعمل فيها الدنانير فيحصل لكل من أكل كثيراً أكثر من صاحبه، توفي ﷺ يوم الخميس وقيل الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ودفن يوم الجمعة بقرافة مصر الصغرى، قال بعض أصحابه لما دفن الليث بن سعد سمعنا صوتاً وهو يقول:

ذهب الليث فلا ليث لكم ومضى العلم قريباً وقبر، نقل صاحب الكواكب أن ولدًا من عقب الليث ارتحل إلى البلاد الشامية وكان قد أعيل فاجتمع به رجل من أهل الثروة واليسار وقال له أنا ملكك وما تحت يدي ملكك، فقال له ولم ذلك فقال أنا عبد من عبيد أبيك أبقيت وكان معي بعض من المال واتجرت فيه ففتح الفتح عليّ، فقال له قد أعتقتك ووهبتك ما بيدك، قال صاحب الكواكب لم يترجع عندي تفضيل أحدهما على الآخر. نقله صاحب نور الأبصار.

وقال شافع بن علي:

تعجبتُ من أهل القرافة إذ غَدَتْ على وَحْشَةِ الموتى لها قلبُنا يَصْبُو
فألْفَيْتُها مَأوى الأَحَبَّةِ كُلِّهم ومُستوطنُ الأَحبابِ يَصْبُو له القلبُ
وقال الأديب أبو سعيد محمد بن أحمد العميدي:

إذا ما ضاق صدري لم أجِد لي مَقَرَّ عِبَادَةٍ إلا القرافة
لئن لم يَرْحَمْ المَوَلَى اجتِهَادِي وقلة ناصري لم أَلْقَ رافة
رُوي عن أبي طيبة عن أبي بريدة مرسلًا قال أبو القاسم عبد
الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم في كتابه فتوح مصر: حدثنا عبد
الله بن صالح حدثنا الليث بن سعد قال: سأل المقوقس عمرو بن
العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار، فعجب عمرو من
ذلك وقال أكتبُ في ذلك إلى أمير المؤمنين، فكتب بذلك إلى عمر
فكتب إليه عمر: سلّه لم أعطاك به ما أعطاك وهي لا تُزْرَع ولا يُسْتَنْبَت
بها ماء ولا يُتَنَفَّع بها؟ فسأله فقال: إنّا لنجد صفتها في الكتب أن فيها
غراس الجنة، فكتب بذلك إلى عمر فكتب إليه عمر: إنّا لا نعلم
غراس الجنة إلا المؤمنين فاقبر فيها مَنْ مات قبلك من المسلمين
ولا تبعه بشيء، فكان أول مَنْ دُفِن فيها رجل من المغافر يُقال له عامر
ف قيل عمرت، فقال المقوقس: لعمر و ما على هذا عاهدتُنا، ففقط لهم
الحد الذي بين المقبرة وبينهم. وعن أبي لهيعة أن المقوقس قال
لعمر و: إنّا لنجد في كتابنا ما بين هذا الجبل وحيث نزلتم ينبت فيه
شجر الجنة، فكتب بقوله إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: صدق
فاجعلها مقبرة للمسلمين، فقبر فيها ممن عرف من أصحاب رسول
الله خمسة نفر: عمرو بن العاص السهمي، وعبد الله بن حذافة

السهمي، وعبد الله بن جُزء الزبيدي، وأبو بصيرة الغفاري، وعقبة بن عامر الجهني، ويقال وسلمة بن مخلد الأنصاري. وفي شرح الشريشي على المقامات الحريية: أن السيدة آسية امرأة فرعون مدفونة بالقرافة الكبرى. وروى أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس في تاريخ مصر من حديث حرملة بن عمران قال: حدثني عمير بن أبي مدرك الخولاني عن سفيان بن وهب الخولاني قال: بينا نحن نسير مع عمرو بن العاص في سفح هذا الجبل ومعنا المقوقس فقال له عمرو: يا مقوقس ما بال جبلكم هذا أقرع ليس عليه نبات ولا شجر على نحو بلاد الشام؟ فقال: لا أدري ولكن الله أغنى أهله بهذا النيل عن ذلك، ولكنه نجد تحته ما هو خير من ذلك، قال: وما هو؟ قال: ليدفنن تحته قوم يبعثهم الله يوم القيامة لا حساب عليهم، قال عمرو: اللهم اجعلني منهم، قال حرملة بن عمران فرأيت قبر عمرو بن العاص وقبر أبي بصيرة وقبر عقبة بن عامر فيه. قال المقرزي: والإجماع على أنه ليس في الدنيا مقبرة أعجب ولا أبهى ولا أعظم ولا أنظف من أبنتها وقبابها وحجرها، ولا أعجب تربة منها، كأنها الكافور والزعفران، مقدسة في جميع الكتب، وحين تُشرف عليها تراها كأنها مدينة بيضاء، والمقطم عالٍ عليها كأنه حائط من ورائها. يقول مؤلفه السيد مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي: كان الفراغ منه يوم الخميس المبارك السادس والعشرين من شهر الله الحرام رجب الذي هو من شهور سنة تسعين بعد الألف والمائتين من هجرة سيد الكونين والثقلين سيدنا محمد.

فهرس الكتاب

5	مقدمة
6	ترجمة المؤلف
7	مقدمة المؤلف
9	الباب الأول في ذكر سيرته ﷺ
11	فصل في ذكر نسبه ﷺ ومولده ومرضعاته وما يتصل بذلك
18	فصل تعاهد قريش على قتله ﷺ وموت عمه أبي طالب، وذهابه إلى بني ثقيف والطائف وابتداء إسلام الأنصار وما يتصل بذلك
27	فصل في ذكر الهجرة وما يتصل بها
37	فصل في غزواته ﷺ وما يذكر معها
45	فصل في ذكر أعمامه ﷺ وعماته وأزواجه وخدَمِه وما يتصل بذلك
73	فصل في ذكر مناقب سيدنا علي بن أبي طالب ابن عم الرسول وسيف الله المسلول
87	فصل في ذكر بعض من كلام علي (عليه السلام)
95	فصل في ذكر شيء من شجاعته
113	الباب الثاني في ذكر مناقب الحسن والحسين ومن اشتهر من الأئمة آل البيت الكرام
141	فصل في ذكر طرف من أخباره ومصالحته لمعاوية وما يتصل بذلك
143	فصل في ذكر نبذة من كلامه
154	فصل في ذكر مناقب سيدنا الحسين السبط بن الإمام علي بن أبي طالب ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ
157	فصل في خروجه إلى العراق واستشهاده

فصل اختلفوا في رأس الحسين.....	174
فصل في ذكر مناقب سيدنا علي بن الحسين الملقب بزین	
العابدين.....	189
فصل في ذكر سيدنا محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين	
أجمعين.....	199
فصل في ذكر مناقب سيدنا جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن	
علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب	206
فصل في ذكر مناقب سيدنا موسى الكاظم ابن جعفر الصادق	
بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي	
طالب	215
فصل في ذكر مناقب سيدنا علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر	
الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي	
بن أبي طالب.....	226
فصل في ذكر ولاية العهد من المأمون للرضا.....	235
فصل في ذكر مناقب محمد الجواد بن علي الرضا ابن موسى	
الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن علي زين العابدين	
بن الحسين بن علي بن أبي طالب	249
فصل في ذكر مناقب سيدنا علي الهادي ابن محمد الجواد بن علي	
الرضا بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن	
علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب.....	259
فصل في ذكر مناقب الحسن الخالص بن علي الهادي ابن محمد	
الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم	264
ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن	
الحسين بن علي بن أبي طالب.....	264

فصل في ذكر مناقب محمد بن الحسن الخالص ابن علي الهادي بن
محمد الجواد بن علي الرضا ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق
بن محمد الباقر ابن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي
طالب 270

الباب الثالث في ذكر جماعة من أهل البيت لهم في مصر القاهرة مزارات مشهورة ومساجد معمورة 281

فصل في ذكر مناقب السيدة سُكَيْنَة بنت الحسين بن علي بن أبي
طالب 290

فصل في ذكر مناقب السيدة رقية بنت الإمام علي بن أبي طالب
..... 296

فصل في ذكر مناقب السيدة زينب بنت الإمام علي كرم الله وجهه
..... 298

فصل في ذكر مناقب السيدة فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي
طالب 305

فصل في ذكر مناقب السيدة عائشة بنت جعفر الصادق ابن
محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي
طالب 310

فصل في ذكر مناقب السيدة نفيسة بنت سيدي حسن الأنور بن
السيد زيد الأبلج ابن حسن السبط بن علي بن أبي طالب 312
فصل في ذكر مناقب السيد حسن الأنور والد السيدة نفيسة
وأخيه السيد محمد الأنور والدهما السيد زيد الأبلج بن الحسن
السبط بن علي بن أبي طالب 328

فصل في ذكر مناقب السيد زيد بن السيد علي زين العابدين بن
الحسين بن علي بن أبي طالب 332

338.....	فصل ومن أهل البيت السيد إبراهيم بن السيد زيد
340.....	فصل في ذكر مناقب حسين أبي علي المشهور بأبي العلاء الحسيني
344.....	فصل ومن أهل البيت
352.....	فصل: ومن أهل البيت السيدة فاطمة بنت السيد علي الرضا

تطبيق
سيدنا الحبيب

منصات
نور المحبين



يريد الحاقدون ليطفئوه
ويأبى الله إلا أن يتمه

لأهل البيت فضلٌ ليس يخفى
تضيء به الليالي المدهمة

أهل بيت سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم هم سفينة النجاة، وحبهم
من حب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} [الشورى: 23]

وأمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بالتمسك بسنتهم وآثارهم فقال:
(تركتم فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي
أهل بيتي) رواه الترمذي وأوصانا النبي صلى الله عليه وآله وسلم
بمحببتهم فقال: (أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي،
أذكركم الله في أهل بيتي) رواه مسلم فيا سعد من أحبهم، وتعرف
عليهم، واقتفى آثارهم، وكانت قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم أحب إليه من قرابته

